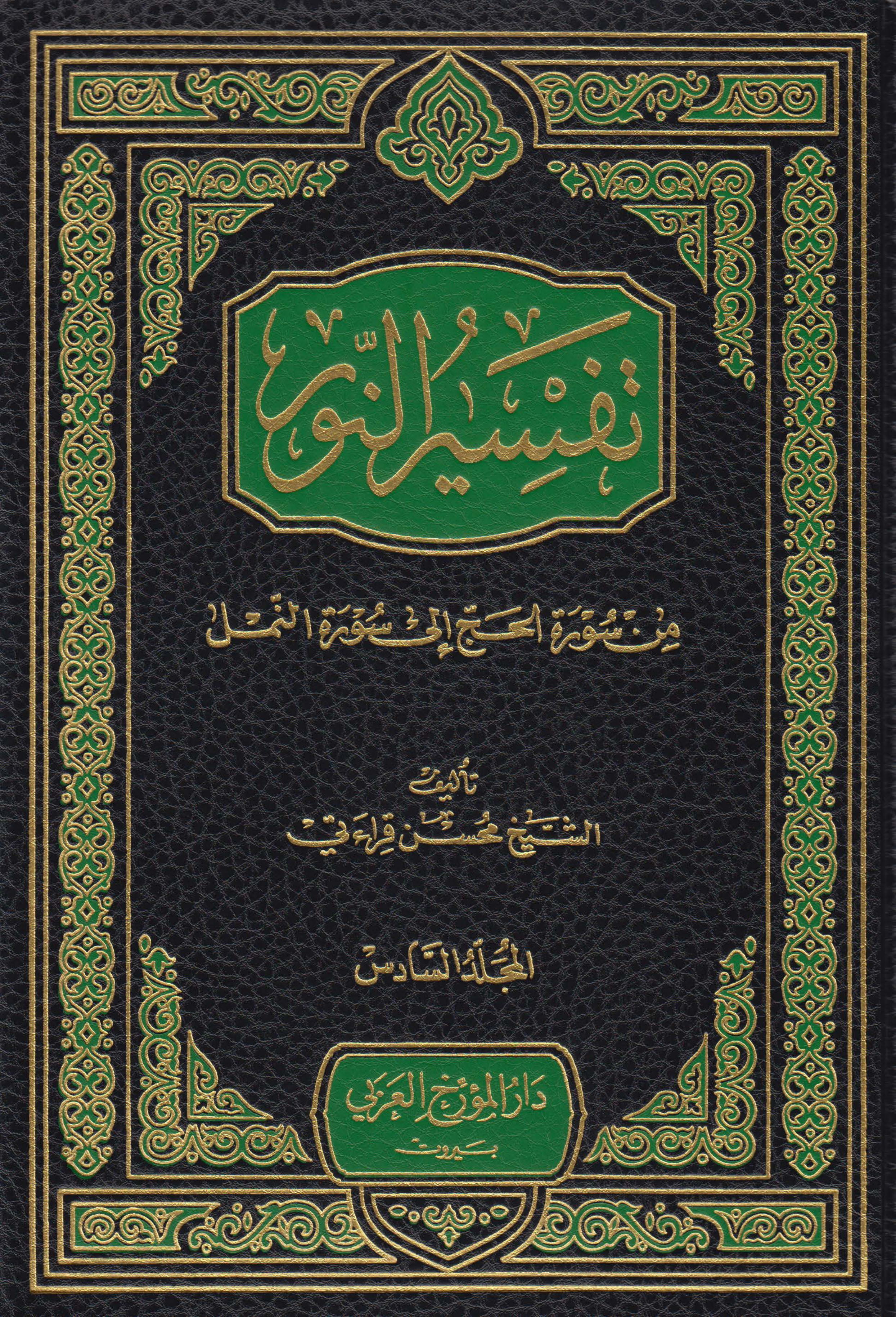
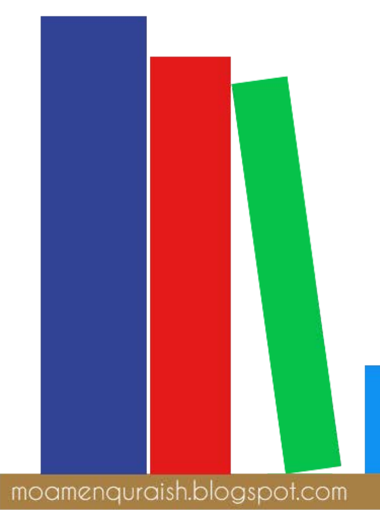

تفسير النور
من سورة الحج إلى سورة النمل
تأليف
الشيخ محسن قراءتي
المجلد السادس
دار المؤرخ العربي
بيروت



تفسير النور



من سورة الحج إلى سورة النمل

تأليف

الشيخ محسن قراءتي

ترجمة

أحمد حسين عطية بكر

مراجعة الترجمة

محمد حسن زراقط

المجلد السادس

دار المؤرخ العربي

بيروت - لبنان

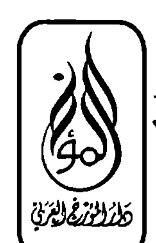
الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

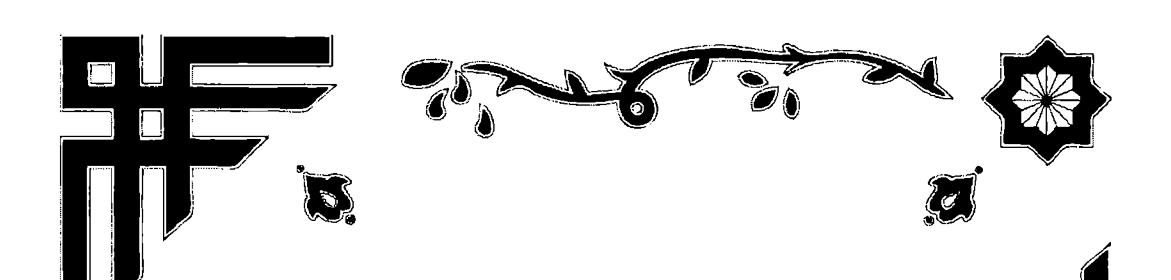


طبع هذا الكتاب بالتعاون مع
المركز الثقافي للدروس القرآنية





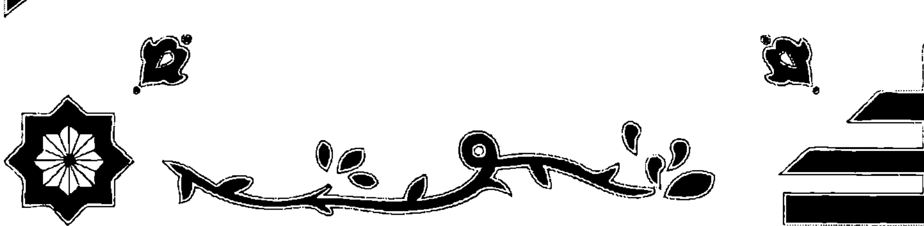
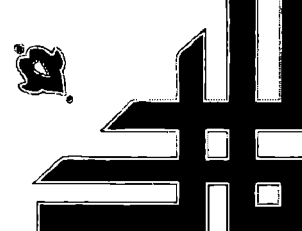
بيروت - حارة حريك - قرب جامع الحسنين - فوق صيدلية دياب - ط ٢
تلفاكس: ٥٤١٤٣١ - ٠١ - هاتف: ٥٤٤٨٠٥ - ٠١ - ص.ب: ١٢٤/٢٤
البريد الإلكتروني al_mouarekh@hotmail.com
www.al-mouarekh.com



سُورَةُ الحَجِّ

السورة: ٢٢ الجزء: ١٧

عدد الآيات: ٧٨

ملامح سورة الحج

تشتمل هذه السورة على ثمانٍ وسبعين آية، وقد نزلت في المدينة.

و«الحج» في اللغة القصد والعزم على القيام بعمل من الأعمال؛ ولكنها تُطلق في الشريعة الإسلاميّة على الشعائر الخاصة التي تُؤدَّى كل عام في مكة المكرمة. وقد سُمّيت هذه السورة سورة «الحج»، لأن ما يقرب من ثلاث عشرة آية (من الآية ٢٥ إلى الآية ٣٧) منها تتحدث عن الكعبة وتاريخها والآثار السياسيّة والاجتماعيّة للحج.

وقد استعرضت هذه السورة دعوة رسل الله لأمم وأقوام كثيرة، وبيّنت مصير القوم المنحرفين. وقد ورد في الروايات أنّ رسول الإسلام الأكرم ﷺ قد قال: **«من قرأ سورة الحج أُعطي من الأجر كحجّة حجّها وعمرة اعتمرها، بعدد من حج واعتمر، في ما مضى وفي ما بقي»**[١].

(١) تفسير مجمع البيان، ج ٤، ص ٦٨.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾﴾

إشارات:

❑ ورد في روايات أسباب النزول أنّ الآيتين الأولى والثانية من سورة الحج قد نزلتا عندما كان المسلمون في طريقهم إلى محاربة «بني المُصطلق» في شهر شعبان من العام السادس للهجرة، وعندها أمر الرسول الأكرم ﷺ بالتوقّف، فتوقّف المسلمون، وتلا النبيّ ﷺ هاتين الآيتين عليهم، فقضى بعض أصحاب النبي تلك الليلة يبكون، ونفرت أنفسهم من الدنيا؛ ولكن رسول الله طمأنهم بما حدثهم عنه من بشارات[1].

التعاليم:

١ ـ يُخاطب القرآن جميع الناس، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾.

٢ ـ يجب التحدث مع الغافلين بصراحة، وتحذيرهم، ﴿ٱتَّقُوا۟... إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾.

٣ ـ التقوى هي سبيل النجاة من أخطار يوم القيامة، ﴿ٱتَّقُوا۟... زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾.

٤ ـ تذكُّر يوم القيامة يحثّ على الاتّصاف بالتقوى، ﴿ٱتَّقُوا۟... زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾.

٥ ـ الحياة الدنيا متاعٌ قليل، أمّا زلزلة القيامة فهي شئ عظيم، ﴿زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾.

٦ ـ علينا أن نتقي الله الذي هو ربّ العالم ومالكه، ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ...﴾.

---

(١) تفسير نمونه.

٧ ـ ينهار نظام الكون الموجود ويتهاوى بزلزال القيامة، ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ
وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ
وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾

إشارات:

□ في القرآن أوصاف مروّعة في وصف ملامح يوم القيامة وصفاته، منها قوله تعالى:

- ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾[1]، يشيب فيه الولدان الصغار.
- ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[2]، تَعْبِس فيه الوجوه لشدّة هوله.
- ﴿يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾[3]، يتفشّى فيه الشر والبلاء.

□ ضرب الله المثل في بيان هول يوم القيامة بقطع العلاقة بين الأم المُرضعة ورضيعها، والأم الحامل وما حملته، وذلك على الرغم من أنه لا توجد أبداً أمّ تحمل في أحشائها جنيناً أو ترضع رضيعاً يوم القيامة؛ وهذا دليل شدّة الذهول.

التعاليم:

١ ـ تسلب أهوال يوم القيامة العاطفة من الإنسان، ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾؛ وتعطّل العقل، ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ﴾.

٢ ـ علينا أن نستفيد من الأمثلة الحسّيّة والعاطفية في بيان القضايا التربوية وتوضيحها، ﴿مُرْضِعَةٍ... ذَاتِ حَمْلٍ﴾.

---

(١) سورة المزمل: الآية ١٧.
(٢) سورة الإنسان: الآية ١٠.
(٣) سورة الإنسان: الآية ٧.

٣ ـ لا يلزم أن يكون المثل مطابقاً للواقع، ﴿كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ... وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ﴾.

٤ ـ مرور الزمن لا يؤثر على الأمثال القرآنية ولا يجعلها قديمةً، ﴿كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ...﴾.

٥ ـ ليست الخمر وحدها هي السبب في السُكر (أحياناً يكون الغرور والغفلة والثروة والجاه وسيلة أيضاً من وسائل فَقْد الاعتدال والتوازن)، ﴿...وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ... عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

٦ ـ الرسول الأكرم ﷺ آمنٌ من أخطار يوم القيامة، ﴿...وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ﴾ حيث يخاطبه الله تعالى كشاهد على ما يجري.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَـٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣﴾

إشارات:

- تعني كلمة «مَريد» عديم الخير، ويُقال للصحراء القاحلة المُجدبة «صحراء مريد»، وللغلام الذي لا ينمو الشعر في وجهه «غلام أمرد».
- تنهانا هذه الآية عن النقاش والجدال بدون امتلاك المعارف اللازمة، بينما الجدال مع المعارضين والمخالفين يكون مطلوباً وفي محلّه، إذا كان مصحوباً بالمنطق الصحيح أو بمنطقهم هم أنفسهم، وهو ما ورد في آية أخرى قال فيها تعالى: ﴿وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1].

التعاليم:

١ ـ يصيبُ عذاب يوم القيامة أولئك الذين يصدمون الناس في عقائدهم الدينيّة

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥.

باختلاق الشبهات وبث الشكوك، ﴿عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ... وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ﴾.

٢ ـ ينبغي أن يكون الحوار على أساسٍ من المنطق والعلم، وليس على أساس الجدال والتعصب، ﴿يُجَٰدِلُ... بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾.

٣ ـ النقاش والجدال بدون علم اتّباعٌ للشيطان، ﴿يُجَٰدِلُ... يَتَّبِعُ﴾.

٤ ـ يحولُ الجهل والتعصب دون قبول الحق، ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾.

٥ ـ من يترك الله ويحيد عن طريقه يقعْ أسيراً في شِراك الشيطان في كل لحظة وكل حين، ﴿...وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٍ﴾.

٦ ـ تتعدّد الشياطين وتتنوع، وكل واحد منها هو وسيلة من وسائل انحراف الناس عن الجادة بشكل من الأشكال، ﴿كُلَّ شَيۡطَٰنٍ﴾.

٧ ـ لا خير في اتّباع الشيطان، ﴿مَّرِيدٍ﴾ حيث لا خير لديه؛ وإنما هو شر مطلق.

﴿كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ
فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾

إشارات:

- لا توجد جبرية مفروضة على الشيطان في كلمة «كُتِبَ»؛ لأننا نقرأ في الآيات الأخرى أن الشيطان رفض السجود لآدم بإرادته هو نفسه وعناداً للحق، وأنه اعترض على أمر الله، وأقسم أن يُضل الناس ويغويهم[1]. وبناءً على هذا، فإن قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡهِ﴾ يعني أن إضلال الشيطان لأتباعه صار أمراً حتمياً بالنسبة له استناداً إلى ما أراده هو نفسه وعزم عليه.

التعاليم:

١ ـ لا توجد أيّ نتيجة من اختيار طريق الشيطان واتّباعه غير العذاب الإلٰهيّ

(١) سورة الحجر: الآيات ٣١ ـ ٤٠.

الأكيد، ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ (إن الإرادة الحتميّة لله القائمة على عقاب المجرمين تكون بعد اقترافهم هم أنفسهم للجرم بأيديهم).

٢ ـ يُعتبر اتّباع الشيطان بمثابة قبولٍ لولايته، ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ... مَن تَوَلَّاهُ﴾.

٣ ـ يُضل الشيطانُ من يتبعونه فقط، وليس من يريد هو نفسه إضلالهم، ﴿مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾.

٤ ـ الشياطين كلهم يسوقون الناس إلى طريق الجحيم، ﴿...وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ... وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾

إشارات:

- تعني كلمة «يُتَوفّى» التي هي من جذر كلمة «وفاة» أخذ الروح كاملة من جسم الإنسان، وتدل على بقاء روحه بعد الموت.
- اشتُقت كلمة «بهيج» من جذر كلمة «بهجة»، وتعني النضارة والسرور؛ وذلك لأن النظر إلى الخضرة والعشب يولد الابتهاج والنضارة في نفس الإنسان.
- إنّ مرحلة الشيخوخة والكِبَر عُدَّت أرذل مراحل عمر الإنسان في هذه الآية، إلا أنّ السبب الذي من أجله كان هذا الحُكم لا يختص بالشيوخ والعجائز، وإنّما إذا ضعفت القوى العقلانية في الإنسان وعجزت، فإنه يكون عندها في أرذل العمر حتى لو كان يعيش في مرحلة الشباب، ﴿أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ... لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾.

التعاليم:

١ ـ مصدر الشك هو الغفلة عن قدرة الله تعالى في خلقه، ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ... فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم﴾.

٢ ـ وجهت هذه الآية للكفار حديثاً استدلالياً منطقياً يُمكن فهمه، ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ... فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم﴾.

٣ ـ كما يُمكن التعرف على المعقولات عن طريق المحسوسات، ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ... فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم﴾.

٤ ـ المعاد جسماني وكذلك روحاني سواءً بسواء، ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم﴾.

٥ ـ منشأ الإنسان ومادته الأوّلية من التراب، ﴿خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾.

٦ ـ يقطع الإنسان مراحل سبعة قبل موته: (التراب، النطفة، العلقة، المضغة، الطفولة، البلوغ، الشيخوخة)، ﴿خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ...﴾.

٧ ـ مرحلة المضغة (حينما يكون الإنسان على شكل قطعة لحم في رحم الأم) هي مرحلة تشكيل الإنسان، ﴿مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ﴾.

٨ ـ من يخلُق الإنسان في الدنيا من تراب لا روح فيه، يستطيع أن يبعثه بعد ذلك يوم القيامة، ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾.

٩ ـ للحياة منحنيان، أولهما للصعود، والآخر للنزول. ويكون منحنى الصعود من التراب حتى الوصول إلى مرحلة ﴿أَشُدَّكُمْ﴾، ومنحنى النزول ينتهي بالوصول إلى مرحلة ﴿أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾.

١٠ ـ مراحل الخلق جميعها بيد الله تعالى، من استقرار النطفة حتى ميلاد الطفل، ﴿خَلَقْنَاكُم... وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ... نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾.

١١ ـ تحتاج التحوّلات الطبيعية إلى زمن. (تكررت في الآية كلمة «ثمّ» التي تأتي للدلالة على الفاصل الزمني عدة مرات).

١٢ ـ استقرار النطفة أو إسقاطها وانعدام أثرها بإرادة الله تعالى، ﴿...وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾.

١٣ ـ قُدّرت مدة الحمل وحُدِّدت مراحلها من جانب الله سبحانه، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

١٤ ـ يتعلّق مولدُ الإنسان بإرادة الله تعالى، ﴿نُخْرِجُكُمْ﴾.

١٥ ـ الموت ليس أمراً يختص به الشيوخ والعجائز، ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ وإنما قد يطال اليافعين.

١٦ ـ لا يُمحى أثر الإنسان بالموت، ﴿يُتَوَفَّىٰ﴾.

١٧ ـ تُحتسب قيمة الإنسان وحياته بمقدار علمه ووعيه وعقله (جعل القرآن نسيان المعارف والمكتسبات العلمية السبب في الوصول إلى أرذل مراحل العمر)، ﴿أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾.

١٨ ـ التزاوج ووجود الذكر والأُنثى يشمل النباتات أيضاً، ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ مضافاً إلى باقي المخلوقات.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾

التعاليم:

١ ـ خلقُ الإنسان والنبات علامة على أن الله هو الحق، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾.

٢ ـ لا يتخلى الله سبحانه عن الخلق بالموت والوفاة، ولا يُقدم على عمل من أعمال اللغو والباطل أبداً، فيجب إذن أن يصل بمخلوقاته إلى الغاية والهدف النهائيين، ثم تكون هناك مرحلة أخرى بعد الموت، ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

٣ ـ من يخلُق مرة يستطيع أن يخلق مرة أخرى، ﴿يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ كما فعل أول مرة بالخلق من العدم.

٤ ـ من يخلق الخلق ابتداءً ويستطيع أن يتصرف أيضاً في مخلوقاته على النحو الذي يريده، هو وحده القادر المطلق القدرة، ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٥ ـ المعاد معادٌ جسماني، ﴿يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾؛ في الأجساد والرفات البالية.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ
وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾﴾

التعاليم:

١ ـ علينا أن نميز بين الناس عند الانتقاد فلا نوجه التأنيب إلى الجميع، ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾.

٢ ـ ليس هناك ما يمنع الجدال إذا كان على أساسٍ من العلم، ﴿يُجَادِلُ... بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

٣ ـ طرق المعرفة عند الإنسان متعدّدة، فهي تتوفر له عن طريق الفكر والعقل والدراسة حيناً، وربما كانت عبارة: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ إشارة إلى ذلك. وتُتاح له في حين آخر بإلهام يُلقى في القلب، وربما كانت كلمة «هُدى» إشارة إلى ذلك الأمر. وتكون في وقت من الأوقات عن طريق الكُتب السماوية والوحي والنبوة، ﴿وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾.

﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ
وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾﴾

إشارات:

❑ كلمة «ثاني» بمعنى لاوي، و«عِطف» بمعنى جانب، ولَيُّ العنق جانباً كناية عن التكبر والغرور.

التعاليم:

١ ـ مصدر الجدال عند الجهلاء هو الغرور والتكبر، ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾.

٢ ـ يتناسب الجزاء مع الذنب، وجزاء المتكبر هو الخزي في الدنيا، ﴿لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾.

٣ ـ كما له سوء العاقبة في الآخرة، ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾

إشارات:

□ ربما جاءت كلمة «ظَلَّام» في الآية الشريفة بسبب أن الظلم القليل من الرب العادل يُعدُّ ظلماً كبيراً؛ تعالى الله عن الظلم كبيره وصغيره.

التعاليم:

١ ـ الله سبحانه عادل، وما غضبه ومحبته إلّا نتيجة لأعمالنا نحن، ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ﴾.

٢ ـ علينا ألا نجعل الآخرين سبباً لما نقترفه من ذنوب وما نبديه من مخالفات، فكل ما يصيبنا هو من صنع أيدينا، ﴿قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾.

٣ ـ يؤمن البعض إيماناً وقتياً وسطحياً، وتُغيره الحوادث، الحلو منها والمرير، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾.

٤ ـ يختلف حساب العقيدة والعمل اللذين يقومان على أساس المنطق عن حساب تقلبات الحياة المادّية (نحن لا نريد الدين من أجل الخبز)، ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ﴾.

٥ ـ الإنسان عُرضة لهجوم الأحداث الحلوة والمريرة، ﴿أَصَابَهُۥ... أَصَابَتْهُ﴾.

٦ ـ الفقر والابتلاءات وسائل للتجربة والاختبار، ﴿أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾.

٧ ـ يستتبعُ الارتداد عن طريق الله وترك منهاجه الغضب الإلٰهيّ الشديد وعذاب الجحيم، ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ﴾.

﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾

التعاليم:

١ ـ النفع كله والضر بيد الله سبحانه، وليس لأحد غيره أي دور في ذلك، ﴿دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾.

٢ ـ الشرك وتعلق القلب بغير الله أعظم أنواع الضلال، ﴿دُونِ ٱللَّهِ... هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾.

٣ ـ ليس للشِّرك أساس عقلي أو قاعدة منطقية، ﴿دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ﴾؛ لأن العبادة تكون من أجل الوصول إلى منفعة أو للحيلولة دون وقوع ضرر، والأصنام لا تفعل هذا ولا ذاك.

٤ ـ الشرك مُدانٌ بكل أنواعه (المعبودات العاقلة وغير العاقلة)، (جاءت كلمة «ما» إلى جوار كلمة «يَدعو» مرة، وهذه الكلمة تأتي مع المخلوقات غير العاقلة. وجاءت كلمة «مَن» إلى جوار جملة «يَدعو» في المرة الثانية، وهي للمعبودات العاقلة، من قبيل الإنسان والملائكة والجن).

٥ ـ علينا ألا نشتري ضرر الآخرة الدائم من أجل منافع الدنيا العابرة، ﴿ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾.

٦ ـ الضرر الذي يُلحقه الطواغيت بالناس أكبر مما يعطونهم من منافع، ﴿ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾.

٧ ـ لا تُعاشر من يَحول بينك وبين الله، ويدعوك إلى نفسه، ولا تجعله مولاك، ولا تتخذه مرشداً، ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤﴾

التعاليم:

١ ـ الإيمان بوعود الله الحق والأمل فيها أعظم وسيلة من أجل التحرر مما سواه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ...﴾.

٢ ـ الإيمان المصحوب بالعمل هو مفتاح النجاة، ولا فائدة تُرجى من أحدهما بمعزل عن الآخر، ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

٣ ـ تتنوع النِّعم الإلٰهيّة من أجل تحقيق سعادة أكبر لأهل الجنّة، ﴿جَنَّٰتٍ، ٱلْأَنْهَٰرُ﴾.

٤ ـ يُجازي الله الإنسانَ على حسب ميوله ورغباته، (الإنسان يستمتع بالحدائق والأنهار، وفي الجنّة أيضاً حدائق وأنهار)، ﴿جَنَّٰتٍ﴾ ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ تراعي تلك الرغبات.

٥ ـ الله سبحانه هو القادر المطلق القدرة، ولا يعترضه مانع أو يصل إلى طريق مسدود في إتمام الأعمال التي يريد لها أن تتحقق، ﴿يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (هذه القدرة هي السبب في ضمان تنفيذ وعوده).

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ١٥﴾

إشارات:

- رأى البعض أن هذه الآية ليست خاصة بالنبي الأكرم ﷺ، وقد ترجمها على هذا النحو: كل من يظن أن الله لن يساعده... يعني (أي فرد من الناس).
- ربما يكون معنى هذه الآية هو أن الإنسان المُلحد لن يُريحه ارتياد الفضاء أيضاً، وربما المقصود بعبارة ﴿بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ هو غزو الفضاء، وكلمة ﴿لِيَقْطَعْ﴾

تعني قطع الطريق إليها. وفي هذه الحالة تكون هذه الآية من معجزات القرآن العلمية وتنبؤاته. وعلى كل حال فإن المشكلة الروحية للإنسان لن تُحل أيضاً حتى في وجود التقدم العلمي وارتياد الفضاء، ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾.

التعاليم:

١ ـ المدد الرباني والنصرة الإلٰهيّة أمران حتميان في الدنيا والآخرة، ﴿يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾.

٢ ـ قد يتسلل اليأس من قدرة الله ونصرته فيُفقد الإنسان توازنه، ﴿يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾.

٣ ـ الانتحار ليس طريق النجاة على الإطلاق، ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾.

(الوسيلة الوحيدة التي تمنح الراحة هي الإيمان والتوكل على الله، وأي طرح أو برنامج آخر لا فائدة منه بدون الإرادة الإلٰهيّة والإيمان بالله).

٤ ـ حتى استخدام السماء والأرض، والصعود والسقوط، وكل خطوة تفتقد إلى الإيمان لا أثر لها، ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾

التعاليم:

١ ـ جرت سُنَّة الله تعالى على إنزال الآيات والإرشاد وتحويلها إلى وسائل الهداية، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ﴾.

٢ ـ القرآن كتاب النور، وآياته واضحة جلية، ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ (على خلاف رأي البعض ممن يقولون إن القرآن قطعي الثبوت وظنيُّ الدلالة).

٣ ـ القرآن هو وسيلة الهداية، أمَّا أصل الهداية فهو عمل الله وفضله، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى﴾.

٤ ـ يهدي الله كل من يشاء هدايته، ولكن إرادته تابعة لحكمته، ولهذا فهو يهدي من أوجد الأرضية اللازمة لهذه الهداية في نفسه، ﴿يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾

إشارات:

- توجد أقوال كثيرة حول الصابئة، فمن هم هؤلاء الناس؟ قال البعض: هم عُبَّاد الكواكب والنجوم، ويقول البعض الآخر إنهم يعبدون الملائكة، في حين يرى آخرون أنهم مجموعة من أتباع نوح عليه السلام.
- وقد سأل الأشعث بن قيس الإمام عليّاً عليه السلام فقال: كيف تؤخذ من المجوس الجزية (نوع من الضرائب) ولم ينزل إليهم كتاب ولم يُبعث إليهم نبي؟! (وهو يقصد أن الجزية أمر يختص به أهل الكتاب؟!) فقال الإمام: «**بلى يا أشعث قد أنزل الله إليهم كتاباً وبعث إليهم رسولاً**»[1].
- تم التمييز في هذه الآية بين الفرق المختلفة عبر كلمة «الذين»، ويوم القيامة يختلف حساب المؤمنين بالحق عن حساب المشركين المنحرفين، ويكون حساب المؤمنين منفصلاً عن حساب أتباع الأديان السماوية الأخرى. وقد استخدمت كلمة «الذين» ثلاث مرات: مع المؤمنين وأصحاب الأديان الأخرى والمشركين.

التعاليم:

١ ـ حق المؤمنين الحقيقيين مُقدَّم عند ذكر الفرق والأديان، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

٢ ـ اليهودية والمسيحية والمجوسية والصابئة كلها من الأديان التوحيدية السماوية؛ لأن أسماء هذه الديانات ذُكرت في مقابل المشركين، ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ... وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾.

٣ ـ يوم القيامة للجميع، وفي ذلك اليوم يُقضى بين كل هذه الفرق، وتنتهي الخصومات كلها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٤٧٥؛ الشيخ الصدوق، التوحيد، ص ٣٠٦.

٤ ـ القاضي يوم القيامة هو الله تعالى، وهو الشاهد أيضاً، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ... إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾.

٥ ـ الحُكم المكتمل الأركان هو الذي يقضي به القاضي الذي يمتلك المعلومات الشاملة الكاملة، ﴿يَفۡصِلُ... عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾.

٦ ـ لا بدّ من الدعوة إلى الإسلام والمجادلة بالتي هي أحسن، من دون توقع انتهاء الاختلافات بين الأديان في الدنيا. ويتوجب التعايش السلمي في هذه الدنيا حتى يفصل الله بين الجميع يوم القيامة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾

التعاليم:

١ ـ في السماوات مخلوقات عاقلة، ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ تستخدم «مَن» للعاقلين (أصحاب العقل والإدراك).

٢ ـ يسجُد الكون كله من أجل الله ويخضع له، ﴿يَسۡجُدُۤ﴾ والعقل ليس أمراً يختص به الإنسان وحده، ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (إذا علمنا أن الكون كله يستسلم لله، فإننا عندئذٍ لن نكون بمعزل عن هذا الكون، فالشِرك والتكبر يخالفان نظام الوجود).

٣ ـ الإنسان مُخيَّر، ﴿يَسۡجُدُ... وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ﴾.

٤ ـ ينزل العذاب الإلٰهيّ على أساس الحق والعدل، ﴿حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ﴾.

٥ ـ العزة والذلة بيد الله وحده، ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ﴾.

٦ ـ لا يوجد أي مانع يقف في وجه الإرادة الإلٰهيّة، ﴿يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾.

﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾

التعاليم:

١ ـ النزاع حول الله تعالى موجودٌ طوال التاريخ، ﴿ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾.

٢ ـ تختص ثياب كل واحد من أهل الجحيم ببدن صاحبها، ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ﴾.

٣ ـ لا تبرد ثياب أهل الجحيم النارية، وتُصب المواد المنصهرة دائماً من فوق رؤوسهم، ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾.

﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾

التعاليم:

١ ـ تحرق نيران الجحيم ظاهر الجسد وباطنه، ﴿بُطُونِهِمْ... وَٱلْجُلُودُ﴾.

٢ ـ يسعى أهل النار من أجل إنقاذ أنفسهم، لكن لا فائدة تُرْتَجى من سعيهم، ﴿أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا... أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾.

٣ ـ عذاب جهنّم عذابٌ أبدي، ﴿أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ ومتواصل.

٤ ـ يتعرض أهل الجحيم للتحقير والطعن والتوبيخ، ﴿ذُوقُوا۟﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾

التعاليم:

١ ـ الاستفادة من الطبيعة سبيل من سبل السعادة والسرور، ﴿جَنَّٰتٍ... ٱلْأَنْهَٰرُ﴾.

٢ ـ يجب أن يكون الأمل والبشارة متوازيين مع التهديد والوعيد، وقد قال الله تعالى في الآية السابقة: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، وقال تعالى في هذه الآية: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

٣ ـ التفاوت والمقارنة بين الخوف والرجاء والوعد والوعيد من مواطن الجمال في القرآن، ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ... وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

٤ ـ التستر له قيمة واحترام، فأهل الجنّة لديهم ثياب أيضاً، ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

٥ ـ إن الله سبحانه يَجْبِر كسر المحرومين ويعوضهم عن حرمانهم. فالذهب والحرير حرام على الرجال في الدنيا؛ ولكنهما سيكونان زينة لهم في الآخرة، ﴿ذَهَبٍ... حَرِيرٌ﴾.

٦ ـ استعمال المحسّنات في الجمل والتناسب بينها نوع من الفصاحة (كانت آخر جملة في الآية السابقة ﴿الْحَرِيقِ﴾ وآخر جملة في هذه الآية هي ﴿حَرِيرٌ﴾ وهي سمة لكلام الله.

﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ
وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ (٢٤)﴾

التعاليم:

١ ـ ثمّةَ نِعم معنوية إلى جوار النعم المادّية الموجودة في الجنّة، ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ... وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾.

٢ ـ الأقوال المحببة هي هدية أهل الجنّة، ﴿الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾.

٣ ـ السير في طريق الله فيه من زينة الباطن وزينة الظاهر، ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ... الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ... صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾.

٤ ـ أفضل التوفيق هو حسن العاقبة، ﴿وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

إشارات:

□ عن الإمام الصادق عليه السلام في تعقيبه على هذه الآية: «**من عبد فيه (المسجد الحرام) غير الله عز وجل، أو تولّى فيه غير أولياء الله فهو ملحد بظلم، وعلى الله تبارك وتعالى أن يذيقه من عذاب أليم**»[1].

التعاليم:

١ ـ تدفع العقيدة الفاسدة الإنسانَ إلى الفعل الفاسد، ﴿كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ﴾.

٢ ـ تمهّد صغائر الذنوب لارتكاب الكبائر، ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾.

٣ ـ المراكز الدينيّة شوكة في عين المنحرفين، ﴿وَيَصُدُّونَ عَن... وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾.

٤ ـ يجب أن تُحَدَّد قوانين مكة من جانب المالك الحقيقي لها، ﴿جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً...﴾.

٥ ـ المسجد الحرام منطقة دولية، وليس حقّاً من حقوق أي فرد أو دولة أو حكومة، هو تماماً كالسماوات والمحيطات، ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ﴾.

٦ ـ يعاقب الله المنحرفين حتماً، وليس هناك أي كافر أو ظالم في أمان من العذاب الإلٰهيّ، ﴿وَمَن يُرِدْ﴾.

٧ ـ ليست الأماكن سواءً، ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ...﴾ (يجب أن يكون المسجد الحرام مركز أمنٍ بالنسبة للجميع).

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٤٨٣؛ الكافي، ج١، ص ٣٣٧.

٨ ـ يختلف حساب الانحراف المتعمد الذي يقع عن وعي من أجل الظلم، عن الانحراف العرضي الذي يقع عن غير وعي، ﴿يَصُدُّونَ... وَمَن يُرِدْ﴾.

٩ ـ يترتّب على إهانة المقدّسات والمراكز الدينيّة العذاب الشديد، ﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ﴾.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾

التعاليم:

١ ـ قصة الكعبة وما جرى من إبراهيم، حادثةٌ لا ينبغي نسيانها، ﴿وَإِذْ﴾.

٢ ـ نحن جميعاً في حاجة إلى التوفيق الإلٰهيّ، ﴿بَوَّأْنَا﴾.

٣ ـ يجب أن توضع الأماكن المقدّسة تحت سيطرة الأفراد المقدّسين، ﴿بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾.

٤ ـ كانت الكعبة معروفة للناس منذ أقدم العصور، ﴿ٱلْبَيْتِ﴾.

٥ ـ لا يقبل الله أي شكل من أشكال الشرك، ﴿لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾.

٦ ـ طهارة الباطن مقدّمة على طهارة الظاهر، ﴿لَا تُشْرِكْ... وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾.

٧ ـ الخدمة في المسجد وبيت الله فخر لإبراهيم عليه السلام، ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾.

٨ ـ بناء الذات وحده لا يكفي، وإنّما لا بد من خدمة الناس أيضاً، ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ﴾.

٩ ـ كل مكان يُنسب إلى الله هو مكان مقدّس، وعلى الجميع أن يحترموا ذلك المكان، ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾.

١٠ ـ يجب أن يكون مكانُ العبادة طاهراً، ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾.

١١ ـ إن الصلاة والمُصلي عزيزان بالقدر الذي ينبغي معه على إبراهيم أن يخدم مكانهما، ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ... وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾.

١٢ ـ حق المسجد الحرام هو الطواف والقيام والصلاة، وللطواف من بين تلك

المناسك ثوابٌ أكبر، ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ (ربما كان ذكر الطواف الذي ورد قبل الركوع إشارة إلى أن الطواف أهم من الصلاة في المسجد الحرام).

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾

إشارات:

- تعني كلمة «ضامِر» الحيوان الذي ذاب شحم بدنه، واكتنزت العضلات في جسمه، فهو رشيق سريع، كالحيوان الذي تم تدريبه بدنياً واستعد من أجل السباق. ويقول الإمام علي عليه السلام في الخطبة ٢٨ من نهج البلاغة: «اليوم المضمار وغداً السباق»، أي عليكم أن تجعلوا أنفسكم أكثر خِفَّة وسرعة حتى تستطيعوا أن تسبقوا يوم القيامة.
- ونحن نقرأ في الروايات: «**وَلَمَّا فَرَغَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يُؤَذِّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ـ فَقَالَ: يَا رَبِّ وَمَا يَبْلُغُ صَوْتِي ـ فَقَالَ اللَّهُ أَذِّنْ عَلَيْكَ الْأَذَانُ وَعَلَيَّ الْبَلَاغ**»[١].
- أول واجبات زوار الكعبة هو ارتداء ثياب الإحرام، وترداد «لبيك اللهم لبيك»، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**فجعل الله عزّ وجلّ تلك الإجابة شعار الحاج...**»[٢].
- ورد في بعض الأخبار أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله أمر المؤذّنين أن يؤذّنوا بأعلى أصواتهم، بأنّ رسول الله يحجّ في عامه هذا، فعلم به من حضر في المدينة وأهل العوالي والأعراب، واجتمعوا لحجّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنّما كانوا تابعين ينظرون ما يؤمرون ويتّبعونه أو يصنع شيئاً فيصنعونه...»[٣].

---

(١) تفسير القمي، ج٢، ص٨٣.

(٢) تفسير نور الثقلين، ج٤، ص ١٣١؛ علل الشرائع، ص ٤١٦.

(٣) تفسير نور الثقلين، ج ١، ١٤٦؛ الكافي، ج٤، ص ٢٤٥.

التعاليم:

١ ـ سوف يؤثّر نداء أولياء الله اليوم في من سيأتي في المستقبل، ﴿وَأَذِّن... يَأْتُوكَ﴾.

٢ ـ الأنبياء من روّاد الأمر بالمعروف، ﴿وَأَذِّن﴾.

٣ ـ الذهاب إلى الحجّ هو وصول إلى مكان حضور أولياء الله، ﴿يَأْتُوكَ﴾ (لم يقل الله تعالى: «يأتوه»، نعم، فالمحور في مراسم الحج هو الزعيم الإلٰهيّ).

٤ ـ الله تعالى يُخبر عن الغيب وعما سيأتي في مستقبل التاريخ، ﴿يَأْتُوكَ... يَأْتِينَ﴾.

٥ ـ على كل مُكلّف بالقيام بعمل من الأعمال أن يُجهز مقدماته، ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ...﴾.

٦ ـ يستحسن الذهاب إلى الحج سيراً على الأقدام أكثر من الركوب، (قد يُستفاد هذا المعنى من ورود كلمة ﴿رِجَالًا﴾ قبل قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ...﴾).

٧ ـ إذا وُجدت الإرادة والعشق في العمل الذي نقوم به فإن الإمكانيات تأتي في المرحلة التالية، ﴿رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾؛ أي أن القدوم تدعو إليه الرغبة ولو دون وسائل.

٨ ـ الحج وحده هو المقصد الذي يسافر من أجله المسافرون على الدوام ومن كل مناطق العالم، ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.

﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ
عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾

إشارات:

□ عن الإمام الصادق عليه السلام: «﴿أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ **هي أيام التشريق، أي أيام ١١ و١٢ و١٣ من شهر ذي الحجة**»[1].

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج١، ص ١٩٨؛ ومعاني الأخبار، ص ٢٩٧.

□ وعنه عليه السلام أيضاً: أنّ المراد من ﴿وَيَذْكُرُواْ اسْمَ اللَّهِ﴾ **«هو التكبير والجُمل التي تليه مما يُقال عقيب خمس عشرة صلاة أولها صلاة ظهر يوم عيد الأضحى»**[١].

□ وعن الإمام الكاظم عليه السلام في الرد على مَن سأله عن الرجل يُعطي الأضحية مَن يسلخها بجلدها: **«لا بأس به، إنما قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ...﴾** والجِلد لا يُؤكل ولا يُطعم»[٢].

□ ملامح الحج:

- الحج تعبئة عامة ومناورة للموحدين، من شتى أنحاء الدنيا.
- الحج مظهر جميل للعشق والتعبد.
- الحج يبقي سيرة الأنبياء وخدماتهم حيَّةً في النفوس، ومنهم إبراهيم وإسماعيل ومحمد (سلام الله عليهم أجمعين).
- الحج مركز اجتماعات دولي للمسلمين الوافدين إليه.
- الحج مركز للعلاقات وتبادل الأخبار والمعلومات الخاصة بالعالم الإسلامي.
- الحج دعامة لاقتصاد المسلمين، ووسيلة لإيجاد عمل لعشرات الآلاف من المسلمين.
- الحج أفضل فرصة وأنسب وقت من أجل الدعوة الإسلاميّة، وفضح المؤامرات، وحماية المظلومين، والبراءة من الكفار، وبث الرعب والوحشة في قلوبهم.
- الحج أفضل فرصة وأنسب وقت للتوبة وذكر الموت والمعاد، والانقطاع عن كل شيء، ورؤية صحراء عرفات والمشاعر المقدّسة، والجلوس انتظاراً للمهدي الموعود عليه السلام.

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٤٩٠. (٢) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٤٩٩.

التعاليم:

١ ـ يجب على المسلمين أن يتواجدوا في الساحة من أجل الحصول على المنافع المادّية والمعنوية للحج، ﴿لِّيَشْهَدُواْ﴾.

٢ ـ منافع الحج مهمة، حتى إنّ قدْرها كامل لا يُنتقص ولو جاء الناس من أقصى بقاع الأرض، ﴿فَجٍّ عَمِيقٍ... لِّيَشْهَدُواْ﴾.

٣ ـ تنفيذ أمر الله ونية التقرب إليه في الحج لا يتعارضان مع تحصيل المنافع الثانوية المختلفة، ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ﴾.

٤ ـ الأوامر الإلٰهيّة تصبّ في مصلحة الناس، ﴿مَنَـٰفِعَ لَهُمْ﴾.

٥ ـ في الحج منافع دنيوية وكذلك أخروية، (جاءت كلمة «مَنَافِعَ» مطلقة، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: أنّ أحدهم سأله عن المنافع المذكورة في الآية هل منافع الدنيا أو الآخرة؟ فقال عليه السلام: **«الكل»**[1].

٦ ـ فلسفة العبادات هي ذكر الله، ﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾؛ (ونحن نقرأ حول فلسفة الصلاة أيضاً: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾، أي أقم الصلاة من أجل ذكر الله).

٧ ـ عنصر الزمان عنصر مؤثّر في التضرع والدعاء، ﴿فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ﴾ (العبادات الإسلاميّة مؤقّتة بتوقيت مخصوص).

٨ ـ الأنعام واستسلامها في مواجهة الإنسان والتضحية بها والفوائد الأخرى التي تأتي من ورائها من النِّعم الإلٰهيّة التي أنعم الله بها على الإنسان، ﴿رَزَقَهُم﴾.

٩ ـ الاستفادة من لحوم الأضحية جائزة بالنسبة لزوّار بيت الله، ﴿فَكُلُواْ﴾ (على خلاف العادات في زمن الجاهلية التي كانت تُحرم على الحاج استهلاكها).

١٠ ـ يجب أن يصاحب الحضورَ إلى الحج والوصول إلى منافعه إزالةُ الفقر والقضاء عليه، ﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ﴾.

١١ ـ يجب ألا يغفل الأغنياء عند اجتماعهم في الحج عن الفقراء، ﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٤٨٨؛ الكافي، ج٤، ص ٤٢٢.

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾

إشارات:

- تعني كلمة «تَفث» الوسخ المتراكم على الشعر والظفر والشارب، و«قضاء التفث» يعني الخروج من الإحرام بالأخذ من الأظافر وقص الشعر، ثم الطواف حول الكعبة من أجل مواصلة أعمال الحج.
- كلمة «عَتيق» تعني قديم، وتُقال كلمة عتيق للأشياء القديمة.
- هناك ثلاثة أعمال واجبة على زوّار بيت الله في يوم عيد الأضحى على أرض منى بجوار مكة:

١ ـ رمي سبع حصوات على موضع الشيطان، وهو ما يُسمى «رمي الجمرات».

٢ ـ ذبح الأضحية، وهو ما وردت الإشارة إليه في الآية السابقة.

٣ ـ حلق شعر الرأس أو تقصيره والأخذ من الأظافر، وهو ما ورد في هذه الآية.

- عن الإمام الباقر عليه السلام: **«ليس من بيتٍ وضعه الله على وجه الأرض إلا له رب وسكان يسكنونه غير هذا البيت، فإنه لا رب له إلا الله وهو الحر»**[١].

التعاليم:

١ ـ الصحة والنظافة شرطان للدخول في بعض العبادات من قبيل الصلاة، وهما جزء منها في بعضها الآخر كالحج، ويُعدّان شرطاً لكمالها في مواضع من قبيل قراءة القرآن والاعتكاف، ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٤٩٥.

٢ ـ سُنَّة إزالة الأوساخ المتراكمة على الجسد والتخلص منها أمر حتمي وجدي، وليس على سبيل التوصية، ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ﴾.

٣ ـ الأوساخ من الإنسان نفسه وليست من الخارج، ﴿تَفَثَهُمْ﴾، أمّا المنافع فهي فضلٌ إلهي، وقد جُعلت هذه المنافع من أجل الإنسان، ﴿مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾.

٤ ـ يجب التحرّر من الأوساخ والتعهدات من أجل الطواف حول البيت المقدّس الحر، ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ... وَلْيُوفُواْ... وَلْيَطَّوَّفُواْ﴾.

٥ ـ الوفاء بالنذر أمر واجب، ﴿وَلْيُوفُواْ﴾.

٦ ـ من الممكن أن تكون للأقدمية قيمة، ﴿ٱلْعَتِيقِ﴾.

٧ ـ بيت الله لم يكن ولن يكون ملكاً لأي إنسان، ﴿ٱلْعَتِيقِ﴾.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْۖ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾

إشارات:

- ذُكرت تعريفات كثيرة لعبارة «قول الزور»، من بينها: الكذب، شهادة الزور والغناء. كما ذُكرت تعريفات حول «حرمات الله»، من قبيل قانون الله وكتاب الله وأهل بيت رسول الله ﷺ، ولا بدّ من حفظ حرمة هؤلاء جميعاً[1].
- وردت شهادة الزور في الروايات والأحاديث إلى جانب الشرك بالله، كما إنّ قول الزور من الكبائر كما ورد في عددٍ من الروايات[2].

التعاليم:

١ ـ علينا أن نُعظم ما احترمه الله تعالى، ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ (علينا أن نذكر الأوامر الإلٰهيّة باحترام وتعظيم، وأن ننفذها بسرور واهتمام).

---

(١) تفسير كنز الدقائق.

(٢) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٤٩٦ ـ ٤٩٧؛ بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ٢١٦ ـ ٢١٧.

٢ ـ احترام القوانين والمقدّسات الإلٰهيّة يعود علينا بالنفع، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾، وثواب هذا الاحترام عند الله تعالى، ﴿عِندَ رَبِّهِۦ﴾.

٣ ـ الأصل في الأنعام والبهائم أنها حلال، إلّا أن يكون لدينا دليل خاص من الوحي ذاته بتحريمها، ﴿أُحِلَّتْ... إِلَّا مَا يُتْلَىٰ﴾.

٤ ـ عبادة الأوثان رجس، ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ (كانت مراسم الحج وذبح الأضحية مختلطة بالشرك والوثنية)، ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟﴾.

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾

إشارات:

- «حُنفاء» جمع حنيف، وتعني الشخص الذي يتبع الدين الحق.
- الـ «خَطْف» الجذب السريع، وكلمة «سحيق» تعني بعيد.
- التوحيد يُعطي قيمة لكل شيء، والشرك يسلب القيمة من أفضل المخلوقات. فالهدهد ـ الذي آمن برب العالمين ـ وصل إلى حد أن صار وسيلة الهداية لمنطقة كاملة بسبب شفقته على الناس واهتمامه بهدايتهم؛ ولكن الإنسان يسقط بسبب الشرك كما يسقط الطعام الذي يتخطفه الطير ليأكله.
- تَصلحُ أمثال القرآن في أي زمان أو مكان، وهي أمثال طبيعية ويمكن فهمها كذلك، ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

التعاليم:

١ ـ التضحية والطواف والوفاء بالنذر والأعمال كلها من أجل الله وحده، ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾.

٢ ـ كل قوة نتصل بها غير قوة الله تكون نهايتها السقوط، حتى القُوى العظمى، ﴿وَمَن يُشْرِكْ... خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

٣ ـ الشرك كبيرةٌ لا تُغتفر لأي شخص، ﴿وَمَن يُشْرِكْ﴾.

٤ ـ التوحيد والإخلاص يعطيان الإنسان منزلة سماويّة، والشرك يهوي بالإنسان من تلك المنزلة، والمشرك كالطعام الذي تتخطفه الطير، ﴿خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

٥ ـ لا توجد مهلة بين الانفصال عن الله والسقوط والتحول إلى فريسة للصيادين، ﴿فَتَخْطَفُهُ﴾ (حرف الفاء وكلمة «خَطف»).

٦ ـ إذا لم يكن أقدس الأعمال (الطواف) في أقدس الأماكن (المسجد الحرام) وفي أقدس الأيام (عيد الأضحى)، مصحوباً بالإخلاص؛ فإن العاقبة ستكون السقوط وليس الارتقاء، ﴿مَن يُشْرِكْ... خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾..

٧ ـ الإخلاص يحفظ الإنسان ويحميه في مواجهة الرياح والأعاصير، والجحود يُلقي به في مسار الأعاصير، ﴿أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ﴾

٨ ـ لا يُبقي الشرك على أي ثراء أو قوة ولو كان قليلاً، أو كان للحظة واحدة، ﴿خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ... فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾

إشارات:

- سمّى القرآن الكريم في الآيات الأخرى، شعيرتين من شعائر الحج ومراسمه واعتبرهما جزءاً من الشعائر الإلٰهيّة صراحةً: إحداهما «الصفا والمروة»، والأخرى «نحر إبل الأضحية»، ولكن الشعائر الإلٰهيّة لا تتلخص في هاتين الشعيرتين، والعبادات الجماعية كلها من شعائر الله تعالى، كصلاة الجمعة والجماعات ومراسم الحج جميعها.

- التقوى من الحالات الروحية التي يمكن تتبع وجودها من آثارها وعلاماتها؛ لأن الأعمال الظاهرية ليس فيها فرق كبير بين الذنب والثواب، فالصلاة الخالصة لله على سبيل المثال، هي نفسها الصلاة الممزوجة بالرياء من حيث الظاهر، وما يجعل إحداهما ذات قيمة ويُفقد الأخرى قيمتها هو روح العمل وباطنه، وهو ما يرتبط بالقلوب، ﴿تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾.

التعاليم:

١ ـ يجب أن يكون للتقوى الداخليّة آثار خارجيّة أيضاً، وكل من لا يعتني بالشعائر تكون تقواه القلبية قليلة في الحقيقة، ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾.

٢ ـ يجب أن يكون التعظيم على أساس التقوى، وليس على أساس التنافس، ﴿وَمَن يُعَظِّمْ... تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾.

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى
ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾

إشارات:

□ يظن البعض أنه ليس لأحد الحق في ركوب الإبل أو الحيوانات الأخرى التي تم تحديدها من أجل الأضحية أو حلب ألبانها. وهذه الآية تردّ هذا التفكير وترفضه.

التعاليم:

١ ـ يضمن تعظيم الشعائر مصالحكم المادّية أيضاً، ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾.

٢ ـ محور مراسم الحج وشعائره هو الكعبة، ﴿وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ... مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم
مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «مُخبتين» من «الخبت» التي تعني الأرض الواسعة المستوية التي تخلو من الوهاد والنجاد، والمُخبِت صفة يوصف بها الإنسان الهادىء المطمئن الذي يبعد عن أي لون من ألوان التفكير في الشرك.

☐ كلمة «مَنسَك» إما هي مصدر وإما اسم زمان وإما اسم مكان، ولهذا فإن المعنى يكون على النحو التالي: لقد وضعنا لكل أمة منهجاً للعبادة، أو حددنا لها زمناً للأضحية، أو مكاناً من أجل ذلك الأمر.

التعاليم:

١ ـ كانت شَعيرة تقديم الأضاحي والقرابين أمراً معروفاً في الأديان السماوية جميعها، ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ...﴾.

٢ ـ يجب أن نذكر اسم الله تعالى عند ذبح الأضحية، ﴿لِّيَذْكُرُواْ﴾.

٣ ـ يجب أن يكون أسلوب عبادة الله عن طريق الوحي فقط، ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾.

٤ ـ آلهنا هو الإله الواحد، ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾، وهو نفسه الإله الذي يضمن لنا ديننا ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾، ودنيانا كذلك، ﴿رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾.

٥ ـ يملك اسم الله تعالى القدر والقيمة، لدرجة أنّ لحم الحيوان يكون لحماً حلالاً عندما يجري اسم الله على اللسان وقت ذبحه، وإلا فإنه سيكون حراماً، ﴿لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾.

٦ ـ يجب أن يُحاطَ طعام الإنسان الذي يعبُد الله بالبركة الإلَهية كذلك، ﴿لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ من خلال ذكر اسم الله.

٧ ـ عليكم ألا تستسلموا إلا لله تعالى، ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ﴾.

٨ ـ بما أن ذكر اسم الله كان مطروحاً في الأديان كلها، فخالق الجميع واحد إذن؛ لأنه لو كان هناك إلَه آخر لطرحت هذه المراسم في صور أخرى، ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ (حرف «الفاء» يأتي من أجل النتيجة، أي أن وحدة المدرسة علامة على وحدة المعبود).

٩ ـ البشارات الإلٰهيّة خاصة بأولئك المتواضعين الذين يسلمون لله، ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥﴾

إشارات:

❑ يمنح ذكرُ الله الطمأنينةَ لأهل الإيمان، كما أنه يصيبهم بالخوف أيضاً، وذلك كالطفل الذي يهدأ ويطمئن بذكر والديه، ويخشى منهما في الوقت نفسه ويرهبهما.

التعاليم:

١ ـ الخوف من الله والخشية الداخليّة منه قيمة من القيم، ﴿وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾.

٢ ـ التقوى مُقَدَّمة على كل أشكال الكمال، ﴿وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ... وَٱلصَّٰبِرِينَ...﴾.

٣ ـ الثبات والصبر هما الأساس في أداء التكاليف بعد التقوى، ﴿وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

٤ ـ الصبر الذي له قيمة هو الذي يستمر عند مواجهة الصعاب والمشكلات، ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ﴾.

٥ ـ لا تنفصل العلاقة بالله عن العلاقة بالمحرومين والفقراء، ﴿وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ... يُنفِقُونَ﴾.

٦ ـ العطاء لا ينحصر في المال فقط، وإنما يمكن الإنفاق من العلم والجاه والفضل أيضاً، ﴿مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ﴾.

٧ ـ للإنفاق قيمة حينما يكون إنفاقاً متصلاً، (كلمة ﴿يُنفِقُونَ﴾ فعل مضارع يدل على الاستمرار).

٨ ـ لا بدّ من الاعتدال والوسطية في الإنفاق أيضاً، ﴿وَمِمَّا...﴾.

٩ ـ الأموال والثروات رِزقٌ إلَهي للإنسان، ﴿رَزَقۡنَٰهُمۡ﴾.

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

إشارات:

- «بُدن» جمع «بُدنة»، وتعني الجَمل السليم البدين، وكلمة «صواف» تعني الحيوان الذي قام على ثلاثة قوائم وقد عُقل القائم الرابع.
- جملة «وَجَبتْ جنوبها» تعني استقرّت على جنبها، وهي كناية عن إسلام الحيوان الروحَ. و«القانع» الذي يرضى بما أعطيته ولا يسخط ولا يكلح ولا يرتدّ شدقه غضباً؛ والمعترّ المارّ بك تطعمه[١].
- كلما طرح موضوع الأكل في الإسلام ذُكر إلى جواره تكليف آخر:
  - ﴿كُلُوا... وَلَا تُسْرِفُوا﴾[٢] كلوا ولكن لا تسرفوا في الأكل.
  - ﴿كُلُوا... وَأَطْعِمُوا﴾[٣] كلوا وأطعموا الآخرين.
  - ﴿كُلُوا... وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾[٤] كلوا واعملوا عملاً صالحاً.
  - ﴿كُلُوا... وَاشْكُرُوا﴾[٥] كلوا واحمدوا الله.

التعاليم:

١ ـ عليكم أن تنفقوا بسخاء في تعظيم الشعائر الإلٰهيّة، ﴿وَالْبُدْنَ﴾ («البدن» تعني الجَمَل الضخم).

---

(١) تفسير نور الثقلين؛ الكافي، ج ٣، ص ٤٩٩.
(٢) سورة الأعراف: الآية ٣١.
(٣) سورة الحج: الآية ٣٦.
(٤) سورة المؤمنون: الآية ٥١.
(٥) سورة سبأ: الآية ١٥.

٢ ـ كان العربي في الجاهلية يعتقد أن لحم الأضحية لا تجوز الاستفادة منه. فجاءت الآية بنفي الاعتقاد المذكور، ﴿فَكُلُوا﴾.

٣ ـ المهم في تعظيم الشعائر الدينيّة هو الاهتمام الرباني والغاية الإلٰهيّة، سواء أكان التعظيم للجماد أم للحيوان، ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَٱلْبُدْنَ... مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾.

٤ ـ يجب أن تُحدَّد الأحكام الدينيّة عن طريق الوحي، ﴿جَعَلْنَا﴾.

٥ ـ تضمن الشعائر الإلٰهيّة مصالح الناس، ﴿لَكُمْ﴾ (على خلاف التضحية من أجل الأصنام أو الإنفاق بإسراف وتبذير).

٦ ـ ذكر الله موجود أيضاً في موضوع التغذية في مدرسة الإسلام التربوية، ﴿فَٱذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾.

٧ ـ أفضل أسلوب للتضحية بالجِمَال هو نحرها حال وقوفها، ﴿صَوَآفَّ﴾.

٨ ـ يُمنع أكل لحم الحيوان واستهلاكه ما دامت الروح في بدنه، ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا﴾.

٩ ـ يجب أن يُقسَّم لحم الأضحية (بين صاحبها والآخرين)، ﴿كُلُوا... وَأَطْعِمُوا﴾.

١٠ ـ عليكم بتفقد الجماعات المُعدمة كلها والبحث عنها، ﴿ٱلْقَانِعَ... وَٱلْمُعْتَرَّ﴾.

١١ ـ التضحية ينبغي أن تكون في المكان الذي يمرُّ به الفقراء، ﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾.

١٢ ـ تطويع الحيوانات للإنسان وتسخيرها له، وأكل لحوم الأضحية وإطعام الآخرين منها، وذبح الحيوانات ونحرها في مناسك الحج، والإخلاص، واكتساب الصبغة الإلٰهيّة، من النِّعم التي يجب شكر الله عليها، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾

التعاليم:

١ ـ لا يحتاج الله شيئاً من التكاليف والواجبات التي نقوم بها. ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا﴾.

٢ ـ توجد أهداف سامية وراء المسائل والقضايا الظاهرية للدين (لا ينبغي أن نكتفي بظاهر الأوامر الدينية، لأن باطن الأحكام الإلٰهيّة هو التحلِّي بالإخلاص وروح العبادة والتسليم في مواجهة أوامر الله). ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾.

٣ ـ تنشأ علاقة الإنسان بالله عن طريق التقوى، ﴿يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾.

٤ ـ ذِكر الله بالتكبير نوعٌ من أنواع الشكر الإلٰهيّ، ﴿لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾.

٥ ـ نعمة الهداية من النِّعم التي حظيت بتوصية خاصة من أجل شكرها، ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾.

٦ ـ لولا فضل الله تعالى علينا لضللنا جميعاً، ﴿هَدَىٰكُمْ﴾.

٧ ـ الحج ومناسكه مظهر من المظاهر الواضحة للهداية، ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾.

٨ ـ القيام بمناسك الحج يضع الإنسان في زمرة المحسنين، ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾

إشارات:

❑ من الوعود والسنن الإلٰهيّة نصرُ المؤمنين والدفاع عنهم، وقد قال الله تعالى إن الدفاع عنهم وحمايتهم بمثابة حق يلتزم به: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، ومن المؤكد أن معنى الدفاع والنُصرة الإلٰهيّة لا يعني دائماً الدفاع والنصر الفوري في فترة قصيرة، وإنما يشتمل كذلك على الدفاع طويل الأمد أيضاً؛ لأنه سبحانه يقول في الآيات الأخرى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾. نعم، من الممكن أن ينهزم المؤمنون هزيمة ظاهرية في الحرب والقتال، ولكن أهدافهم وأفكارهم تنتصر، وهو ما حدث في استشهاد الإمام علي عليه السلام على يد ابن ملجم. لقد قتله ابن ملجم، فهل حماه الله أم حمى علياً عليه السلام؟ إنَّ الذي انتصر

(١) سورة الروم: الآية ٤٧.

في النهاية هو اسمُ علي، وأبناءُ علي، وكتابُ علي، ومناجاةُ علي، وعِزةُ علي، وشيعةُ علي، وتفكيرُ علي.

❑ تعني كلمتا «خَوّان» و«كَفور» الشخص الذي ديدنه الكفر والخيانة.

التعاليم:

١ ـ تحقُّق الوعد الإلٰهيّ بالدفاع عن المؤمنين أمرٌ حتميٌ، ﴿إِنَّ﴾.

٢ ـ المؤمنون ليسوا وحدهم أو عزّل بلا دفاع، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾.

٣ ـ حماية الله أبدية، ﴿يُدَٰفِعُ﴾.

٤ ـ يُدافع المؤمنون عن حرمة الله، والله سبحانه يدافع عن حرمة المؤمنين. فهو ﴿يُدَٰفِعُ﴾ وليس (يدفع).

٥ ـ المؤمنون هم أحباء الله. يهتم بأمورهم لذا يدافع عنهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ﴾.

٦ ـ الإيمان هو العنصر الذي يجلب نُصرة الله ودفاعه، ﴿عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1].

٧ ـ غضب الله يكون على أساس المعايير، ﴿يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ... لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ﴾، (دين الله أمانة في أعناقنا، فلا ينبغي أن نخونه) ﴿لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ...﴾.

٨ ـ الناس كلهم سواسية كأسنان المشط أمام الله سبحانه، ﴿كُلَّ خَوَّانٖ﴾ والخيانة لا تُغتفر لأي شخص من الأشخاص.

٩ ـ اعتياد الخيانة أسوأ من الخيانة، ﴿خَوَّانٖ﴾ وإدمان الكفر أسوأ من الكفر، ﴿كَفُورٍ﴾ ولفظتا «خوان وكفور» تنطوي على صيغة المبالغة من الإمعان.

١٠ ـ الخيانة أرضية للكفر، (وردت كلمة ﴿خَوَّانٖ﴾ أولاً، وبعدها كلمة ﴿كَفُورٍ﴾).

١١ ـ الشخص الذي لا يؤمن خائن لنفسه ولله تعالى ولرسوله ﷺ، (وقعت كلمة ﴿خَوَّانٖ﴾ في مقابل كلمة ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾).

---

(١) سورة الروم: الآية ٤٧.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُـلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَـدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

إشارات:

- قيل إن هذه الآية هي أول آية أذنت للرسول الأكرم ﷺ بالجهاد والحرب المسلحة؛ لأن النبي قطع عدة مراحل في مسيرة الدعوة:

١ ـ الدعوة والإصلاح القلبي وبناء القوة الذاتية.

٢ ـ التكوين وتعبئة القوى.

٣ ـ الدفاع أو الهجوم.

التعاليم:

١ ـ لا يجوز الجهاد بدون إذن من الله ورسوله، ﴿أُذِنَ﴾.

٢ ـ المظلومون مسموحٌ لهم أن يجاهدوا بوجه أعدائهم، ﴿أُذِنَ... بِأَنَّهُمْ ظُـلِمُوا۟﴾.

٣ ـ تتنزل النُصرة من الله بعد قيامنا نحن وتحركنا، ﴿أُذِنَ... وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَـدِيرٌ﴾.

٤ ـ عليكم بتقوية الروح المعنوية للمحاربين، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَـدِيرٌ﴾.

٥ ـ الحق منتصرٌ على الباطل، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَـدِيرٌ﴾.

٦ ـ المدد الإلٰهيّ لا يقتصر على الجانب العسكري فقط، وإنما يشتمل على أنواع عديدة من النُصرة والإمداد، ﴿نَصْرِهِمْ﴾، وقد ورد هنا في صورة مطلقة.

٧ ـ النُصرة الإلٰهيّة أمر حتمي، (كلمة «إِنَّ» وحرف اللام في كلمة ﴿لَقَـدِيرٌ﴾، والجملة الاسمية).

٨ ـ دائرة المدد الإلٰهيّ والعون الرباني للمؤمنين دائرة واسعة، فقد قال تعالى: ﴿قَدِيرٌ﴾ ولم يقل: «قادر».

﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾

إشارات:

- كلمة «صَوامع» جمع «صومعة»، وتعني الدير ومحل عبادة الرهبان ورياضتهم في الصحاري والمغارات. وكلمة «بِيَع» جمع «بيعة»، وهي مكان عبادة النصارى. وكلمة «صَلوات» جمع «صلاة»، وهي الكنيس ومكان عبادة اليهود.
- خراب المسجد يعني القضاء على الاتحاد وهيئته، وقطع العلاقة مع الإمام العادل، ونسيان الفقراء، وعدم الاطلاع على الأوضاع، والغفلة عن الله. ولهذا لو استطاع العدو لاقتلع هذه المراكز من جذورها ودمرها أولاً، ﴿لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ...﴾.
- عن الإمام الصادق: «**تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام من الذكر الكثير الذي قال الله عز وجل فيه**: ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾»[1].

التعاليم:

١ ـ التشرد بعيداً عن الوطن من أجل عقيدة التوحيد أبرز نماذج الظلم وأوضحها، ﴿ظُلِمُواْۚ... ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ﴾.

٢ ـ التعلق بالوطن والارتباط به حقٌ طبيعي للإنسان، وإخراجه من وطنه سلبٌ لهذا الحق وظلم، ﴿أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾.

٣ ـ إبعاد المفسدين في الأرض ونفيهم حقٌّ ورد في القرآن الكريم، وإبعاد المؤمنين ظلمٌ وجورٌ، ﴿بِغَيۡرِ حَقٍّ﴾.

---

(١) الكافي، ج ٢، ص ٥٠٠.

٤ ـ يُبتلى الإنسان المتدين بالشدائد والمكاره، ﴿أُخْرِجُوا... إِلَّآ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾.

٥ ـ المؤمنون وسيلة من وسائل تحقيق الإرادة الإلٰهيّة، ﴿دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾، (الدفاع من الله ولكن بيد المؤمنين).

٦ ـ يجب بذل الدم أحياناً من أجل المحافظة على دور العبادة، ﴿دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ...﴾.

٧ ـ الشيء المهم هو الدفاع عن حرمة المساجد، سواء بالحرب أو بالقلم والبيان أو بأي أسلوب آخر، ﴿دَفْعُ ٱللَّهِ...﴾.

٨ ـ أهم خطة عند العدو هي القضاء على المراكز الدينيّة التي تنشر اليقظة، ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾، (دُور العبادة علامة على تواجد الدين في المجتمع).

٩ ـ ليس مهماً اسم دار العبادة، فالكفار والمعتدون يعارضون ذكر الله ويصدون عن سبيله بأي شكل وفي أي مكان، ﴿صَوَٰمِعُ... بِيَعٌ... صَلَوَٰتٌ... وَمَسَٰجِدُ﴾.

١٠ ـ ذِكر الله هو الهدف الأصيل وروح الأعمال في الأماكن الدينية، ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ﴾.

١١ ـ المساجد التي يمتدحها القرآن الكريم هي التي يُذكر الله فيها كثيراً، ولا يُكتفى فيها بالحد الأدنى لذكره، ﴿وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾، (تكون أكثر قداسة في أي مكان يكثر فيه ذكره).

١٢ ـ يتنزل المدد الإلٰهيّ والنُصرة الربانية بعد التحرك والسعي، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾

إشارات:

□ عندما تكون القوة والإمكانيات في يد الصالحين فإنهم يُحسنون استثمارها،

وعندما تقع في يد المنافقين الجاحدين فإنهم يسيئون استخدامها. وبناءً على هذا فإن الدنيا والقوة يغدوان نعمة لفريق ونقمة لفريق آخر. وقد ذكر القرآن الكريم نموذجاً لكلا الفريقين: إذا وصل المؤمنون إلى السلطة فإنهم سوف يبحثون عن إقامة الصلاة وأداء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكنّ المنحرفين الجاحدين إذا ما أصبحوا من ذوي السلطان فإن أمرهم لا يفارق الطغيان، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾[1] ويسيرون في طريق القضاء على المصادر الاقتصاديّة وإفناء الجنس البشري، ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[2] ويجرّون الناس في النهاية إلى الجحيم، ﴿أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾[3].

التعاليم:

١ ـ يأتي عون الله عن طريق إحياء الدين، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾، ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ...﴾.

٢ ـ يحتاج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى القوة، ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ﴾.

٣ ـ يُهيّيء انتصار المؤمنين الساحةَ من أجل العبادة والتعاون المالي والثقافي، ويقضي على الغفلة والغرور، ﴿إِن مَّكَّنَّٰهُمْ...﴾.

٤ ـ الأرض كلها واحدة بالنسبة للمؤمنين، وحيثما امتلك هؤلاء القوة فإنهم سوف يحققون هدفهم المقدّس، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

٥ ـ علينا أن نعلم أن القُوى كلها من الله، ﴿مَّكَّنَّا﴾.

٦ ـ الثمرات الأولى لحكم الصالحين هي الصلاة والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾.

٧ ـ لا تنفصل العلاقة مع الله عن مساعدة المحرومين وتوعية المجتمع ومنع المفاسد، ﴿أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ...﴾.

---

(١) سورة العلق: الآية ٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٠٥.

(٣) سورة القصص: الآية ٤١.

٨ ـ إقامة الصلاة وأداء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الواجبات والأعمال المؤكدة المنوطة بمسؤولي الدولة الإسلاميّة، ﴿أَقَامُوا﴾.

٩ ـ الحكام المؤمنون يفكرون في الارتقاء الروحي ونمو الأمور المعنوية، ويعملون على توفير الرفاهية وحل المشكلات الاقتصاديّة والقضاء على الفقر وإصلاح المجتمع، ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ...﴾.

١٠ ـ يتمتع المجتمع بحماية الله إذا ما امتلك هذه القيم المحورية الأربعة: الصلاة والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾، ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾.

١١ ـ يكون أمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر مؤثراً في المجتمع عندما تقومون بواجباتكم الفردية أولاً، ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ... وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ﴾.

١٢ ـ تحتاج إقامة الصلاة إلى قوة وإمكانات، ﴿إِن مَّكَّنَّاهُمْ... أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾.

١٣ ـ الزكاة والصلاة قرينان لا ينفصل أحدهما عن الآخر، ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ (جاءت الزكاة جنباً إلى جنب مع الصلاة في ٢٨ آية من آيات القرآن).

١٤ ـ عليكم ألا تطمئنوا إلى حسن عاقبتكم والنتيجة النهائية لأعمالكم على الرغم من القيام بالتكاليف والواجبات كلها، ولكن ينبغي أن يكون لديكم أمل في الله وتوكّل عليه، ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.

١٥ ـ لن تتوفّر هذه الإمكانيات في أيديكم إلا زمناً قليلاً، ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾

التعاليم:

١ ـ لا ينبغي أن يمنعنا تكذيب الأعداء من مواصلة الطريق، ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ...﴾.

٢ ـ عليكم ألا تخافوا العدو، ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ (الله يواسي النبي ويشد من أزره) حتى لو تصدّى لكم.

٣ ـ التاريخ يتكرر، ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ عبر أزمنة وأمم غابرة.

٤ ـ عليكم بالاستفادة من التاريخ في التربية وأخذ العِبرة، ﴿قَبْلِهِمْ﴾.

٥ ـ كُذِّب نوح وإبراهيم ولوط من جانب أقوامهم، ﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ... وَقَوْمُ لُوطٍ... قَوْمُ نُوحٍ﴾، ولكن موسى لم يُكذَّب من قومه، وإنما لقي التكذيب من جانب أقباط مصر؛ لذا قال تعالى: ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ ولم يقل سبحانه: «قوم موسى».

٦ ـ جرت سُنَّة الله على إرسال الأنبياء، (نوح، إبراهيم، موسى، شعيب، لوط).

٧ ـ يُمهل الله تعالى المفسدين، ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾ ولكن لا يهملهم.

٨ ـ على المفسدين ألا يَعدُّوا إمهال الله لهم علامة على محبته أو غفلته، ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾.

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «خاوية» من «خواء»، وتعني الانهيار والسقوط، وكلمة «مَشيد» تأتي بمعنى القصر المرفوع البنيان، وبمعنى القصر المُزخرف أيضاً.

التعاليم:

١ ـ غضب الله على الظالمين ليس حادثاً جديداً، بل هو سيرة مستمرة عبر الزمن، ﴿فَكَأَيِّن﴾.

٢ ـ عليكم أن تدرسوا التاريخ وتتعلموه، ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ...﴾ لتستفيدوا وتعتبروا.

٣ ـ عاقبة الظلم هي الهلاك والفناء، ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ... أَهْلَكْنَاهَا﴾.

٤ ـ لا سقف يبقى في مواجهة غضب الله ولا أعمدة، ﴿خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾

التعاليم:

١ ـ الرحلات العلمية والتجريبية عمل قيّم، ووسيلة مطلوبة من أجل توسيع رقعة المعرفة، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ﴾.

٢ ـ المكان والزمان محلّ للدرس، وأولئك الذين لا يعتبرون يستحقون اللوم والتوبيخ، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

٣ ـ ثمّة فريق من الناس لا يعملون بنصيحة الرُسل والأنبياء، ولا يتّبعون العقل الذي هو رسول داخلي، ﴿يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾.

٤ ـ العقل والأذن والعين من أدوات المعرفة، ﴿يَعْقِلُونَ... ءَاذَانٌ... أَبْصَٰرُ﴾.

٥ ـ عمى القلب الذي لا يُبصر بالنصيحة أسوأ من عمى العين، ﴿تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ﴾ نعم، إن الإصرار على العناد ومعاداة الحق يمسخان الإنسان، ويصلان به إلى حيث لا يُدرك الحقيقة بالعقل أو بالعين أو بالأذن.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾

إشارات:

□ كان الكفار يسألون الأنبياء مرات ومرات عندما يسمعون تحذيراتهم: متى سيحل بنا ذلك العذاب الإلٰهيّ الذي تتحدثون عنه؟ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1]، وهذه الآية تَردُّ على سؤالهم، وتُطالبهم بألا يتعجلوا؛ لأنَّ وعد الله لا ريب في مجيئه.

(١) تكررت هذه الآية ست مرات في القرآن الكريم.

التعاليم:

١ ـ علينا ألا نَعدَّ إمهال الله علامةً على غفلته وتخليه عنَّا، ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ﴾.

٢ ـ لا ينبغي أن تؤثّر علينا اللجاجة والضجيج والأسئلة التي تأتي في غير محلها، ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ﴾.

٣ ـ يختلف الزمان عندنا عنه عند الله تعالى، ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ
ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾

التعاليم:

١ ـ إمهال الظالمين سُنَّة من السُنن الإلٰهيّة، ولهذا فإن عجلَتنا لا فائدة منها، ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ﴾.

٢ ـ ظلم الإنسان هو السبب في العذاب الإلٰهيّ، ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾
فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾
وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾

التعاليم:

١ ـ لا يتحدث الرُسل بشيء من عند أنفسهم، ﴿قُلْ﴾ بل هم يرددون الوحي.

٢ ـ إنذار الأنبياء لمصلحة الناس، ﴿لَكُمْ﴾ بمعزل عن أيّ فائدة تعود على المنذِر.

٣ ـ ليس للنبي حق التحكم في الناس والسيطرة عليهم وإجبارهم، ﴿إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

٤ ـ يحتاج الناس إلى الإنذار أكثر من التبشير، ﴿أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ﴾.

٥ ـ يتحدث النبي مع الناس بوضوح لا لبس فيه، ﴿مُّبِينٌ﴾.

٦ ـ لا ينفصل الإيمان عن العمل الصالح، (الاثنان معاً هما شرط التمتع بالثواب الإلٰهيّ)، ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ...﴾.

٧ ـ يتقدّم الثواب المعنوي على الثواب المادّي، ﴿مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾.

٨ ـ يكون للرزق قيمة عندما يقترن بالكرامة والتكريم، ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾.

٩ ـ لا يستطيع أي إنسان أن يمنع تحقيق الأهداف الإلٰهيّة، حتى لو سعى الكفار في ذلك وعملوا من أجله، ﴿سَعَوۡاْ﴾.

١٠ ـ ليس لدى الكفار كلام جديد ولا منطق سديد، وعملهم مُجرد سعي من أجل إبطال طريق الحق، ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾.

١١ ـ الجحيم مقرٌ دائم لفريق من الناس، ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ وهم طبعاً الضالّون.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٢﴾﴾

إشارات:

❑ الناس مجموعات عدة في مواجهتهم لوساوس الشيطان:

١ ـ أفراد تعمل وسوسة الشيطان في أرواحهم عملها، ﴿يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾[(١)].

٢ ـ البعض يمسّهم طائف من الشيطان، ولكنهم سرعان ما ينتبهون لذلك، ويطردونه عنهم، ﴿مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾[(٢)].

٣ ـ جماعة يصحبهم الشيطان دائماً، ﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ﴾[(٣)].

أنبياء الله ليسوا من بين أيّ مجموعة من هذه المجموعات الثلاث، فهم المعصومون، والشيطان ليس قريناً لهم، ولا يوسوس في أرواحهم، ولا يمسهم.

---

(١) سورة الناس: الآية ٥.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٢٠١.

(٣) سورة الزخرف: الآية ٣٦.

إن الشيطان يُلقي بوسوساته وشبهاته في تدبيرهم وأمنياتهم، وجديرٌ بالذكر أن حساب تدبير الأنبياء وتخطيطهم لأهدافهم ينفصل عن حسابهم الشخصي.

التعاليم:

١ ـ نبي الإسلام ﷺ هو آخر الأنبياء، ﴿قَبْلِكَ﴾ (لا توجد في القرآن كله كلمة «بعدك» عند الحديث عن نبي الإسلام).

٢ ـ كان التضاد بين الحق والباطل حدثاً دائماً، ﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ...﴾.

٣ ـ ليس كل الرسل والأنبياء في مستوى واحد، ﴿رَّسُولٍ... نَبِيٍّ﴾ (الرسول مسؤول عن الدعوة الشاملة الواسعة، أمَّا النبي فليس على هذا المستوى).

٤ ـ للأنبياء تدبير وتخطيط من أجل أهدافهم، ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾.

٥ ـ لا يؤثر الشيطان في الأنبياء، ولكنه يوسوس في أهدافهم، ﴿أُمْنِيَّتِهِۦ﴾.

٦ ـ تهدد وساوس الشيطان أفضل الخطط والتدابير أيضاً، ﴿أُمْنِيَّتِهِۦ﴾.

٧ ـ يمحو الله الباطل في صراعه مع الحق، ويثبّت الحق تثبيتاً، ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ... ثُمَّ يُحْكِمُ﴾.

٨ ـ عليكم ألا تتعجلوا انتصار الحق على الباطل، «كلمة ﴿ثُمَّ﴾ تدل على التراجي وطول المدة».

٩ ـ لا يثبُت الحق ويصمد بدون حماية الله تعالى، ﴿يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾.

١٠ ـ التضاد بين الحق والباطل، وانتصار الحق على الباطل، خطة حكيمة من عند الله العليم، ﴿يُحْكِمُ ٱللَّهُ... عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾

التعاليم:

١ ـ ما يُلقيه الشيطان من وساوس وشبهات هو وسيلة من أجل اختبار ذوي

القلوب المريضة والقاسية، ﴿فِتۡنَةً﴾ (المرض النفسي وقسوة القلب أرضية مناسبة للوقوع في شِراك الفتن وفخ الشيطان).

٢ ـ على الرغم من أن قسوة القلب نوع من أنواع المرض النفسي فإنها وردت منفصلة حتى تبرزَ أهميتُها، ﴿وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ﴾.

٣ ـ قُساة القلوب الذين يقعون تحت تأثير وساوس الشيطان يغدون ظالمين، ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ (٥٤)﴾

إشارات:

❑ لوساوس الشيطان أثران في تدابير الأنبياء، ونسخُها يكون من قِبل الله تعالى:

١ ـ هي وسيلة لاختبار أصحاب القلوب المريضة والقاسية قلوبهم.

٢ ـ إبطال شبهات الشيطان يسهم في تنوير القلب وإيمان أهل العلم.

التعاليم:

١ ـ العلم هو الذي يمنح الإنسان القدرة على تمييز الحق من الباطل (وليس المحفوظات التقليدية والسطحية)، ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ...﴾.

٢ ـ ترتبط العوائد والثمار المادّية أو المعنوية في بعض الأحيان بالخُلُق الشخصي للفرد وطبعه. فهناك شبهة شيطانية تكون فتنة بالنسبة لأصحاب القلوب القاسية؛ ولكنها تصبح مفتاح معرفة بالنسبة لأهل العلم، ﴿لِيَعۡلَمَ﴾.

٣ ـ العلم هبة إلَهية توهب للأفراد، ﴿أُوتُواْ﴾.

٤ ـ لا ينبغي لأهل العلم أن يكونوا قساةً مرضى القلب؛ لأن عبارة ﴿أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ وقعت في مقابل قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ الذي جاء في الآية السابقة.

٥ ـ العلم من الله ﴿أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، والحقّ منه ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾، والهداية من عنده أيضاً، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

٦ ـ يعدُّ العلم والإيمان والخضوع من مراحل تكامل الإنسان، ﴿أُوتُوا الْعِلْمَ... فَيُؤْمِنُوا... فَتُخْبِتَ﴾.

٧ ـ يهدي الله كلَّ من يخطو خطوة الإيمان الأولى إلى الخطوات التالية، ﴿فَيُؤْمِنُوا... وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ﴾.

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ
السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾

التعاليم:

١ ـ إذا كان الشك مُقدمة للبحث والإيمان فهو شكٌ مهمّ ومطلوب، أما إذا كان شكّاً دائماً فإن نهايته هي الانحراف والعذاب، ﴿لَا يَزَالُ﴾.

٢ ـ يجب عدم توقّع الإيمان من الناس كلهم؛ لأنه ليس هناك أي دليل واضح أو برهان مؤثّر بالنسبة لفريق منهم، ﴿لَا يَزَالُ... فِي مِرْيَةٍ﴾.

٣ ـ يصطدم مَن قَبل خط الكفر ورضي بمحاربة الحق بسوء الظن والشك عند مواجهة أي حقيقة، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ﴾.

٤ ـ علينا ألا نغفل أبداً لأن الموت يأتي بغتة والقيامة تقوم فجأة، ﴿بَغْتَةً﴾.

٥ ـ ليست هناك فرصة بعد يوم القيامة لنعوض ما فعلناه في الماضي، ﴿عَقِيمٍ﴾.

﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾﴾

التعاليم:

١ ـ ليس لأي إنسان أية قوة يوم القيامة إلا بإرادة الله، ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾.

٢ ـ يكون قضاء الله وحكمه على أساس أعمالنا، ﴿يَحْكُمُ... فَالَّذِينَ آمَنُوا... جَنَّاتٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾

التعاليم:

١ ـ إن معيار حُكم الله يوم القيامة هو كفر الناس وإيمانهم، ﴿يَحْكُمُ... فَالَّذِينَ آمَنُوا... وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

٢ ـ إن جزاء من لا يقبل الحق تكبّراً هو العذاب المهين، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا... لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾

التعاليم:

١ ـ الهجرة الهادفة فعل ذو قيمة، ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾.

٢ ـ موت المهاجرين يعادل الشهادة، ﴿قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾ (ليس المُهم هو الموت أو الشهادة، وإنما المُهم هو أن يكون ذلك في سبيل الله).

٣ ـ لا يأسَ في طريق الله أو قنوط، فإذا حُرم عباد الله الصالحون من متع الدنيا ولذاتها فإنهم سيصلون إلى نِعم الآخرة العظيمة، ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ﴾.

٤ ـ تحقّق وعود الله أمر يقيني، ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ﴾ (حرف اللام وحرف النون) للتوكيد.

٥ ـ يكون رزق الدنيا رزقاً حسناً حيناً ومُرّاً حيناً آخر، ولكن أهل الجنّة يتمتّعون بالرزق الحسن فقط، ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾.

٦ ـ الرازق الحقيقي هو الله، والآخرون أسباب ووسائط للرزق فقط، ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

٧ ـ المسكن الجميل والمكان المقبول من أبرز نماذج الرزق الحسن، ﴿رِزْقًا حَسَنًا... مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾.

﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٦٠﴾

إشارات:

▫ نُقِل في تفسير «نمونه» (الأمثل) أنّ المشركين قالوا في شهر محرم: سوف نهاجم المسلمين؛ لأنّهم يُحرّمون الحرب والقتال في هذا الشهر، ولأنهم لن يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم. لكن هذه الآية تُصرح بأن الدفاع عن النفس واجب في أي شهرٍ يكون.

التعاليم:

١ ـ الدفاع حق طبيعي لكل إنسان، ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾.

٢ ـ العدل قيمة في كل مكان وأوان، ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ﴾.

٣ ـ الله هو معين المظلومين، ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾.

٤ ـ لا يقترن عون المظلوم دائماً بالقضاء على الظالم، فالله يُساعد المظلوم، ولكن من الممكن أن يحظى الظالم أيضاً بالعفو الإلٰهيّ لسبب من الأسباب، ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ... لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝٦١﴾

إشارات:

▫ قال الله تعالى في الآية السابقة: ﴿لَيَنصُرَنَّهُ﴾، أي: نحن نُعين المظلوم وننصره. وقد أشار سبحانه في هذه الآية والآية التي تليها إلى أسباب النُصرة وخلفياتها، وهي عبارة عن:

١ ـ قدرة الله، ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ﴾.

٢ ـ علمه، ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.
٣ ـ كونه الحق سبحانه، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾.
٤ ـ عظمته، ﴿ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

التعاليم:

١ ـ وكغيض من فيض فإنَّ قدرة الله وعلمه في تحول الليل والنهار إشارة إلى قدرته على نُصرة عباده، ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ﴾.

٢ ـ تحوّلات الليل والنهار ليست من قبيل الصدفة، وإنما هناك مُدبّر حكيم وعالم يدبر شؤون العالم، ﴿يُولِجُ...﴾.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾

التعاليم:

١ ـ يعدّ تحول الليل والنهار دليلاً ناطقاً على تدبير الله وربوبيته ووحدانيته، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾.

٢ ـ كل معبود غير الله وهْمٌ، ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ... مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾.

٣ ـ وحده الله المتعال هو معيار الحق وليس أي شيء آخر، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾

التعاليم:

١ ـ التأمّل في الكون من مناشئ الإيمان بالله، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

٢ ـ يعمل الله في عالم الوجود على أساس العوامل الطبيعية، ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ﴾.

٣ ـ آثار الطبيعة وبركاتها من الله سبحانه (إذا اخضرت الأرض الميتة وابتهجت الطبيعة بفعل الأمطار فإن ذلك من لطف الله)، ﴿فَتُصْبِحُ... إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾.

﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ
وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾

إشارات:

❑ وجود الإنسان مُحاط بالفقر من بدايته إلى نهايته، فهو يحتاج إلى الهواء والغذاء والمسكن والملبس وأشياء أخرى، وإذا ظن أنه ليس بحاجة إلى أحد في جانب من أموره فإنه سيطغى، وهو الأمر الذي تتبعه أعراضٌ وأخطارٌ من قبيل: اللامبالاة والغفلة والاستغلال. ولكن الله تعالى هو ﴿ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾، فهو الغني المطلق، والمستحق لكل ألوان الحمد والثناء.

التعاليم:

١ ـ الكون فقير محتاج، والله وحده هو الغني، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ﴾.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ
تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ
إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٥﴾﴾

إشارات:

❑ المقصود بتسخير المخلوقات هو أن تسير جميعها في مسار حاجات الإنسان ومصالحه، فالشمس على سبيل المثال مُسخرة لنا، أي أننا نستفيد منها بالنور والحرارة والدفء...

❑ تُذكر السفن إلى جوار النِّعم الأرضية بسبب دورها المهم، فها هي عجلة الاقتصاد في العالم تتضرّر إذا توقفت السفن يوماً واحداً في زمننا هذا.

التعاليم:

١ ـ التأمّل في الخلق يبعث على الإيمان، ويُفجّر العشق أيضاً، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

٢ ـ تسخير عالم الوجود مرهون بإرادة الله تعالى، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم﴾.

٣ ـ يستطيع الإنسان أن يُسيطر على الأرض ويتغلب على ظواهرها ومخلوقاتها، وهو حق مشروع له، ﴿سَخَّرَ لَكُم﴾ (الإنسان أشرف المخلوقات على الأرض).

٤ ـ تسير الطبيعة في مسار الإرادة الإلٰهيّة، ﴿تَجْرِي... بِأَمْرِهِۦ﴾.

٥ ـ السماء وأجرامها لا يمكن أن تسقط؛ لأن الله قد حفظها من السقوط، ﴿وَيُمْسِكُ﴾.

٦ ـ يحتاج قيام نظام الخلق إلى حفظ دائم من الله لحمايته من الانهيار والتهاوي، ﴿يُمْسِكُ﴾.

٧ ـ القوانين الطبيعية لا تمنع الإرادة الإلٰهيّة، ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾.

٨ ـ يعود السبب في الفضل الإلٰهيّ إلى رأفة الله ولطفه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وما تسخير الطبيعة من أجل الإنسان وحركة السفن في البحر وصيانة الأرض من اصطدام الكواكب السماوية بها إلّا مظاهر للرأفة الإلٰهيّة الواسعة والرحمة الربانية الشاملة، ﴿سَخَّرَ لَكُم... تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ... وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ... لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

٩ ـ كل الناس مشمولون بلطف الله تعالى، ﴿بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ...﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾

التعاليم:

١ ـ على الرغم من أن موت الإنسان وحياته وماضيه وحاضره ومستقبله بيد الله

تعالى فإن الإنسان يُظهر العصيان والجحود، ﴿أَحْيَاكُمْ... إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ﴾.

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَـٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾

إشارات:

- يجب أن تصدر للإنسان أوامر جديدة في الظروف المختلفة بالإضافة إلى الأوامر العامة والثابتة؛ لأن الإنسان لديه احتياجات موسمية واجتماعيّة مُتغيرة. كالطبيب الذي يُغيّر ما يقرره من أنوع الدواء باختلاف حالة المريض وظروفه، والفقهاء في زماننا يحددون للمسلمين القضايا الجديدة في إطار القوانين العامة والثابتة.
- قال بعضٌ إنّ كلمة «مَنسَك» مصدر بمعنى «النُسك» وتقديم الأضحية، وبهذا يكون معنى هذه الآية هو: نحن قررنا لكل أمة نوع الأضحية والقرابين التي كانوا يقدمونها، وبناءً على هذا فإن المشركين لا يحق لهم أن يتملصوا من منسك التضحية عندك.

التعاليم:

١ ـ لا يترك الله أمّةً من الأمم بدون منهج، ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ﴾.

٢ ـ يجب أن يكون الدين من عند الله تعالى، ﴿جَعَلْنَا﴾.

٣ ـ يجب على الناس أن يسيروا في طريق الله، ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾.

٤ ـ وظيفة الداعية هي هداية الأمة والاستقامة على هذا الطريق، ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾.

٥ ـ الطريق الصحيح هو طريق الأنبياء، ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى﴾.

٦ ـ تقوية قادة الحق ضرورة لازمة في مواجهة جدال المعارضين ومعاداتهم وتثبيطهم للعزيمة، ﴿فَلَا يُنَـٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ... إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾.

٧ ـ يجب على مَن يتصدى لمسؤولية إرشاد الآخرين أن يُحكِم سيطرته على طريق الحق والاستقامة، ﴿لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾، ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1] (كلمة «عَلى» ترمز إلى السيطرة).

﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾﴾

التعاليم:

١ ـ يُواسي الله تعالى رسولَه ويُعلّمه، ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ﴾.

٢ ـ كان الأنبياء يتعرضون لعناد المعاندين على الرغم من كل هذا المنطق وكل تلك المعجزات التي قدّموها، ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾.

٣ ـ ذكرُ الله وتفويض الأمر إليه أفضل وسيلة من أجل الراحة والسكينة، ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ...﴾.

٤ ـ لا تصطدموا بالمعاندين وأهل الجدل، ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾.

٥ ـ الله تعالى هو نفسه القاضي والحَكَمُ يوم القيامة، وهو الشاهد والعالم، ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ... ٱللَّهُ يَحْكُمُ﴾ (يكون القضاء الكامل في ظل العلم الكامل).

٦ ـ الإيمان بعلم الله وحُكمه يريح المؤمنين ويطمئنهم، ويهدد الكافرين ويزعجهم، ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ... ٱللَّهُ يَحْكُمُ﴾.

٧ ـ الإيمان بالقيامة هو أفضل مؤشر من أجل كبح جماح الاختلافات والمجادلات، ﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

٨ ـ للصدام بين جبهة الحق وجبهة الباطل تاريخ طويل، ﴿كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (كلمة «كُنتم» المصاحبة للفعل المضارع علامة على التاريخ الطويل).

---

(١) سورة يس: الآيتان ٣ ـ ٤.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾

التعاليم:

١ ـ علم الله شمل الكون دون استثناء، ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

٢ ـ علم الله مُثبت في كتاب، ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ (أو أن الأعمال التي ستقومون بها، مما وردت الإشارة إليه في الآيتين السابقتين، مُثبتةٌ في الكتاب).

٣ ـ إحاطة علم الله بالأمور كلها وإثباتها في كتاب مخصوص أمر يسير على الله، ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾

إشارات:

❑ كانت وجهة نظر المشركين هي أن العالم يخضع لتدبير الآلهة (الأرباب)، وتقول هذه الآية: إن الله لم يجعل لكم أي دليل أو مستند حول هذه العقيدة، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ ولم يحتّكم عليها.

❑ ربما كان المُراد من ذكر كلمة «سُلطان» في الآية هو سُلطان العلم، أي أن المشركين يعبدون الأوثان والأصنام التي لم يُرسل الله تعالى على الإطلاق دليلاً أو برهاناً من العلم والمنطق أو الوحي لتأييدها.

التعاليم:

١ ـ إمَّا أن يكون الدافع للعبادة أمراً من الله: ﴿يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾، وإما إرشاداً من العقل والعلم: ﴿لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾، وإما أملاً في العون والمدد، ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ والمشركون لا يملكون من هذا شيئاً.

٢ ـ كل عبادة ليس عليها دليل من الوحي والعلم هي ظلمٌ، ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾

إشارات:

- كلمة «يَسطون» من «سطو» التي تعني الحملة والهجوم.
- تتركز هجمات الكافرين في الصراع الدائر بين الكفر والإيمان على المراكز والشخصيات المعنوية والثقافية، فهم يستهدفون مراكز العبادة حيناً، وهو ما نقرأه في الآية ٤٠ من هذه السورة: ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ﴾، ويهاجمون الدُعاة وناشري الدين أو المستمعيّن لهم في حين آخر، ﴿يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ﴾.

التعاليم:

١ ـ يُقيم الله تعالى الحجة على الكافرين، ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾.

٢ ـ يجب أن تكون الحجة واضحة والاستدلال جليّاً، ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾.

٣ ـ بُغض الكافرين لا يخفى، ولا يستتر كرههم، ﴿تَعْرِفُ... يَسْطُونَ﴾.

٤ ـ الإنكار القلبي والروحي يؤثّر في الجسم، ﴿فِى وُجُوهِ﴾.

٥ ـ يتمسك مَن لا يملك البرهان بالهجوم والبطش، ﴿يَسْطُونَ﴾ (الاستعانة بالقوة دليل على العجز في المنطق).

٦ ـ على الدعاة أو المؤمنين أن يُعِدّوا أنفسهم لهجوم المعارضين والمخالفين، ﴿يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ﴾.

٧ ـ الدعوة الدينيّة الواضحة نيران تحرق أرواح الكافرين، ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ﴾.

٨ ـ عليكم بذكر الجحيم لإنذار المعاندين وتهديدهم، ﴿ٱلنَّارُ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾

التعاليم:

١ ـ يجب أن يتناسب أسلوب الخطاب مع المخاطَبين، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ... تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، فالمشركون ليسوا في المرحلة التي يُقال لهم فيها أفضل من قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾.

٢ ـ علينا عند دعوة الناس وإرشادهم أن نُهيّئهم أولاً للاستماع، ثم نتحدث معهم بعد ذلك، ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾.

٣ ـ فلننتبه إلى الأمثال القرآنية ونهتم بها، ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾.

٤ ـ لا يستطيع البشر أن يخلقوا مخلوقاً حيّاً ولو جمعوا قوّتهم كلها لهذا الأمر، ﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾.

٥ ـ علينا ألا نستصغر المخلوقات الصغيرة، ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ﴾ حتى الحشرات.

٦ ـ الإنسان الذي يقف عاجزاً أمام ذبابة لا يستحق أن يُعْبَد من دون الله، ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾.

٧ ـ لقد قَبِل المشركون الله، ولكنهم كانوا يعبدون غيره أيضاً (التقدير الصحيح لله هو التوحيد)، ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾.

٨ ـ الدافع إلى الشرك هو الاستمداد من الشركاء، ولكن يجب تنحية ما دون الله جانباً، والسير في طريقه وحده، لأن القدرة والعزة لله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾.

﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٧٦﴾

إشارات:

- كلمة «اصطفى» مِن «صفوة» التي تعني الصافي والخالص، والاصطفاء علامةٌ على أن بعض الناس والملائكة لديهم الكفاءة والأهلية، وأنهم أصفياءٌ خالصون.
- ويروي أبو ذر عن النبي الأكرم ﷺ أن عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاثمائة وثلاثة عشر[١].
- ملائكة الله ليسوا متساوين، ودرجاتهم تختلف، ومسؤولياتهم أيضاً، فمقام البعض من قبيل جبريل وميكائيل وعزرائيل أرفع من مقام الآخرين تبعاً لمهماتهم.

التعاليم:

١ ـ اختيار النبي حقٌّ لله تعالى، فهو الخالق البصير، ﴿يَصۡطَفِي...بَصِيرٞ﴾ (ربما كانت كلمتا «سميع» و«بصير» ترمزان إلى أننا عندما نختار إنساناً ونعهد إليه بمسؤولية علينا أن نُراقب عمله ونُشرف عليه ونحميه).

٢ ـ ليس لكل شخص الكفاءة والاستعداد اللازمين لحمل الرسالة الإلٰهيّة، ﴿مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾.

٣ ـ العالم هو المكان الذي يتجلى فيه الله تعالى، ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ﴾.

٤ ـ والآن إذا كان الله يعلم، ونحن جميعاً نتجه إليه، فعلينا ألا نقترف الذنوب، ﴿يَعۡلَمُ... تُرۡجَعُ﴾.

---

(١) تفسير البرهان، ج ٣، ص ١٠٤؛ وج ٤، ص ٤٥٢.

٥ ـ خلق الله الخلق، وجعل الرجوع إليه في الأمور كلها، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾.

٦ ـ حركة الكون في اتجاه الله لا تحتاج إلى إرادته أو انعدامها، ﴿تُرْجَعُ﴾.

٧ ـ قافلة الوجود تنطلق في اتجاه هدف مُحدد، ﴿تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧)﴾

إشارات:

□ على الرغم من أن الركوع والسجود من مظاهر العبادة، فإن كليهما قد وردا في هذه الآية بجوار «واعبدوا»، وهي إشارة إلى أهميّة الصلاة التي تقوم على هذين الركنين.

□ هناك خطتان طرحتا من أجل سعادة الإنسان، ونجاتُه مرهونة بهاتين الخطتين:

أ ـ الخطة الثابتة، من قبيل الركوع والسجود والعبادات الأخرى.

ب ـ الخطة المُتغيرة والتابعة للزمان والمكان التي لها مظاهر خاصة من فعل الخير في كل وقت، ﴿ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟... وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾.

التعاليم:

١ ـ عمل الخير (والابتكارات والاختراعات والخدمات) يكون مُؤثراً حينما يستظل بمظلة الإيمان والعبودية لله، ﴿ءَامَنُوا۟، ٱرْكَعُوا۟... وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾.

٢ ـ لا تظنوا أنَّ نجاتكم أمرٌ حتميٌ حتى مع الركوع والسجود والتعبد وعمل الخير؛ لأن آفة الغرور وإحباط العمل لها أثرها الأكيد في السقوط، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

٣ ـ الفلاح والنجاة هما آخر مراحل التكامل، ويجب أن يكون الأمل في ذلك بعد القيام بالعبادات وأعمال الخير، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾

إشارات:

- نحن نعلم أن الشهادة تحتاج إلى العلم والعدالة، وليس الناس كلهم عادلين ولا عالمين حتى يستطيعوا أن يشهدوا على الآخرين. وبناءً على هذا، فإن المقصود بشهادة المسلمين التي وردت في هذه الآية هو أن بعضاً منهم يعلمون أعمال الناس وتصرفاتهم، كما أنهم علماء أمناء وعادلون، وهؤلاء الأفراد كما نقرأ في الروايات هم أهل بيت النبي والأئمة المعصومون عليهم السلام الذين تُعرض أعمالنا وتصرفاتنا عليهم.

- ذكر الله تعالى في بداية هذه السورة الزلزلةَ العظيمة ليوم القيامة والعذابَ الإلٰهيّ الشديد، وتحدث في نهاية السورة عن الجهاد والصلاة والزكاة، وذكر أنه سبحانه نِعم المولى ونِعم النصير لعباده أجمعين، وهذه النقطة تُعلمنا أن نكون عبيداً له وأن نلجأ إليه ونلوذ به من أجل النجاة من أخطار الزلزلة العظيمة يوم القيامة والخلاص من العذاب الإلٰهيّ الشديد، فالله هو ﴿نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾.

- نفي «الحرج» لا يعني انعدام الصعوبات في الأحكام الإلٰهيّة؛ لأنه تعالى يقول في هذه الآية: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾. ولا يخفى أن الجهاد عمل شديد الصعوبة. والمقصود بانعدام الحرج في الدين إذن هو أن الإسلام ليس فيه طريق مسدود لبعض المعضلات. ففي أمر الجهاد ـ على سبيل المثال ـ يُعفى المريض والأعرج والأعمى والمُسن والنساء والأطفال والعاجزون من القتال، ولكن الدفاع واجب على الرغم من كل صعوباته.

التعاليم:

١ ـ ترتبط قيمة الأعمال بدافعها وأسلوبها ومقدارها (يكون للجهاد قيمة حينما يكون، بالكامل، في سبيل الله)، ﴿فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾.

٢ ـ أنزلوا الناس منازلهم ﴿ٱجۡتَبَىٰكُمۡ... أَبِيكُمۡ... وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾ ولا تُشددوا عليهم أيضاً، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾.

٣ ـ علينا أن نُراعي قدرة الناس عند وضع القواعد والقوانين، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾.

٤ ـ الإسلام دين اليُسر، وأحكامه مَرنةٌ طيّعة، وحتى يُمكن تنفيذها في الأزمنة والأمكنة المختلفة، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾.

٥ ـ الإسلام مِلة إبراهيم، وله تاريخ مضيء جداً، ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾.

٦ ـ الأنبياء هم آباء الأمم، ﴿أَبِيكُمۡ﴾.

٧ ـ «المسلمون» هو الاسم المبارك الذي تم اختياره لنا من قبل، ﴿مِن قَبۡلُ﴾.

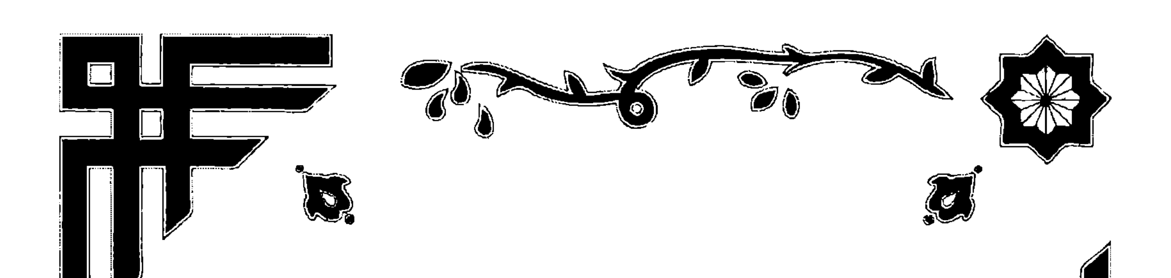
٨ ـ الرسول الأكرم ﷺ شاهد على أعمالنا، ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا﴾.

٩ ـ الصلاة والزكاة شكر لله تعالى (يجب أن نُقيم الصلاة شكراً لله على الاصطفاء والتاريخ واللياقة وشهادةً لأمة الإسلام على الناس)، ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾.

١٠ ـ علينا ألا نعتمد على الاجتباء والتسمية والإسلام فقط، بل علينا أن نحرس هذه المفاخر ونحافظ عليها بالصلاة والزكاة والاعتصام بالله، ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

١١ ـ شرعيّة الولايات والحكومات البشرية مرهونة بالوصول في النهاية إلى الولاية الإلٰهيّة، ﴿هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾.

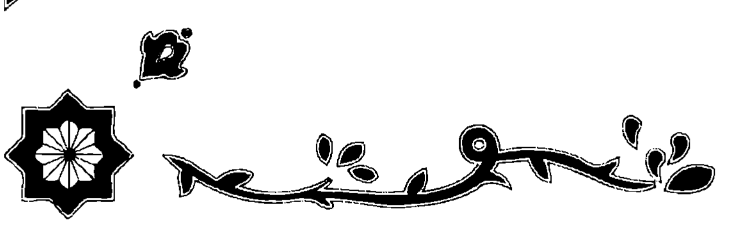
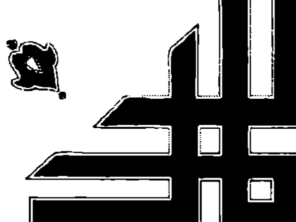
«الحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ المُؤمِنُون

السورة: ٢٣ الجزء: ١٨

عدد الآيات: ١١٨

ملامح سورة المؤمنين

تشتمل هذه السورة على مائة وثماني عشرة آية، وهي مكية.

اختير لهذه السورة اسم «المؤمنون» بسبب ما ذُكر فيها من سمات المؤمنين وآثار الإيمان وعلاماته في الآيات الأولى منها، ثم انتقلت السورة إلى استعراض سيرة أنبياءٍ كنوح وهود وموسى وعيسى عليهم السلام، وردود الأمم المختلفة على دعواتهم.

يقول الإمام الصادق عليه السلام في فضل تلاوة هذه السورة: «**من قرأ سورة المؤمنين ختم الله له بالسعادة، إذا كان يُدمن قراءتها في كل جمعة، وكان منزله في الفردوس الأعلى من النبيين والمرسلين**»[١].

---

(١) الشيخ الطبرسي، مجمع البيان، ج ٧، ص ١٧٥.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾
الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾

إشارات:

□ جاءت كلمة الفلاح مصحوبة بكلمة «لعلّ» في أحد عشر موضعاً في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. لكنها وردت في ثلاثة مواضع أخرى بدون هذه الكلمة للتأكيد على الحتميّة، وأحد هذه المواضع في هذه السورة، والآخر في سورة الشمس: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ والموضع الثالث في سورة الأعلى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾. وبمقارنة هذه المواضع الثلاثة أحدها مع الآخر يتضح أنَّ للإيمان والتزكية جوهراً واحداً.

□ أعظم أهداف الخطط والتدابير الإسلاميّة وغايتها هو الفوز والفلاح. وتحدّث كثير من آيات القرآن الكريم عن التقوى، والهدف من أحكام الدين هو الوصول إلى هذه التقوى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]، وآخر أهداف التقوى هو الفلاح أيضاً: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2]، ومن العجيب هنا، أنَّ أهم هدف من أهداف الدين الإسلامي، وآخرها، قد ورد في أول شعار من شعارات الإسلام: (قولوا لا إله إلا الله تُفلحوا)، أي آمنوا بوحدانية الله، وقولوا «لا إله إلا الله» حتى تفوزوا بالفلاح.

□ نحن نذكر جملة «حي على الفلاح» عشرين مرة بلساننا في كل يوم وليلة في الأذان والإقامة للصلوات اليومية، ونُعلن عن هدفنا النهائي بصوت عالٍ حتى لا نضل الطريق.

□ يقول الإسلام ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾[3]، فالمُفلحون هم الذين

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٣.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٣٠.
(٣) سورة الأعلى: الآية ١٤.

آمنوا وزكّوا أنفسهم. أمّا الكفر فيقول: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾[١]، فقد قال فرعون: المُفلح اليوم هو من يمتلك القوة والاستعلاء.

❑ كلمة «فلاح» تعني الفوز بالنجاة، وربما كان السبب في تسميتهم للمُزارع بالفلّاح هو أنه وسيلة النجاة للحبَّة. فالحبَّة التي تستقر في بطن الأرض تُنَجي نفسها وتصل إلى الفضاء الطلق مرة أخرى بثلاثة أعمال: الأول أنها تضرب بجذورها في أعماق الأرض، والثاني أنها تمتص المواد الغذائية من الأرض، والثالث أنها تدفع التراب الذي يزاحمها.

نعم، يجب على الإنسان أن يقوم بالأعمال الثلاثة التي تقوم بها الحبَّة من أجل إنقاذ نفسه والوصول إلى فضاء التوحيد والنجاة من ظلمات المادّيّات والأهواء والشهوات والطواغيت: عليه أولاً أن يُثبت جذور عقائده من طريق الاستدلال، وأن يجتذب مِن الإمكانيات التي وهبها الله له ما يساعده على التكامل والنمو المعنوي، وعليه ثالثاً أن يُزيح الأعداء كلهم، وأن يتخلص من أي معبود غير الله بكلمة «لا إلَه» حتى يصل إلى فضاء التوحيد الطلق.

❑ يُروى أنّ أحدهم كان يعبث بلحيته في الصلاة، فقال النبيّ الأكرم ﷺ: **«أما أنه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه»**[٢].

❑ عن الإمام الصادق عليه السلام عن المراد من الخشوع في الصلاة: **«الخشوع غض البصر في الصلاة»**[٣].

من هم المفلحون؟

ورد تصنيف فئات المفلحين في القرآن كما يلي:

١ ـ العابدون، ﴿وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٤].

٢ ـ أولئك الذين يقومون بالأعمال القيمة الثقيلة، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٥].

---

(١) سورة طه: الآية ٦٤.
(٢) تفسير كنز الدقائق.
(٣) بحار الأنوار، ج ٨١، ص ٢٦٤.
(٤) سورة الحج: الآية ٧٧.
(٥) سورة الأعراف: الآية ٨.

٣ ـ الذين يتجنبون البخل، ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[١].

٤ ـ حزب الله، ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٢].

٥ ـ الذاكرون الله كثيراً، ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣].

٦ ـ المتقون من أولي الألباب، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٤].

٧ ـ المجاهدون في سبيل الله، ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٥].

٨ ـ التائبون من المؤمنين، ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٦].

التعاليم:

١ ـ فلاح المؤمنين أمرٌ حتمي، ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾.

٢ ـ للإيمان شروط وعلامات، ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ...﴾.

٣ ـ تقع الصلاة على رأس البرامج الإسلاميّة، ﴿فِي صَلَاتِهِمْ﴾.

٤ ـ الحالة والكيفية مهمتان في الصلاة، ﴿خَٰشِعُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾

إشارات:

❑ يُطلق «اللغو» على ما لا فائدة منه من قول خصوصاً أو عمل عموماً.

❑ لا يختص المسلمون وحدهم بالابتعاد عن اللغو وتجنبه، وإنما يقول القرآن الكريم في وصفه للصالحين من أهل الكتاب: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ

(١) سورة الحشر: الآية ٩.
(٢) سورة المجادلة: الآية ٢٢.
(٣) سورة الأنفال: ٤٥.
(٤) سورة المائدة: الآية ١٠٠.
(٥) سورة المائدة: الآية ٣٥.
(٦) سورة النور: الآية ٣١.

عَنْهُ﴾[1]، فالمؤمنون من أهل الكتاب يفرُّون من اللغو أيضاً.

□ «الزكاة» في اللغة تعني الرشد والنمو والطُهر، وهي اصطلاحاً نوع من الضرائب الشرعية، ومن أركان الدين وواجباته.

□ المحافظة على الصلاة والعِرض في المجتمع الإسلامي مهمة جداً، وقد ذُكر قوله تعالى ﴿حَافِظُونَ﴾ في هذه الآيات عند الحديث عن العِرض والشرف، وجملة ﴿عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ عند الحديث عن الصلاة.

□ ثواب البُعد عن اللغو وتجنبه في الدنيا الحفظ من اللغو يوم القيامة، ﴿عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾، ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾[2].

□ لا ينبغي أن يكون الإعراض عن اللغو مصحوباً بالبذاءة والحِدة والفظاظة؛ لأنَّ الله تعالى يقول في آية أخرى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[3].

□ ورد في عددٍ من الروايات تفسير «اللغو» بمعانٍ عدّة، منها: الغناء، وما أسخط الله، وما لا يحلّ[4].

□ ونحن نقرأ في الروايات: «**لا تتزوج إلا عفيفة، إن الله ﷻ يقول:** ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ **فلا تضع فرجك حيث لا تأمن على درهمك**»[5].

أهميّة الزكاة

ـ الزكاة ركن من الأركان الخمسة التي بُني عليها الإسلام.

ـ وردت كلمة «زكاة» في القرآن الكريم ٣٢ مرة، وكلمة «بَرَكة» ٣٢ مرة، وكأن الزكاة تساوي البركة.

ـ ورد أن النبي الأكرم ﷺ أخرج الذين لم يؤدوا الزكاة من المسجد.

---

(١) سورة القصص: الآيات ٥٢ ـ ٥٥.

(٢) سورة الغاشية: الآية ١١.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٧٣.

(٤) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٤٢.

(٥) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٥٣١؛ والكافي، ج ٥، ص ٤٥٣.

ـ يُحارب الإمام المهدي عليه السلام تاركي الزكاة في ثورته الكبرى.

ـ يُقال لمن لا يؤدي الزكاة عند موته: مُت يهودياً أو نصرانياً.

ـ يطلب تارك الزكاة من الله تعالى لحظة موته أن يُعيده إلى الحياة الدنيا حتى يعمل عملاً صالحاً، لكن لات ساعة مندم إذ حان الأجل.

ـ عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: **«لو أدى الناس زكاتهم لما بقي على وجه الأرض فقير»**.

التعاليم:

١ ـ علامة الإيمان هي تجنب اللغو، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾، (يجب على المؤمن أن يكون له هدف صحيح في كل أعماله وأقواله).

٢ ـ البُعد عن اللغو مهمٌ إلى حد أنه ذُكر بين الصلاة والزكاة، ﴿خَاشِعُونَ... مُعْرِضُونَ... لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾.

٣ ـ أهميّة الزكاة كأهميّة الصلاة (جاءت الصلاة والزكاة إحداهما إلى جوار الأخرى في ٢٨ آية)، ﴿فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ... لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾.

٤ ـ الاعتقاد وحده لا يكفي، بل لا بد من إثباته بالعمل، ﴿الْمُؤْمِنُونَ... فَاعِلُونَ﴾.

٥ ـ الحياء شرط من شروط الإيمان، ﴿لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ (التلوث بالدنس الجنسي دليل على ضعف الإيمان).

٦ ـ الشهوة طاغية، يتوجب السيطرة عليها والحماية منها، ﴿حَافِظُونَ﴾.

٧ ـ لا بدّ من وجود قيود على إشباع الغريزة الجنسية، أمَّا المنع الكامل والحرمان فإنهما يُخالفان الفطرة، ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾.

٨ ـ الحياء في غير موضعه ممنوع، ومادام الإسلام قد أجاز القيام بعمل فإنَّ كل التقاليد والعادات والطبائع الشخصيّة والمخالفة للدين مرفوضة ومُدانة، ﴿غَيْرُ مَلُومِينَ... الْعَادُونَ﴾.

٩ ـ تحطيم القانون اعتداءٌ على الحدود التي وضعها الله تعالى، ﴿الْعَادُونَ﴾.

١٠ ـ البحث عن الذنب يعدّ ذنباً أيضاً، ﴿ابْتَغَىٰ... الْعَادُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾

إشارات:

- كلمة «الفردوس» تعني البُستان، والفردوس ربوة في الجنّة ووأوسطها وأفضلها[١]. ولما كانت هذه الكلمة قد استُخدِمت مكان كلمة الجنَّة فإن الضمير الذي جاء معها ورد مؤنثاً.
- تلا الإمام الصادق عليه السلام الآية السابعة في رده على حكم الاستمناء[٢].

أهميّة الأمانة في الروايات

- عن الإمام الصادق عليه السلام: **«لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده، فإنّ ذلك شيء اعتاده، فلو تركه استوحش لذلك؛ ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته»**[٣].
- عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال للإمام علي عليه السلام في آخر لحظات حياته: **«أدِّ الأمانة إلى البرّ والفاجر في ما قلَّ وجلَّ حتى الخيط والمخيط»**[٤]. أي: أدِّ الأمانة إلى صاحبها، سواء أكان برّاً محسناً أم فاجراً مُسيئاً، وسواء كانت الأمانة شيئاً قيماً أو لا قيمة له، ولو كانت بمقدار خيط أو قطعة من قماش مخيط.
- كل النِّعم المادّية والمعنوية والسياسيّة أمانة إلهية، (قال الإمام الخميني(قده): الجمهوريّة الإسلاميّة أمانة إلهية).
- امتدح القرآن الكريم بعض أهل الكتاب لأمانتهم، ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن

(١) جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج ٥، ص ٦.
(٢) وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ٥٧٥.
(٣) الكافي، ج ٢، ص ١٠٥؛ وللمزيد انظر مادة: «أمانة» في كل من: ميزان الحكمة؛ وسفينة البحار.
(٤) بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ٢٧٣.

﴿تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾[1]، أي أنك إذا أودعت مالاً كثيراً عند بعض أهل الكتاب فإنه يُعيده إليك.

التعاليم:

١ ـ المؤمن إنسانٌ ملتزم مسؤول، ﴿وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾، وإخلاف الوعد دليل على ضعف الإيمان.

٢ ـ مراعاة العهود والوعود أمر ضروري، حتى إذا لم نستطع الوفاء بها وتحقيقها. فقد قال تعالى: ﴿رَٰعُونَ﴾ ولم يقل: «موفون».

٣ ـ ذُكرت الصلاة في البداية عند تعريف سمات المؤمنين وصفاتهم: ﴿فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾، وذُكرت كذلك في النهاية ﴿عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾، وهذا التكرار والتأكيد دليل على أهميّة الصلاة.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾

إشارات:

- كلمة «سُلالة» تعني الخلاصة، وكلمة «علقة» تعني الدم الغليظ المتجمد، أمَّا كلمة «مُضغة» فتعني قطعة اللحم الممضوغة الخالية من العظام.
- عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾: **«فهو نفخ الروح فيه»**[2].
- المُراد من قوله تعالى «أحسن الخالقين» كما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام هو: **«أن الله تبارك وتعالى قد أخبر أن في عباده خالقين وغير خالقين، منهم عيسى بن مريم عليه السلام، خلَق من الطين كهيئة الطير بإذن الله فنفخ فيه فصار طائراً**

(١) سورة آل عمران: الآية ٧٥.
(٢) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٥٤١.

بـإذن الله ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[١]، **والسامري أخرج لهم عجلاً جسداً له خوار»**[٢].

❑ الأدلة كثيرة على كون الله تعالى هو أحسن الخالقين، ومنها:

أ ـ أنه دائم الخلق.

ب ـ ليست لديه قيود تجاه أشياء خاصة.

ج ـ التنوع لديه غير محدود.

د ـ يخلق من أبسط الأشياء أهمَّها.

هـ ـ المواد الأوّلية من عنده.

و ـ لا يُقلد أحداً في خلقه.

ز ـ لا يعرف الندم أو التردد إليه سبيلاً.

ح ـ يخلق على أساس الرحمة، وله أهداف لكل مخلوقاته.

ط ـ يتوافق ما يخلقه مع نظام الكون.

التعاليم:

١ ـ تذكّر السابقين وضعف الإنسان والاهتمام بقدرة الله وفضله وسيلة لتقوية الإيمان وزيادة العبادة، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا﴾.

٢ ـ خلق الإنسان متطور وينتقل بالتدريج من مرحلة إلى أخرى، ﴿نُطْفَةً... عَلَقَةً﴾.

٣ ـ على الرغم من أن الأم تقوم بعدة حركات فإن رحمها مُستَقَرٌ آمنٌ بالنسبة لولدها، ﴿قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾.

٤ ـ مراحل الخلق كلها تحت رعاية الله تعالى، ﴿خَلَقْنَا... فَكَسَوْنَا... أَنشَأْنَاهُ﴾.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٩.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤، ص ١٤٧.

٥ ـ قيمة الإنسان بالروح التي تسري في بدنه، ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾.

٦ ـ معرفة النفس مُقدمة لمعرفة الله تعالى، ﴿نُطْفَةً، عَلَقَةً، مُضْغَةً، فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ والمقارنة بين مراحل الخلق وأهميّة الخالق.

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾
ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾

إشارات:

- وصف الله الموت في هذه الآيات بأنه أمرٌ مؤكد وحتمي الوقوع، ومن المناسب هنا أن نذكر كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي يقول فيه:

«فلو أنَّ أحداً يجد إلى البقاء سُلّماً أو لدفع الموت سبيلاً، لكان ذلك سليمان بن داوود عليه السلام الذي سُخّر له مُلك الجن والإنس مع النبوة وعظيم الزلفة... رمته قسي الفناء بنبال الموت، وأصبحت الديار منه خالية»[1].

- بيَّنت الآية السابقة مسيرة تطوّر خلق الإنسان، وبارك الله سبحانه وتعالى نفسه. وتُبين هاتان الآيتان أيضاً المراحل النهائية لهذا التطوّر بعد الموت.

التعاليم:

١ ـ الموت لا يعني الفناء، بل هو مرحلة من مراحل تطوّر الخلق وتكامله، ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾.

٢ ـ الموتُ مصيرٌ حتميٌ للإنسان، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ... لَمَيِّتُونَ﴾، («إنَّ» وحرف «اللام» والجملة الإسمية كلها علامة على للتأكيد).

٣ ـ خلْق الإنسان له هدف، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾.

٤ ـ بين الموت والبعث فاصل زمني طويل، (﴿ثُمَّ﴾ علامة على وجود فاصل زمني طويل).

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٨٢.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ۝١٧﴾

إشارات:

□ ربما يكون المقصود بكلمة «طرائق» هو طرق عبور الملائكة، أو طرق حركة الكواكب ومداراتها، ومن الممكن أن يكون الحديث عن السماوات السبع التي يوجد طريق بين كل سماء منها وأخرى.

□ عرضت الآيات السابقة خلق الإنسان، وذكرت هذه الآية خلق السماوات.

التعاليم:

١ ـ الله سبحانه هو الخالق وهو الرقيب. (العالم هو المكان الذي يتجلى فيه الله تعالى)، ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾.

٢ ـ يحتاج خلقُ عالم الوجود وتدبير أمره إلى إدارة دائمة، ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ۝١٨﴾

التعاليم:

١ ـ قدرة الله سبحانه متساوية في منح النِّعم وسلبها، ﴿أَنزَلْنَا... ذَهَابٍۭ﴾.

٢ ـ قطرات المطر لها نظام وتقدير ومعيار، ﴿بِقَدَرٍ﴾، (المطر ظاهرة طبيعية ليست بلا هدف أو عشوائية).

٣ ـ اختزان الماء من فضل الله، وهو دليل على عدم الغفلة عن الخلق، ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ، وَأَنزَلْنَا... فَأَسْكَنَّٰهُ﴾.

٤ ـ الله سبحانه متحكمٌ في الظواهر ومسيطرٌ عليها، ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ﴾.

٥ ـ علينا ألا نظن أنَّ النِّعم دائمة لا تزول، ﴿عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾.

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝١٩ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ۝٢٠﴾

التعاليم:

١ ـ الماءُ هو مصدر أساس الحياة للأعشاب والنباتات، ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ﴾.

٢ ـ خُلقت الأشجار والنباتات من أجل أن يستفيد منها الإنسان، (استخدمت كلمة «لَكُمْ» مرتين في الآية التاسعة عشرة).

٣ ـ تتميز بعض الفاكهة من قبيل البلح والعنب بين مثيلاتها من الفواكه، ﴿نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾.

٤ ـ الله سبحانه حكيمٌ، ضَمِن الاحتياجات المادّية للإنسان ووفرها، ﴿نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾.

٥ ـ ما يخلقه الله أكثر مما يستهلكه الإنسان، ﴿فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

٦ ـ ما خلقه الله مفيد ومبارك ﴿فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ... تَأْكُلُونَ... وَصِبْغٍ﴾، (ولكن أينما وُجد الضرر والخراب فإن ذلك من صنع الإنسان، وهو ما نقرأه في الآية ٦٧ من سورة النحل: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ أي تصنعون منه خمراً مُسكراً).

٧ ـ كل منطقة تناسب نوعاً خاصّاً من الأشجار والنباتات، ﴿تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾.

٨ ـ بعض الأراضي مباركة من الناحيتين المعنوية والمادّية (طور سيناء مكانُ نزول الوحي وموضعُ نمو أشجار الزيتون)، ﴿مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾.

٩ ـ زيت الزيتون نعمة من النِّعم الإلٰهيّة، ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٢١ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ۝٢٢﴾

التعاليم:

١ ـ خُلقت الحيوانات والبهائم من أجل الإنسان، (جاءت كلمة «لكم» مرتين في هذه الآية).

٢ ـ حتى الحيوانات لا يحسُن أن ننظر إليها ببساطة، ﴿لَعِبْرَةً﴾. إن استخراج الحديد من الأرض يحتاج إلى مئات من الخبراء والمتخصصين وكثير من الأدوات، ولكن الله سبحانه يُخرج اللبن من قلب العلف، وبقدرته هذه سوف يُخرج البشر من قلب التراب يوم القيامة، ﴿لَعِبْرَةً﴾.

٣ ـ اللبن نعمة من النِّعم التي يهتم القرآن بها، ﴿نُّسْقِيكُمْ﴾.

٤ ـ الفواكه والزيوت النباتيّة مُقَدمة على الأغذية الحيوانيّة، فقد ذكر سبحانه النخيل والأعناب والزيتون أولاً، ثم قال: ﴿نُّسْقِيكُمْ... تَأْكُلُونَ﴾.

٥ ـ اللبن واللحم والركوب جزء من منافع الحيوانات، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾، وتشغيل مصانع الألبان وصناعة الجلود ومعلبات الطعام والنسج والحياكة وخلق فرص العمل والإفادة من أجل ملايين البشر، منافع جانبية للحيوانات.

٦ ـ هناك دور هام للسفن في الحمل والنقل، ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾

إشارات:

❑ تحدث الله تعالى في الآيات السابقة عن خلق الإنسان وما يحتاج إليه في مجال توفير منافعه المادّية، ويوفر له سبحانه في هذه الآية الغذاء الفكري والعقائدي.

التعاليم:

١ ـ تحببوا إلى من تخاطبوه من الناس عند الدعوة إلى دين الله، ﴿يَٰقَوْمِ﴾.

٢ ـ الدعوة إلى التوحيد هي أول واجبات الأنبياء (اهتموا في الدعوة بالقضايا الأصلية)، ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾.

٣ ـ تكمن روح العبادة داخل الإنسان، والأنبياء هم الذين يُبيِّنون المقصود بالعبادة، ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ... مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾.

٤ ـ اتّباع غير الله تعالى انعدام للتقوى، ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾

التعاليم:

١ ـ كان الوجهاء في الصف الأول من مُخالفي الأنبياء ومعارضيهم، ﴿ٱلْمَلَؤُا۟﴾.

٢ ـ حُب الذات غريزة متأصّلة في أعماق الإنسان. (يشعر الإنسان بالقلق من أن يعلو عليه أحد)، ﴿يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾.

٣ ـ يتهم الكفار النّبي بالتعالي، كوسيلة دعائية، ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾.

٤ ـ يتجرأ الإنسان المتكبر ويُحدد لله تكاليف معيّنة، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾.

٥ ـ يعتقد الكفار أن الكمال نُقصان، ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ... لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾، (كون الأنبياء الذين يهدون الناس من بين البشر فهذا كمال، لكن الكفار يقولون: لا يجب أن يكون النبي إنساناً).

٦ ـ في مواجهة المنطق السليم لا تعتمدوا على التاريخ وتقليد الآباء والأجداد وما تملكون من ثقافة محلية، ولا تدافعوا عن الوضع القائم، ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾﴾

التعاليم:

١ ـ من عوامل المواساة تذكّر الأنبياء السابقين ومعاناتهم واتهامهم بالجنون، ﴿رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾.

٢ ـ الغرور والعناد يتسبّبان في اتهام أعقل الناس بالجنون، ﴿رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾.

٣ ـ رؤوس الكفر يعتقدون أن دعوة الأنبياء حادث روحي أو أزمة نفسية، ويقولون لأتباعهم: اصبروا، سوف تنتهي ثوراتهم وادعاءاتهم، ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾.

٤ ـ التوكل على الله والتوجه إليه بالدعاء من أعظم الوسائل في مواجهة التُهم والإهانات، ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾.

٥ ـ طلب العون من الله يكون من أجل انتصار الإيمان على الكفر، وليس من أجل انتصار شخصي، فقد قال تعالى: ﴿ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾، ولم يقل: «انصرني عليهم».

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ۝٢٧﴾

إشارات:

- عن الإمام الباقر عليه السلام: كانت شريعة نوح عليه السلام أن يعبد الله بالتوحيد والإخلاص وخلع الأنداد وهي الفطرة التي فطر الناس عليها، وأخذ ميثاقه على نوح عليه السلام والنبيين أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وأمره بالصلاة والأمر والنهي والحرام والحلال، ولم يفرض عليه أحكامَ حدودٍ، ولا فرض مواريث، فهذه شريعته، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم سراً وعلانية، فلما أبَوا وعتوا قال: رب إني مغلوب فانتصر، فأوحى الله إليه أنه ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ فلذلك قال نوح: ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ وأوحى الله إليه أن اصنع الفلك[1].

التعاليم:

١ ـ دعاء الأنبياء سرعان ما يُستجاب، ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِي... فَأَوْحَيْنَآ﴾.

٢ ـ صناعة السُفن إلهامٌ من عند الله، ﴿أَوْحَيْنَآ... أَنِ ٱصْنَعِ﴾.

---

(١) بحار الأنوار، ج ١١، ص ٣٣١. (كتبت هذا الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام بجوار قبره المُطهر في المدينة).

٣ ـ طلب النُصرة الإلٰهيّة لا يتعارض مع سعي الإنسان واجتهاده، ﴿ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ﴾، (كان الأنبياء يعملون أخذاً بالأسباب إلى جوار الدعاء).

٤ ـ يؤكد الله حمايته لأنبيائه الذين يتعرضون للازدراء والتحقير (القوم يظنون أنك مجنون، ولكنك بأعيننا وتحت رعايتنا)، ﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾.

٥ ـ يعدنا الله بأننا لو سرنا في أعمالنا كلها طبقاً لما جاء به الوحي لوفّقنا، ﴿ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا﴾.

٦ ـ يفور الماء من تنور النيران بإرادة الله تعالى، ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾، (ربما كان فوران الماء من التنور إشارة زمنية للحادثة).

٧ ـ الحرص على الحفاظ على نسل الحيوانات لئلا تنقرض، ﴿مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾.

٨ ـ لا مفر من غضب الله على المفسدين حتى لو كانوا من عوائل النبي، ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ﴾.

٩ ـ لا تجدي شفاعة الأنبياء دائماً؛ وهي مرهونة بالإذن من الله تعالى، ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي﴾.

١٠ ـ المشركُ ظالمٌ دون شك، ﴿فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾.

١١ ـ عاقبة الظلم هي الهلاك بصورة جازمة، ﴿ظَلَمُوٓاْ... مُّغۡرَقُونَ﴾.

١٢ ـ على الرغم من أن الماء أصل الحياة فإنه يتسبّب بالهلاك أحياناً، ﴿مُّغۡرَقُونَ﴾.

﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾

التعاليم:

١ ـ البُعد عن الظالمين والنجاة من سلطانهم نعمة من نعم الله، ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا﴾.

٢ ـ لا بد من شكر الله على نعمائه، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا﴾.

٣ ـ أفضل صيغة للشكر هي الكلمة المباركة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

٤ ـ لا تشكروا الله على هلاك الآخرين وفنائهم، وإنما اشكروه على نجاتكم. فقد قال تعالى: ﴿نَجَّىٰنَا﴾ ولم يقل «أهلكهم».

٥ ـ السفينة وسيلة للنجاة، ولكن النجاة نفسها من عند الله، ﴿نَجَّىٰنَا﴾.

﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾

إشارات:

❑ جاء في الحديث أنَّ رسول الله ﷺ قال لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**يا علي إذا نزلت مَنزلاً فقل: اللهم أنزلنى منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين، تُرزق خيره ويُدفع عنك شره**»[1].

❑ النبي نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ذكَر الله في كل حال:

ـ في الدعوة إلى التوحيد، ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾[2].

ـ في صناعة السفينة بوحي من الله، ﴿ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[3].

ـ في حمد الله عند الركوب، ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[4].

ـ في الحركة باسم الله، ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾[5].

ـ في الدعاء لله عَزَّ وَجَلَّ عند التوقف، ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِى﴾[6].

---

(١) تفسير كنز الدقائق.
(٢) سورة المؤمنون: الآية ٢٣.
(٣) سورة المؤمنون: الآية ٢٧.
(٤) سورة المؤمنون: الآية ٢٨.
(٥) سورة هود: الآية ٤١.
(٦) سورة المؤمنون: الآية ٢٩.

التعاليم:

١ ـ يجب أن نشكر الله على نِعمه السابقة أولاً، ثم نطلب منه المزيد من النِّعم الجديدة، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى... رَّبِّ أَنزِلْنِى﴾.

٢ ـ علينا أن نذكر الله عند الدعاء والمناجاة وندعوه بالاسم الذي يتناسب مع حاجتنا، ﴿أَنزِلْنِى... خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾.

٣ ـ الموضوعات التاريخية في القرآن ليست للتسلية بل هي آية هداية وعامل من عوامل الرشد، ﴿لَآيَـٰتٍ﴾.

٤ ـ جَرت سُنَّة الله على اختبار الناس في كل حال، وما حدث لنوح عليه السلام نموذج من نماذج الاختبار الإلٰهيّ، ﴿لَمُبْتَلِينَ﴾.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾
فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾﴾

التعاليم:

١ ـ أرسل الله تعالى رسولاً إلى كل أمة، ﴿قَرْنًا ءَاخَرِينَ فَأَرْسَلْنَا﴾.

٢ ـ يجب أن يكون الرسول إنساناً (حتى يكون للناس مثالٌ عملي يشعر بآلامهم، ويكون حُجَّة عليهم جميعاً)، ﴿مِّنْهُمْ﴾.

٣ ـ تكتسب عبادة الله قيمتها حينما تقترن بنفي الشرك، ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾.

٤ ـ الإيمان بالتوحيد يحتاج إلى التقوى، ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ... أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ
وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ
مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾﴾

التعاليم:

١ ـ تقوم دعوة الأنبياء على أساس تحرير الناس من سلطة المستكبرين والظالمين،

ولهذا السبب فإن هؤلاء يُخالفون الأنبياء ويُعارضونهم أكثر من غيرهم، ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾.

٢ ـ يعيش الأنبياء حياة عادية، ﴿يَأْكُلُ... يَشْرَبُ﴾.

٣ ـ الأغنياء والمترفون في النعمة غافلون عن القضايا المعنوية والعلمية، ﴿يَأْكُلُ... يَشْرَبُ﴾.

(يقول أمير المؤمنين عليه السلام إن الذي دفعهم إلى قول هذه الكلمات هو الحسد)[1].

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾

إشارات:

- استُخدمت كلمة «هَيْهَات» في القرآن الكريم مرتين، وتكرّرت في هذه الآية أيضاً، حيث يظنُّ رؤوس الكفر أن القيامة بعيدٌ وقوعها جداً.
- رفع الكفار شعارات وحججاً وهي:
  - ـ إنّ الرسول إنسان كسائر الناس، ﴿بَشَرًا﴾.
  - ـ إنّه لا يتميز على الآخرين، ﴿مِّثْلَكُمْ﴾.
  - ـ إنّ اتّباع الأنبياء والرسل خسارة، ﴿لَّخَٰسِرُونَ﴾.
  - ـ إنّ القيامة والحياة من جديد بعيدان عن الحقيقة، ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾، (ولأن الأنبياء يعِدون مراراً وتكراراً بالقيامة ﴿تُوعَدُونَ﴾ فإن المعارضين والمخالفين كرروا كلمة ﴿هَيْهَاتَ﴾ أيضاً).

وما ذُكر هو بعض شعارات العناد أو الخداع عند الكفار وأعداء الحق،

(١) بحار الأنوار، ج ٣٢، ص ٩٧.

أولئك الذين يَعدُّون اتّباع الأنبياء خسارة بدعاياتهم الواسعة، أمَّا هدفهم فهو تسخير الناس لطاعتهم وجر الأمم إلى العبودية تحت شعار الحرّية.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾

التعاليم:

١ ـ لا يتخيّل المستكبرون وجود طريق آخر غير طريقهم، ﴿إِنْ هِيَ﴾.

٢ ـ الناظر إلى الثَرى لا يرى الثريا..، ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا... وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾، (الدنيويون هم أصحاب الأفق الضيق في المجتمع).

٣ ـ لقد قبل الكفار بوجود الله، ولكنهم لم يكونوا يقبلون المَعاد والنبوة، ﴿افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ﴾.

٤ ـ يرفض أهل الكفر أولياءَ الله والوعود الإلٰهيّة، رافعين شعار «المحافظة على حرمة الله وقداسته»، ﴿افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ﴾.

٥ ـ يسقط المجتمع أحياناً إلى حد أن يوصف حُماة الدين الحقيقيون فيه بالكذابين، ويُقدَّم الكافرون المغرورون على أنهم حُماة حرمات الله، ﴿افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾﴾

التعاليم:

١ ـ لا شك في أن الملاذُ هو الله وحده، ﴿رَبِّ﴾.

٢ ـ كلمة «رب» هي أفضل كلمة من أجل الدعاء، وأكثر كلمة في القرآن الكريم بعد كلمة «الله» هي كلمة «رب»، وتُستخدم عادة في كل الأدعية.

٣ ـ سيندم الكفار والمجرمون عاجلاً أم آجلاً (سرعان ما سيستيقظ الوجدان)، ﴿نَٰدِمِينَ﴾.

٤ ـ يهدف استعراض التاريخ بما فيه مِن هلاك الأمم السابقة راحة لإدخال السكينة على النبي ﷺ، في حين يُمثل وسيلة تهديد لكفار مكة، ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ...﴾.

٥ ـ دعاء الأنبياء مستجاب، ﴿رَبِّ... فَأَخَذَتۡهُمُ﴾.

٦ ـ غضب الله ينشأ على أساس العدل، ﴿ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ﴾.

٧ ـ يتعرض خصوم الأنبياء للعذاب النفسي، ﴿نَٰدِمِينَ﴾، كما أنهم يعانون من العذاب الجسماني، ﴿غُثَآءٗ﴾، وهم كذلك أسرى يوم القيامة.

٨ ـ عذاب الله مُهلك ومُدمر، ﴿غُثَآءٗ﴾.

٩ ـ يجوز لعنُ الظالمين، ﴿فَبُعۡدٗا﴾.

١٠ ـ جرت سُنَّة الله على إيجاد أمّة أخرى بعد انقراض أمة من الأمم، ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَا﴾، (تقع التحوّلات التاريخية تحت سيطرة الله تعالى).

﴿مَا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

التعاليم:

١ ـ لكل مجتمع كفرٍ أو أمة عاصية مُهلة خاصة محددة بحكمة، ﴿مَّا تَسۡبِقُ...﴾

٢ ـ لا تغتروا بتأخر العذاب الإلٰهيّ، ﴿مَا تَسۡبِقُ...﴾

٣ ـ لا يُلغي الصخب والضجيج الخططَ والتدابير الإلٰهيّة، والنظام الإلٰهيّ هو المُتحكم في التحوّلات التاريخية، ﴿مَّا تَسۡبِقُ...﴾.

٤ ـ للتاريخ سننه وقوانينه الثابتة، ﴿مَا تَسۡبِقُ...﴾

﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۚ فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ فَبُعۡدٗا لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾

إشارات:

❑ كلمة «أحاديث» جمع «أحدوثة»، وهي كلمة تُطلق على القصص المثيرة العجيبة التي تُروى بالتفصيل وتُسمع باهتمام.

التعاليم:

١ ـ جَرت سُنَّة الله تعالى على إرسال الأنبياء إلى الأمم تباعاً، ﴿رُسُلَنَا تَتْرَا﴾، (يحتاج كل مجتمع إلى زعيم وقائد، فالفكر والعلم لا يكفيان وحدهما من أجل الإنسان، وإنما يتطلّب جملةَ أمورٍ من طريق الوحي).

٢ ـ تعرّض الأنبياء كلهم للتكذيب، ﴿كُلَّ مَا﴾.

٣ ـ كان لكل أمة رسولها، ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا﴾.

٤ ـ الهلاك هو النتيجة المترتبة على تكذيب الحق، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾، (لا يبقى تاريخٌ كبيرٌ للعصاة والطواغيت).

٥ ـ استُعملت كلمة ﴿فَبُعْدًا﴾ كمصدر يُستخدم دائماً في مكان الفعل، وبناءً على هذا فإن هذه الكلمة تعني «بَعدوا بُعداً» للدلالة على النيل من الكفّار.

٦ ـ تخضع التحوّلات التاريخية لإرادة الله، وهلاك الأمم العاصية أحد نماذج معاقبتها، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا﴾.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «سُلطان» ترادف كلمة حُجَّة، لأن الإنسان يتسلط على قلوب الناس ويتغلب عليهم بامتلاكه المنطق والاستدلال والحُجَّة العلمية العقليّة.

التعاليم:

١ ـ يجب أن تكون الدعوة في بعض الأحيان جَماعية أو بإرسال وفد للتحاور، ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ﴾.

٢ ـ يجب أن يتمتع الداعية إلى الله بسندٍ علمي، ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾.

٣ ـ ينبغي أحياناً أن نبحث أولاً عن المؤثّرين والبارزين في المجتمع من أجل إصلاح الناس وتقويم النظام الاجتماعي، ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾.

٤ ـ يقوم أعوان الطواغيت وحاشيتهم بدور مهم في سلطتهم، ﴿وَمَلَإِيْهِۦ﴾.

﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾
فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ ﴿٤٨﴾
وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾

التعاليم:

١ ـ كان موسى وهارون من بني إسرائيل، ﴿وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾، (مع ملاحظة أن بني إسرائيل كانوا مُستعبدين من فرعون وقومه).

٢ ـ ينظر المتكبرون إلى المكانة الاجتماعيّة للأفراد بدلاً من مراعاة المنطق واحترام المعجزة، ﴿وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ... وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾.

٣ ـ العنصرية سبب من أسباب الاستكبار، ﴿وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾، (كان الفراعنة يظنون أن جنسهم أرفع من جنس بني إسرائيل).

٤ ـ منطق الأنبياء هو المعجزة والاستدلال، أما منطق الطواغيت فهو الاستضعاف والاستعباد، ﴿وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾.

٥ ـ عاقبة تكذيب الحق هي الهلاك، ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ﴾.

﴿وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ
إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ﴿٥٠﴾﴾

إشارات:

❑ تُطلق كلمة «مَعين» على الماء الذي يجري على الأرض.

❑ ذكر الله تعالى عيسى ومريم عليهما السلام في هذه السورة بوصفهما معجزة واحدة، ولكنه يقول في الليل والنهار: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِ﴾[١]، أي أنَّ الليل والنهار معجزتان، وذلك يعود إلى أن ميلاد عيسى بدون أب هو نفسه ولادة مريم له بدون زوج.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١٢.

□ ثمّة آراء عدّة في المراد من الربوة المشار إليها في الآية، منها: أنّها الكوفة، وأن قوله تعالى «ذات قرار» المقصود به مسجد الكوفة، وكلمة «مَعين» تعني ماء «الفرات» الذي يجري في الكوفة على الدوام[1]؛ ومنها أنّها دمشق أو الغوطة منها وهي خير مدن الشام[2].

التعاليم:

١ ـ اعلموا أنَّ الظواهر المهمة والحوادث العجيبة هي وسيلة لمعرفة الله وعلامة على قدرته الغيبية، ﴿ءَايَةً﴾.

٢ ـ الماء والأمن من العناصر الضرورية للمسكن والحياة، ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

إشارات:

□ تلازمت أوامر أخرى أيضاً مع كلمة ﴿كُلُواْ﴾ في القرآن الكريم، لغايات لصالح المؤمنين، مثال:

ـ ﴿كُلُواْ... وَٱشْكُرُواْ﴾[3] كلوا واشكروا.

ـ ﴿كُلُواْ... وَأَطْعِمُواْ﴾[4] كلوا وأطعموا الآخرين.

ـ ﴿كُلُواْ... وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾[5] كلوا ولكن لا تسرفوا في الأكل.

□ يقول الإمام الصادق عليه السلام في تعقيبه على هذه الآية إن الطيبات في قوله: ﴿كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ هي «الرزق الحلال»[6].

---

(١) بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٢٣٩.

(٢) جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج ٥، ص١٠.

(٣) سورة سبأ: الآية ١٥.

(٤) سورة الحج: الآية ٢٨.

(٥) سورة الأعراف: الآية ٣١.

(٦) بحار الأنوار، ج ١١، ص ٥٨.

□ ونقرأ في الحديث: «**إنّ الله تعالى لا يقبل عبادة من في جوفه لقمة من حرام**»[1].

□ وجاء في الحديث: «**العبادة مع أكل الحرام كالبناء على الرمل، وقيل على الماء**»[2].

التعاليم:

١ ـ الأنبياء أيضاً يستفيدون من المواد الغذائية والهِبات الطبيعية (لا يجوز توقّع غير ذلك كونهم بشراً)، ﴿كُلُوا﴾.

٢ ـ علينا أن نفكر في الحياة المادّية للناس أولاً من أجل أن ندعوهم للحق، ﴿كُلُوا... وَاعْمَلُوا﴾.

٣ ـ تعارض جميع الأديان السماوية الرهبانيةَ والعزلة، ﴿كُلُوا﴾، (ربما كان الأمر «كُلوا» بعد اسم عيسى عليه السلام من أجل منع الرهبانية التي ابتدعت في النصرانية).

٤ ـ يجب عليكم مراعاة شرطيْن مهمّيْن في ما تأكلون:

أ ـ أن يكون الطعام حلالاً.

ب ـ أن يكون طيباً طاهراً، ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾.

٥ ـ يجب أن يكون أكلنا للطعام هادفاً أيضاً، وليس على أساس الشهوة والهوى، ﴿كُلُوا... وَاعْمَلُوا﴾.

٦ ـ عفة البطن قرينة التقوى في العمل، ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾.

٧ ـ التوفيق إلى العمل الصالح يكون في ظل الطعام الطيب الحلال، ﴿الطَّيِّبَاتِ... صَالِحًا﴾.

٨ ـ الطعام الطيب السليم والعمل الصالح من الأمور التي تهتم بها الأديان الإلٰهيّة كلها، ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ... الطَّيِّبَاتِ... صَالِحًا﴾.

---

(١) تفسير المراغي، ج ١٨، ص ٣٠.
(٢) بحار الأنوار، ج ٨١، ص ٢٥٨.

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢
فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرًاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ۝٥٣﴾

إشارات:

□ كلمة «زُبُر» جمع «زُبرة» (على وزن لقمة) التي تُطلق على الجزء من الشَعر المجتمع خلف رأس الحيوان حينما يتلبد وينفصل عن بقيّة الشعر. ثم صارت هذه الكلمة تُطلق على كل شئ ينفصل عن غيره[1].

التعاليم:

١ ـ الأمم كلها في الحقيقة أمة واحدة في الرؤية الدينيّة ومن وجهة النظر الإلٰهيّة ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، لأن:
ـ تتحدّر دعوات الأنبياء جميعاً من أصول واحدة.
ـ تتساوى احتياجات البشر الفطرية والنفسية والجسدية.
ـ الله سبحانه وتعالى وحده الرب والخالق.
٢ ـ التقوى والمحافظة على الحرمات يليقان بمقام الربوبيّة، ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾.
٣ ـ إحداثُ الفرقة بلاء عظيم له سابقة طويلة، وبثها المؤدّي للانقسام دليل عدم التقوى، ﴿فَٱتَّقُونِ... فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم﴾.
٤ ـ يعود سبب الانقسام إلى أنانيةِ البشر، ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾.

﴿فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ۝٥٤
أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ۝٥٥
نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ۝٥٦﴾

إشارات:

□ كلمة «غَمرة» تعني الماء العميق المُغرق، والمراد منها هنا هو غرق أهل مكة في الجمود والتعصب لعبادة الأوثان والأصنام.

---

(١) تفسير نمونه.

التعاليم:

١ ـ من نتائج الضلال الوبيلة أن يترك الله الضالّين لحالهم، ﴿فَذَرْهُمْ﴾.

٢ ـ الاختلاف والفُرقة هاويةُ هلاكٍ، وسبب لغضب الله ورسوله، ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم... فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ﴾.

٣ ـ الإنسان هو الذي يحفر حفرة تعاسته بيده، ﴿غَمْرَتِهِمْ﴾.

٤ ـ لن يُمْهَل الذين يبثون الفرقة بين الناس كثيراً، فالعذاب الإلٰهيّ في انتظارهم، ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

٥ ـ يقدم أهل الرفاه والثراء الفاحش تحليلاً مغلوطاً، فالرفاهية والإمكانيات والأبناء تسبّبت في انخداعهم بأنفسهم، وإحساسهم بأن لهم محبة عند الله، ﴿يَحْسَبُونَ﴾.

٦ ـ التقييم القائم على أساس المال والولد فقط دليل على انعدام العقل، ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾

إشارات:

□ «الخشية» هي الخوف الذي ينشأ عن العلم والمعرفة، و«الإشفاق» هو الخوف الذي تخالطه المحبة والاحترام، والخشية لها في الغالب جانبٌ قلبي، أما الإشفاق فله جانب عملي. وتقول الآية إن المؤمنين والسابقين في الخيرات هم أولئك الذين استقر في قلوبهم الخوف الممزوج بعظمة الله، ويُحافظون في عملهم على حرمات الله ويستحيون منه.

التعاليم:

١ ـ إن الخوف من الله وعظمته من علامات أهل الخير والرشد، ﴿مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾.

٢ ـ علينا أن نؤمن بأي قانون يُرسله الله تعالى، والابتعاد عن أنواع الشِرك، (الفعلان «يؤمنون» و«لا يشركون» في زمن المضارع، وهو ما يشير إلى المداومة والاستمرار).

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾

إشارات:

- الوجل يعني الاضطراب والقلق.
- يحدث التطوّر المعنوي للإنسان في مراحل عدة، وقد ذُكرت هذه المراحل في هذه الآيات:

المرحلة الأولى، وهي العلم والمعرفة اللذان يتسبّبان في الخشية، ﴿مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾.

المرحلة الثانية، وهي الإيمان العميق والدائم بما أدركه، ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

المرحلة الثالثة، البعد عن أنواع الشِرك، الظاهر منه والخفي، ﴿لَا يُشْرِكُونَ﴾.

المرحلة الرابعة، الإنفاق من رزق الله، ﴿يُؤْتُونَ﴾.

المرحلة الخامسة، التواضع، والشعور بالقلق مخافة أن يكون العمل ناقصاً أو مردوداً، أو يكون المطلوب شيئاً آخر ويعجز المكلف عن تبريره يوم القيامة، ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾.

التعاليم:

١ ـ الحث على الإنفاق مع الخشية من اليوم الآخر، ﴿يُؤْتُونَ... وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾.

٢ ـ يعود خوف المؤمن من الله إلى أنه راجع إلى ربه وسيقف بين يديه في يوم القيامة، ﴿وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾.

﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾

إشارات:

- ظهر جلياً في الآية ٥٦ أن بعض الناس يرون السعادة في امتلاك المال وإنجاب

الأبناء فقط، ويعدُّون ذلك علامة على المُسارعة في الخيرات، لكن هذه الآية تقول إن المسارعة في الخير والعلم والإيمان والإخلاص والإنفاق في سبيل الله كل ذلك مصحوب بالخوف والخشية، وليس الأمر بسيطاً كما يظن هؤلاء.

التعاليم:

١ ـ الخوف من الله والقيامة يؤدّيان إلى المسارعة في أعمال الخير، ﴿مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ... أُوْلَٰٓئِكَ...﴾.

٢ ـ علامة الإيمان الحقيقي هي السرعة الدائمة في أعمال الخير، ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾ فعل مضارع، ويرمز إلى الاستمرار.

٣ ـ السرعة والسبق في عمل الخير قيمةٌ من القيم، ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾.

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾

إشارات:

- ثمة قاعدة فقهية تُسمى قاعدة «نفي العسر والحَرَج»، وهذه الآية هي الأساس الذي قامت عليه هذه القاعدة. أي أنه حينما يتسبّب تكليف من التكاليف في مشقة لا يمكن تحملها فإن هذا التكليف يسقط.

التعاليم:

١ ـ على الرغم من أن السبق والمُسارعة في أعمال الخير لهما قيمة كبيرة فإن الإفراط فيهما لا يستحب، ﴿إِلَّا وُسْعَهَاۖ﴾.

٢ ـ لا يتساوى تكليف الناس جميعاً، فكل إنسان مُكلّف على حسب مقدراته الجسمانية والفكرية والمالية، والله سبحانه لا يُطالب الفقير بما كلّف به الغني، ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ﴾.

٣ ـ ليس لأي إنسان في الرؤية الإلٰهيّة أن يكون أسيراً لعقدة الاحتقار والشعور بالمهانة؛ لأنه لا يُكلف بما يفوق قدرته، ﴿إِلَّا وُسْعَهَاۖ﴾، (نعم، لكل إنسان قدرة وواجب، فيجب عليه إذن أن يهدأ ويطمئن).

٤ ـ يتصف نظام الخلق بالدقة والترتيب، ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ﴾.
٥ ـ ذُكرت مجموعة من شروط الإدارة في هذه الآية، ومن بينها ما يلي:
أ ـ التعرف على قدرة الأفراد وتكليفهم على حسب قدراتهم، ﴿وُسْعَهَا﴾.
ب ـ المراقبة الدقيقة لعملهم وواجباتهم، ﴿كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ﴾.
ج ـ العدالة في العقاب والثواب، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾

إشارات:

□ تأتي كلمة «بَل» في بداية الكلام من أجل الانتقال من موضوع إلى موضوع آخر، فقد كان الحديث في الآية السابقة عن الأخيار، أمّا هذه الآية فالحديث فيها عن الكفار، وعمل هؤلاء غير عمل أولئك.

□ كلمة «غَمرة» تعني الفيض المُغرق، والمقصود هنا الماء الذي يغمر الإنسان ويُغطيه تماماً، أي كأنَّ الغفلة قد غمرت كيانهم كله.

التعاليم:

١ ـ تنحرف الروح أولاً، ثم يتغير السلوك بعد ذلك، ﴿قُلُوبُهُمْ... وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ﴾.
٢ ـ الإصرار على المسلك القبيح وتكراره أسوأ من إتيانه، ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ... هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾.
٣ ـ يُقْدِمُ الإنسان في البداية على المخالفة، ثم تصبح عادة يعتادها وينجذب إليها، أي أنه ينجرف في تيار العمل ويرتكبه، ويصبح أسيراً للذنب بعد ارتكابه، ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ... هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾
لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾

إشارات:

□ «يَجْأَرُونَ» من «جؤار» التي تعني عواء الكلاب والثعالب والذئاب عند تعرضها

للضرب، وتشبيه تضرّع الضالّين من أهل البذخ والفجور الغافلين بعواء الكلب إشارة إلى ما ينالهم من تحقير ومذلة في العذاب يوم القيامة جراء عربداتهم الدنيوية.

التعاليم:

١ ـ لا توجد وسيلة أخرى من أجل تنبيه الجماعة من المنحرفين المستكبرين غير العذاب الإلٰهيّ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا...﴾.

٢ ـ نهاية الغافلين من المترفين في النعمة هي العجز المقترن بالأنين والتضرع، ﴿يَجْـَٔرُونَ﴾.

يُقال في الشعر ما ترجمته: «بعد كل ضحكة بكاء»، والرجل الذي يُقدر العواقب عبدٌ من عباد الله المباركين.

٣ ـ يوم القيامة هو يوم الجزاء وليس يوم الطلب والدعاء، ﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾.

٤ ـ إنّ أولئك الذين لم يساعدوا الناس بما لديهم من مال وإمكانيات لن يجدوا العون يوم القيامة، ﴿لَا تُنصَرُونَ﴾.

﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَـٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾

إشارات:

- كلمة «نكوص» تعني الرجوع إلى الوراء، وقوله تعالى «على أعقابكم» تأكيد للمعنى.
- كلمة «سامر» من «سَمر» التي تعني الحديث ليلاً.
- كلمة «هجر» تعني البُعد والمفارقة، وتُطلق كلمة «هُجر» على الفاحش من القول وما لا يليق منه، وهو ما يتسبّب في الهجر والفراق.

التعاليم:

١ ـ التراجع عن الحق والإعراض عنه من أوصاف المسرفين المترفين والمستكبرين، ﴿فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾.

٢ ـ تجاهل الكفار للأنبياء ليس دليلاً على الرشد والرقي، وإنما هو سبب في السقوط والتراجع. والأوامر والقوانين الإلٰهيّة هي وسيلة الوصول إلى الكمال، والإعراض عنها هو سبب السقوط، ﴿أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾.

٣ ـ الأسوأ من النكوص والإعراض عن الحق هو أن يكون الهدف من هذا العمل هو الاستكبار، ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾.

٤ ـ إنّ الذي لا يملك المنطق نهاراً يقضي الليل في التحدث بالهذر والهزل، ﴿سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾.

٥ ـ من لا يُقيم حساباً لكلامه يُفحش في القول، ﴿تَهْجُرُونَ﴾.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾

التعاليم:

١ ـ السبب الأول في تعاسة الناس هو تعطيل الفكر، ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟﴾.

٢ ـ القرآن هو كتاب التدبر والفكر (وليس كتاباً للتلاوة والتجويد و... فقط، وكل من يتدبر فيه يدرك أنّه الحق)، ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾.

٣ ـ يوجّه الله تعالى نداءه للناس في كل العهود والأزمان، وأساس الأديان السماوية واحد، ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ﴾.

٤ ـ لا سبيل للحجج والذرائع لدى مخالفي الحق ومعارضيه عند الدعوة إلى دين الله وتبليغه، ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ﴾، ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟﴾.

٥ ـ ينبغي أن يكون الرسول معروفاً (بالخير) بين الناس، حتى لا تكون لهم حجة للإنكار، ﴿لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ﴾.

٦ ـ على الرغم من أن الإنسان يُبدي ردّ فعل معارضاً في مواجهة الكلام الجديد فإن نُزول الوحي لم يكن أمراً جديداً، ﴿أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

٧ ـ ينتقصُ أعداء الدين من شخصيّة رجال الله ويشككون فيها من أجل المحافظة على عقيدتهم، ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾.

٨ ـ يجب أن يُعرَض الحق ويُقدَّم للناس ولو انزعجت الأغلبية وضاقت بذلك ذرعاً، ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾.

٩ ـ بعض الكفار لديهم فطرة سليمة، ويقبلون الحق، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ أي ليس جميعهم.

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾

إشارات:

□ يَفسد نظام الكون ويَتلف عندما يتبع الحق أهواءَ الناس لأن:

١ ـ أهواء الناس ـ حتى أهواء الفرد الواحد منهم ـ متباينة في الأزمان المختلفة.

٢ ـ أهواء الناس لها مفاسدها وأضرارها.

٣ ـ رغبات الناس أحادية البُعد، ولا تهتم بالأبعاد الأخرى وآثارها البعيدة والقريبة.

التعاليم:

١ ـ لا يجب على الحق أن يتبع ميول الناس وأهواءهم أبداً، ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ﴾.

٢ ـ الوجهاء الكافرون يُحبون أن يكون الدين حسبَ ميولهم، ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ﴾.

٣ ـ عبادة الحق تتعارض مع عبادة الهوى، ﴿لَفَسَدَتِ﴾.

٤ ـ الميول والأهواء البشرية تُفسد الدنيا، ﴿لَفَسَدَتِ﴾.

٥ ـ الدليل على حكمة الله الواحد وأنه الحق هو هذا النظام الموجود في الكون، ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ... لَفَسَدَتِ﴾.

٦ ـ توجد في السماء مخلوقات حيّة عاقلة، ﴿وَمَن فِيهِنَّۚ﴾.

٧ ـ القرآن هو وسيلة التذكر، ﴿بِذِكۡرِهِمۡ﴾.

﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٧٢
وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٧٣
وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ۝٧٤﴾

إشارات:

- «الخَرج» هو الشيء الذي يُنفَق، أمّا «الخراج» فهو الميزانية المستمرة التي يتم تحديدها. وكلمة «نكبة» تعني الميل والانحرف، و«النكبة» المصيبة...، ونكبته حوادث الدهر ونكوب كثيرة من الدهر...[1].
- الرزق الإلٰهيّ خير ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ﴾ لأن له عدة مزايا، فهو بلا مِنَّة ودائم وزائد ومبارك.
- جاء في الحديث: **«مَن عَدل عن ولايتنا أو فضَّل علينا غيرنا فإنهم عن الصراط لناكبون»**[2].

التعاليم:

١ ـ علينا أن لا نطلب المال من الناس عند دعوتهم إلى الدين، أمَّا إذا أعطوا من تلقاء أنفسهم فهذا له شأن آخر، ﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ﴾.

٢ ـ يشعر الناس بحساسيةٍ عندما يطلب الداعية منهم المال، ﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا﴾.

٣ ـ يُنفق الناسُ مرة، أمَّا الله تعالى فإنه يرزقهم دائماً (مع ملاحظة الاختلاف الواضح بين كلمتي «خَرْج» و«خَراج»)، ﴿خَرۡجٗا...﴾.

---

(١) حسن المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن، ج ١٢، ص ٢٥٣ وما بعدها.

(٢) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٥٤٨.

٤ ـ الرزق الدائم شأن من شؤون الربوبيّة، ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾.

٥ ـ الله تعالى هو الضامن لرزق دعاة دينه، ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾.

٦ ـ عليكم ألا تنخدعوا بأسباب الرزق ووسائطه، ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ أي أنه تعالى هو أصل المصادر.

٧ ـ الرسول هو المنادي إلى الصراط المستقيم، ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

٨ ـ الإيمان بالمَعاد هو الذي يدفع إلى الثبات على الطريق، في حين أن الكفر هو سبب الانحراف، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ... لَنَٰكِبُونَ﴾.

﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ
لَّلَجُّواْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾

إشارات:

- نقرأ في تفسير «كنز الدقائق» و«روح البيان» أن قحطاً قد أصاب مكة في وقت من الأوقات، فطلب أبوسفيان من النبي الأكرم ﷺ أن يدعو الله ليرفع عنهم القحط، قائلاً: «أنشدك الله والرحم، ألست تزعم إنّك بعثت رحمة للعالمين... فادع أن يكشف عنّا هذا القحط. فدعا فكشف عنهم فأنزل الله هذه الآية[1].

- يختلف الطغيان باختلاف الأفراد:

  - طغيان العلماء، يكون في العلم، ويظهر عن طريق التفاخر والمباهاة.
  - طغيان الأغنياء، يكون في المال، ويظهر عن طريق بُخلهم.
  - طغيان الصالحين، في عمل الخير، ويظهر عن طريق الرياء والسُمعة.
  - طغيان أهل الأهواء، ويتمثل في اتّباعهم للشهوات.

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٥٤٨.

التعاليم:

١ ـ الرفاهية والراحة من علامات الرحمة الإلٰهيّة، ﴿رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا﴾.

٢ ـ لا فائدة تُرجى من خدمة الفاسدين ومحبتهم، ﴿رَحِمْنَٰهُمْ... لَّلَجُّواْ﴾.

٣ ـ لا يُحسِنُ الكافرون الاستفادة من الفرص والإمهالات، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ... لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾.

٤ ـ الطغيان يُصيب الإنسان بالحيرة والتخبط، ﴿فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾

إشارات:

❑ جاء في الحديث أن «الاستكانة» هي الخضوع، وأن «التضرع» هو رفع اليدين بالدعاء[1].

❑ قال الله تعالى في الآية السابقة عن الكفار المعاندين: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، أي لو رحمناهم وكشفنا عنهم ما أصابهم مِن قحط وجوع لَتمادوا في العناد، وما عادوا إلى الطريق القويم. ويقول في هذه الآية: لو نالهم غضبي وابتليتهم بالعذاب فإنهم لن يعودوا أيضاً إلى الصراط المستقيم. أي أن الأمر سيّان.

يقول أحد الشعراء ما ترجمته:

ما فائدة التلاوة والوعظ للقلب الأسود، إن المسمار الحديدي لا يخترق الحجر.

التعاليم:

١ ـ غاية الغضب الإلٰهيّ في الدنيا هو إيقاظ الغافلين، ﴿أَخَذْنَٰهُم... فَمَا ٱسْتَكَانُواْ﴾.

٢ ـ يُبتلى الكافرون والضالون أحياناً بالعقوبات الإلٰهيّة في الدنيا أيضاً، ﴿أَخَذْنَٰهُم﴾.

---

(١) تفسير روح البيان، ج ٦، ص٩٧.

٣ ـ الكفار المعاندون لا يهتدون بالرحمة الإلٰهيّة، ولا بغضب الله وعذابه، ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾.

٤ ـ أسوأ أنواع التكبر هو الاستكبار في مواجهة الله، ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾.

(الإنسان القاسي القلب يصل إلى حد عدم الخضوع لله الكبير والتضرع له والشكوى إليه).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝٧٧﴾

إشارات:

❑ كلمة «مُبلس» من مادة «إبلاس» التي تعني الحزن الذي يصيب الإنسان بعد وقوع حادثة مريرة وشديدة، ويجرّه هذا الحزن في الغالب إلى السكوت والحيرة واليأس[1].

التعاليم:

١ ـ أبواب العذاب مغلّقة في الأساس، لكن العصيان والعناد في مواجهة الحق يتسبّبان في أن يفتح الله تعالى تلك الأبواب، ﴿فَتَحْنَا﴾.

٢ ـ هناك أصول ومبادئ مُتبعةٌ عند الله تعالى في مراحل التربية والتعامل مع المعاندين وهي:

الأول: يسلك معهم مَسلك الرحمة والشفقة، ﴿وَلَوْ رَحِمْنَـٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟﴾.

الثاني: يأخذهم بالعذاب العقابي، ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾.

الثالث: يُنزل بهم العذاب النهائي الذي يكون سبباً في العجز والضعف، ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

٣ ـ يُبتلى بالعذاب من يُريد بعناده أن يُصيب الأنبياءَ باليأس الذي يجره هو نفسه إلى هذا اليأس، ﴿مُبْلِسُونَ﴾

(١) تفسير نمونه (الأمثل).

٤ ـ ليس هناك مجال للتوبة والنجاة عند حلول العذاب النهائي، وييأس عندئذٍ المعذبون، ﴿مُبْلِسُونَ﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾

التعاليم:

١ ـ أدوات العلم والمعرفة من أعظم النِّعم الإلٰهيّة، ﴿أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ...﴾.

٢ ـ لا تنحصر وسائل المعرفة في المحسوسات، فالقلب مثلاً أداة من أدوات المعرفة أيضاً، ﴿ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾.

٣ ـ شكر المُنعم واجب، أما الذي لا يستفيد من هذه النِّعم استفادة صحيحة فهو جاحدٌ ويستحق التوبيخ والتأنيب، ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

٤ ـ يبعثُ ذكرُ النِّعم الإلٰهيّة على المعرفة والشكر، ﴿تَشْكُرُونَ﴾.

٥ ـ هناك غاية وهدف من خلْق الإنسان، ﴿ذَرَأَكُمْ... وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

٦ ـ يؤدّي الفكر والتعقل بالإنسان إلى التوحيد، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى... أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «أساطير» جمع «أسطورة»، وتعني الخرافات والأباطيل الكاذبة، وقد استخدمت هذه الكلمة في القرآن الكريم تسع مرات على لسان الكفار في حديثهم عن الأنبياء.

التعاليم:

١ ـ ليس هناك جديد في كلام الكفار في إنكارهم المَعاد، ﴿مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ بل هو تكرار لأسلافهم.

٢ ـ ليس للكفار منطق أو استدلال، وسلاحهم الوحيد في مواجهة الحق هو التعجب المصحوب بالإنكار، ﴿أَءِذَا﴾.

٣ ـ عدم التعقل هو أصل إنكار الحق (الاهتمام بالموت والحياة وتحول الليل والنهار يُمهد الساحة للإيمان بالمعاد)، ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ... أَفَلَا تَعْقِلُونَ... قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا﴾.

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾

إشارات:

- تُقال كلمة «رب» للمالك الذي يقوم على حفظ مُلكه وتدبير شؤونه.
- «العرش» هو مركز القيادة الإلٰهيّة، وهو غير السماوات السبعة.

التعاليم:

١ ـ الجهل والغفلة هما أصل الشرك، ﴿لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ... إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

٢ ـ طرح السؤال أسلوب من أساليب الدعوة، ﴿لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ﴾.

٣ ـ العلم المفيد هو الذي يُعرّف الإنسان بالله، ﴿لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ... إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

٤ ـ كل إنسان عاقل يعرِف أن الأرض ومن عليها ليست بلا صاحب أو حساب، ولو كان كافراً، ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾.

٥ ـ الوجدان هو أفضل حكَم، ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾.

٦ ـ يؤخذ سند الموعظة والبرهان من قول الناس أنفسهم وإجاباتهم، ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

٧ ـ تخضع السماوات السبع، بل الكون كله يخضع لتدبير الله تعالى، ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾.

﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾

إشارات:

- يقول تعالى في سورة يس: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[١]، أي أن الله إذا أراد شيئاً فإنه يأمر به فيُخلَق، والله سبحانه هو المُنزه الذي في يده ملكوت كل شيء، وبناء على هذا، فإن كلمة ملكوت تعني القدرة المطلقة في الكون.
- كلمتا «يُجير» و«يُجار» من الجذر «جوار»، والجوار في أصله قرب المسكن ثمّ جعلوا للجوار حقّاً وهو حماية الجار لجاره، عمّن يقصده بسوء لكرامة الجار على الجار بقرب الدار، واشتُقّ منه الأفعال، يقال استجاره فأجاره، أي سأله الحماية فحماه، أي منع عنه من يقصده بسوء[٢].
- المقصود بالحق في قوله ﴿أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ﴾ في هذه الآية هو المَعاد أو القرآن أو منطق التوحيد والاستدلال عليه.

التعاليم:

١ ـ فلنتعلّم أسلوب الحوار مع المخالفين من القرآن الكريم، ﴿قُلْ﴾.

٢ ـ نستعين في منهج الدعوة بفطرة الناس السليمة ومعتقداتهم الصحيحة في سبيل رشدهم وهدايتهم، ﴿قُل مَنۢ بِيَدِهِۦ...﴾.

---

(١) سورة يس: الآيتان ٨٢ ـ ٨٣.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ٦٠.

٣ ـ إنّ مُلكَ الله واسع وشامل، ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾.

٤ ـ إجارة الله دائمة ومطلقة وحصرية، ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾.

٥ ـ لا ملاذ في مواجهة غضب الله، ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾.

٦ ـ العلماء فقط هم الذين يُدركون حاكمية الله المطلقة، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

٧ ـ عليكم بأخذ موقف واضح في مواجهة العقائد الضالة، ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ﴾.

٨ ـ أفعال الله حقٌّ، وهي صادرة عن حكمة، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾.

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾

التعاليم:

١ ـ من غير الجائز الاعتقاد بوجود ولدٍ لله من أي نوع، سواء أن نعد عيسى ولدا له أو الملائكة أو غيرهم ﴿مِن وَلَدٍ﴾.

٢ ـ يخضع كل مخلوق لسلطة خالقه، ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾.

٣ ـ تعدد جهات الإدارة يحول دون النجاح، ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾.

٤ ـ النظام المتآلف والمنسجم علامة على وحدانية الله تعالى، ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ﴾.

٥ ـ وجود الذرّية والشريك علامة على الاحتياج والنقص، والتعالي ملازم للنقص، ﴿لَّذَهَبَ... وَلَعَلَا﴾.

٦ ـ يتسبّب التضاد بين القوى والسلطات بالفساد والانهيار، ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾.

٧ ـ علينا أن نُسبّح الله تعالى كي نطهر أرواحنا وأرواح الآخرين كلما رددنا تصورات الآخرين الخاطئة والمنحرفة، ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

٨ ـ علينا أن نعلم أن الله تعالى بعيدٌ عن الانحرافات والخرافات ومُنزهٌ عنها، ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٩٢ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ۝٩٣ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٩٤﴾

إشارات:

❑ رُوِي عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أنّه: **«عالم الغيب: ما لم يكن، والشهادة: ما قد كان»**[1].

التعاليم:

١ ـ يشير علْم الله بكل شئ إلى كونه الغني عن الشريك، ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ... عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾.

٢ ـ يتساوى علمُ الله بالغيب مع علمه بعالم الشهود، ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾.

٣ ـ الرسول ﷺ أمينٌ على الوحي، حتى إنه ينقل لنا كلمة «قل»، ﴿قُل رَّبِّ﴾.

٤ ـ يؤدّي التواجد بين الظالمين إلى خطر التعرض للعذاب الإلٰهيّ، ﴿فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ۝٩٥﴾

إشارات:

❑ لقد طمأن الله تعالى رسوله في هذه الآية بأنه قادر على تعذيب الضالين والكافرين؛ لكنه يؤخر عذابهم لأسباب منها:

أ ـ أنه يُمهلهم حتى يتوبوا.

ب ـ أنه يُقيم عليهم الحجّة البالغة.

---

(١) معاني الأخبار، ص ١٤٦.

ج ـ أنه يخلق من أصلابهم أفراداً مؤمنين.

د ـ وُجود الرسول ﷺ، فوجوده سببٌ في الرحمة والبركة.

التعاليم:

١ ـ تأخير العذاب ليس علامةً على عجز الله، ﴿لَقَادِرُونَ﴾.

٢ ـ لا تشكّوا في قدرة الله لمجرد أنكم لا ترون عاقبة الكفار بأعينكم، ﴿نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾.

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾

التعاليم:

١ ـ يتلقى الرسول الأكرم ﷺ تربيته من الله، وهو مأمورٌ بالتعامل مع إساءات الأعداء بأحسن السُبل، ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

٢ ـ يُمكن الرد على الإساءة بالإساءة، ولكن هذا لا يليق بقدوة وقائد، ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

٣ ـ إيماننا بعلم الله هو الذي يخلق فينا الصبر والحلم، ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ﴾.

٤ ـ الإجارة شأن من شؤون الربوبيّة، ﴿رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ﴾.

٥ ـ يجب على الأنبياء أيضاً أن يلوذوا بالله ويستجيروا به، ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ﴾.

٦ ـ يجب أن تكون الاستجارة بالله مكررة وجدّية، (تكرار كلمة «أَعُوذُ»).

٧ ـ الله سبحانه هو وحده الملاذ الآمن، ﴿بِكَ﴾.

٨ ـ تزين لنا الشياطين ووساوسهم التعامل السيّئ مع الآخرين وهذه طريق من الطرق التي تنفذ منها الشياطين، ﴿هَمَزَاتِ﴾.

٩ ـ الشياطين تتعدّد وتتنوع حتى وساوسهم أيضاً، ﴿هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ﴾.

١٠ ـ الشياطين قد تطمع في الأنبياء أيضاً، ﴿هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

التعاليم:

١ ـ الغرور والغفلة أمران دائمان عند فريق من الناس، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾.

٢ ـ سينتبه الغافلون يوماً فيطلبون العودة إلى الدنيا مرة ثانية، لكن هذا الطلب يتحقق، ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾.

٣ ـ يتسبّب ضياع العمر والفرصة بالحسرة عند الموت، ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾.

٤ ـ العمل الصالح هو زاد الإنسان بعد الموت، ﴿ٱرْجِعُونِ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾.

٥ ـ يجب على أولئك الذين يمتلكون القدرة والإمكانيات أن يُكثروا من عمل الصالحات، ﴿أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾.

يقول الشاعر الإيراني:

عليك بالعمل يا مَن تستطيع قبل أن تعجز عن العمل.

٦ ـ الدنيا مزرعة الآخرة، ﴿أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

إشارات:

□ قد يُطرحُ **سؤال**: جاء في بعض الآيات أنَّ الناس يوم القيامة يَسأل الواحد منهم الآخر، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾[1]، أو يَسأل أهل الجنّة سكان الجحيم قائلين: ما الذي دفعكم إلى دخول النار؟ ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾[2].

(١) سورة الصافات: الآية ٢٧؛ وسورة الطور: الآية ٢٥.

(٢) سورة المدثر: الآية ٤٢.

فلماذا إذن يقول تعالى في الآية التي نحن بصددها إنَّ الناس لا يَسأل أحدهم الآخر ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾، وما هو السبب في هذا الاختلاف؟

الجواب: هذان الموضعان لا يتعارضان، فالله تعالى يقول في الموضع الأول إنَّ الناس يَسأل أحدهم الآخر، وهذا يرتبط بما بعد مناقشة الحساب والاطلاع على الكتاب، ويدور بين أهل الجنّة وأهل النار الذين يَسأل أحدهم الآخر عن حاله، أمَّا الآية التي نتحدث عنها فإنها تتناول بداية القيامة ووقت الحساب ومرحلة ما قبل دخول الناس إلى الجنَّة أو النار، ولهذا يقول تعالى إنهم لا يتساءلون[1]. أي لا جدال حينها.

التعاليم:

١ ـ علامة يوم القيامة النفخ في الصور، ﴿فَإِذَا نُفِخَ... فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ﴾.

٢ ـ تزول أسس الفخر الدنيوي يوم القيامة، ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ﴾.

٣ ـ الأعمال الدنيوية كلها لها معيار وتقدير، ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ... وَمَنۡ خَفَّتۡ﴾.

٤ ـ هناك ميزان لكل عمل من الأعمال، ﴿مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي تتعدّد الموازين.

٥ ـ إن أعظم خسائر الإنسان هي إهدار عمره ومواهبه، ﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾.

٦ ـ المُفلحون هم أولئك الذين لديهم رصيد مُدّخر ليوم القيامة، ﴿هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾.

﴿تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾
أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

إشارات:

- كلمة «لفح» تعني إحراق الوجه، و«كلح» تعني تقلص الشفاه وظهور الأسنان وبروزها.

التعاليم:

١ ـ تحرق النار وجوه أهل الجحيم في كل لحظة وباستمرار، (كلمة «تلفح» فعل مضارع يفيد الاستمرار).

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ٦٩.

٢ ـ يُعذب الكفار في الجحيم عذاباً جسمانياً ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ﴾، كما يُوبَخون ويُعذبون عذاباً نفسياً، ﴿أَلَمْ تَكُنْ...﴾.

٣ ـ يتسبّب تغير الوجه بواسطة النار في تحقير المجرمين وإهانتهم، ﴿كَالِحُونَ﴾.

٤ ـ يُنزل الله عذابه بعد إتمام الحجّة، ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ... أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ﴾.

٥ ـ إن أوضح سبب يؤدي إلى النار هو الإصرار على التكذيب بالآيات، ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾

إشارات:

❑ كلمة «خسأ» تعني الزجر المصحوب بالإهانة والتحقير، وهي تُقال للكلب.

❑ ورد عن النبيّ الأكرم ﷺ قوله: «**لا تُجالسوا شاربي الخمر، ولا تعودوا مرضاهم، ولا تشيعوا جنائزهم، ولا تصلوا على أمواتهم، فإنهم كلاب النار**». ثم تلا هذه الآية[1]، ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا...﴾.

❑ وقد ورد في الحديث في صفة النار أنّ النبيّ ﷺ، قال: «**إنّ الله إذا قال لأهل النار اخسؤوا فيها ولا تكلّمون عادت وجوههم قطعة لحم ليس فيها أفواه ولا مناخير تردّد النفس في أجوافهم**»[2].

❑ وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**لقد شَقي أهل النار بأعمالهم**»[3].

التعاليم:

١ ـ يستيقظ الوجدان يوم القيامة، ويعترف المجرمون بذنوبهم في ذلة ومهانة، ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٧٦، ص ١٤٧.
(٢) تفسير الدر المنثور، ج ٥، ص ١٧.
(٣) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص ٣٥٦.

٢ ـ البُعد عن طريق الأنبياء يبعثُ على الشقاء والتعاسة، ﴿ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ... غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا﴾.

٣ ـ يُخاطب الله تعالى الكفار يوم القيامة بأكثر الكلمات تقريعاً، ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩﴾

التعاليم:

١ ـ إنّ الله تعالى يردّ على طعن المنحرفين في المؤمنين بألسنتهم، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ...﴾.

٢ ـ الابتهال لله مفيد في الدنيا، ﴿كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ...﴾، أمّا الدعاء والتضرع يوم القيامة فإنهما لا يجديان نفعاً، ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا... قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ﴾.

٣ ـ يخشى عباد الله من تقصيرهم دائماً، ويستغفرون الله منه، ﴿كَانَ... يَقُولُونَ رَبَّنَآ﴾.

٤ ـ الإيمان يسبقُ المغفرة، والمغفرة هي المُقدمة لنيل رحمة الله، ﴿ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا﴾.

٥ ـ الله تعالى هو مصدر الرحمة، ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

٦ ـ من آداب الدعاء تعظيم الله وتمجيده، ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ١١٠﴾

إشارات:

□ ثمّة اختلاف كبير بين كلمتي «سُخريّاً» و«سِخريّاً». فإذا كانت علاقات البشر في المجتمع تقوم على أساس التعاطف والتعاون والخدمة، والناس يستفيد الواحد منهم من فن الآخر وابتكاراته، فإنَّ هذا المجتمع ينمو ويَقوى، وتنتظم الأمور كلها، وهذه هي الرسالة التي تحملها الآية الشريفة: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗا﴾[1]. أمّا إذا كانت علاقات الأفراد قائمة على أساس التحقير

(١) سورة الزخرف: الآية ٣٢.

والاستضعاف والسب والإحباط، فإن مجتمعاً كهذا سينجرف إلى نسيان الله وما يتبعه من سقوط، والآية التي نحن بصددها تعكس هذا المعنى: ﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا﴾.

❑ أمَّا القول إنَّ المؤمنين هم سببُ غفلة الكفار ﴿أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي﴾ فربما لأنه لو لم يكن المؤمنون على الساحة لما اتضحت حقيقة معاداتهم للحق[1].

التعاليم:

١ ـ عقاب تحقير المؤمنين هو الاستحقار (الله تعالى يحمي المؤمنين، ويرد الإهانة عنهم)، ﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا... ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا﴾.

٢ ـ عدم اهتمام عباد الله بآداب الدعاء والتضرع لخالقهم يستلزم عدم اهتمام من الله، ﴿سِخۡرِيًّا... وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾.

٣ ـ يتعرض المؤمنون دائماً لسخرية الكفار، ﴿وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ﴾.

٤ ـ جزاء السخرية من المؤمنين هو نسيان ذكر الله، ﴿أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي﴾.

٥ ـ ضحكة الاحتقار الدائمة من الكبائر[2]، ﴿وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ﴾، (يختلف حساب الضحكات العادية عن ضحكات الاستكبار).

﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾

إشارات:

❑ كلمة «فوز» تعني الوصول إلى الهدف المُراد.

---

(١) تفسير راهنما.

(٢) كل ذنب تبعه وعيدٌ بالعذاب هو كبيرة من الكبائر، ولما كان الجحيم هو العقاب المطروح في مقابل ضحكات الإهانة الموجهة للمؤمنين فإنها تكون كبيرة.

❑ يسأل الناس يوم القيامة: كم من الوقت أقمتم في الدنيا؟ ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾، كما ورد عدة مرات في القرآن الكريم، وكل إنسان يُجيب على هذا السؤال انطلاقاً من معتقداته، ومن هذه الإجابات ما يأتي:

ـ لقد بقينا في الدنيا مقدار ساعة من نهار، ﴿سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾[1].

ـ بقينا عشية يوم أو صباحه، ﴿عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾[2].

ـ بقينا يوماً أو جزءاً من يوم، ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾[3].

ـ ومن الممكن أن يكون المُراد من قوله تعالى ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ هو مدة البقاء في القبر وعالم البرزخ.

التعاليم:

١ ـ جزاء الصابرين يكون من عند الله تعالى، ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ﴾، (الصبر على الأذى والطعن والسخرية له جزاء عظيم).

٢ ـ تتلازم الاستقامة مع الفلاح، ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

٣ ـ الفريق الرابح يوم القيامة هو فريق الصابرين فقط[4]، ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

يقول المثل: الصبر والنصر كلاهما صديقان قديمان، فالنصر يأتي دوره بعد الصبر.

٤ ـ الحسرة الكبرى هي أن يشتري الإنسان الجحيم والعذاب الأبدي بملذات زائلة وراحة لا تدوم أكثر من أيام، ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا﴾.

٥ ـ عليكم ألا تغتروا بمُهلة الزمان، فهي مدة قصيرة جداً، ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.

٦ ـ عمر الدنيا كله قصير بالنسبة إلى الأبدية، ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.

٧ ـ بعض الملائكة مأمور بإحصاء الأيام وعدِّها، ﴿فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾.

---

(١) سورة الأحقاف: الآية ٣٥.

(٢) سورة النازعات: الآية ٤٦.

(٣) سورة المؤمنون: الآية ١١٣.

(٤) الضمير (هم) بجوار كلمة ﴿أَنَّهُمْ﴾ فيه إشارة إلى انحصار الفلاح في هذه المجموعة.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥﴾

إشارات:

❑ بَيَّن القرآن الكريم جملة من الأهداف لخلق الإنسان، منها:

١ ـ العبادة، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١]، أي: أنا ما خلقت الإنس والجنَّ إلّا من أجل عبادتي (لينالوا الكمال ويقتربوا مني بهذه الطريقة).

٢ ـ الابتلاء، ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٢]، فالله تعالى خلق الموت والحياة حتى يختبركم ويرى مَن منكم أحسن عملاً من غيره.

٣ ـ نيل الرحمة الإلٰهيّة، ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[٣]، أي: إلا مَن يرحمه ربك، ولهذه الرحمة خلق الله الناس.

❑ رُوِي عن الإمام عليّ عليه السلام: **«رحم الله امرأً عرف قدره»**[٤]، أي: رحم الله مَن يعرف قدره وقيمته. ويعرف من أين جاء، وأين هو الآن، وإلى أين سيذهب بعد ذلك.

❑ قال الإمام الحسين عليه السلام: **«أيها الناس! إن الله جلَّ ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه»**[٥]، أي أنَّ الله تعالى لم يخلق عباده إلا من أجل أن يعرفوه، وعندما يعرفونه يعبدونه، فإذا ما عبدوا الله فإنهم يستغنون بعبادته عن عبادة غيره (من أرباب السلطة والشهرة والمال مثلاً).

❑ عن الإمام علي عليه السلام: **«الدنيا خُلقت لغيرها ولم تُخلق لنفسها»**[٦]. أي أنَّ الدنيا

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٢) سورة الملك: الآية ٢.

(٣) سورة هود: الآية ١١٩.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم، الكلمة رقم: ١٠١٧٩.

(٥) بحار الأنوار، ج ٥، ص ٣١٢.

(٦) نهج البلاغة، الحكمة ٤٦٣.

لم تُخلق لتكون هدفاً لذاتها، وإنما هي مخلوقة لغيرها، (الدنيا وسيلة من أجل الوصول إلى الآخرة).

نعم، أولئك الذين يبحثون عن أهدافهم كلها في الدنيا يصبحون ممن يركنون إلى الدنيا، ويخلدون إلى الأرض، وهو ما أشارت إليه الآية ١٧٦ من سورة الأعراف: ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ يقول المثل: كل لحظة من العمر العزيز كنزٌ لا مثيل له، وكنزٌ كهذا تذهب به رياح الآهات والأنفاس في كل لحظة.

التعاليم:

١ ـ إنّ لخلقِ الإنسان هدفاً، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾.

٢ ـ ليست حسابات الإنسان كلها واقعية، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ﴾.

٣ ـ لا سبيل للعبث واللغو في ما يفعله الله تعالى، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ... عَبَثًا﴾.

٤ ـ الحياة الدنيا بدون الآخرة عبث ولغو، ﴿عَبَثًا﴾.

٥ ـ تترتب على الإنسان مسؤولية والتزام (يجب أن نعد أنفسنا للإجابة يوم القيامة)، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ... لَا تُرْجَعُونَ﴾.

٦ ـ لا يقتصر الهدف من خلق الإنسان على هذه الدنيا، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ... لَا تُرْجَعُونَ﴾.

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾

إشارات:

□ ذكرنا فريقاً من المفلحين في التعقيب على الآية الأولى من مطلع هذه السورة، ونذكر في نهاية السورة فريقاً من الخاسرين أيضاً، وذلك بملاحظة جملة «لا يُفلح»، ومن الخاسرين:

ـ الظالمون، ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1].

ـ المجرمون، ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[2].

ـ السحرة، ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾[3].

ـ الكافرون، ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[4].

ـ أولئك الذين يفترون على الله الكذب، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾[5].

التعاليم:

١ ـ حاشا لله أن يفعل ما لا فائدة منه، ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾.

٢ ـ الحُكم الحق لله سبحانه وتعالى، ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾.

٣ ـ يخضع الكونُ لإدارة الله وعنايته، ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ﴾، ونحن نقرأ في مواضع أخرى: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ﴿رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

٤ ـ الشِرك أمرٌ مُدان كيفما كان، ﴿يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا﴾.

٥ ـ لا منطق وحجة للمشرك، ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ﴾، (يجب أن تكون عقائد الإنسان وتصرفاته قائمة على دليل وبرهان).

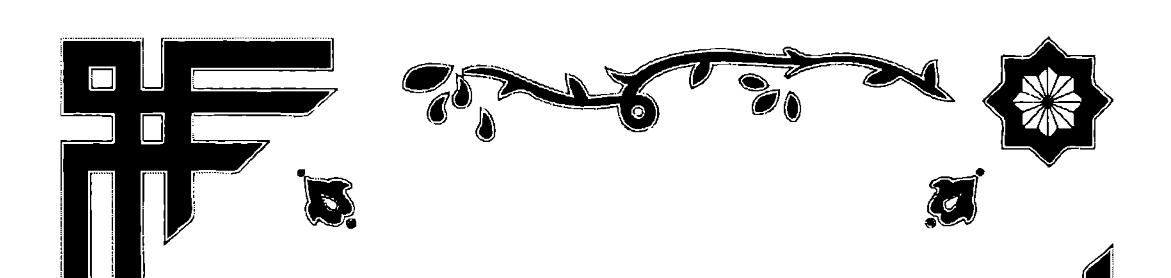
٦ ـ يحتاج النبي المعصوم أيضاً إلى رحمة الله ومغفرته، ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ﴾.

٧ ـ علينا ألا ننسى الثناء على الله في دعائنا، ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

«الحمد لله رب العالمين»

---

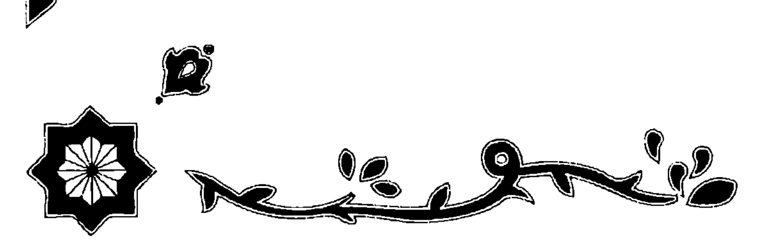
(١) سورة الأنعام: الآية ١٣٥.
(٢) سورة يونس: الآية ١٧.
(٣) سورة يونس: الآية ٧٧.
(٤) سورة المؤمنون: الآية ١١٧.
(٥) سورة يونس: الآية ٦٩.

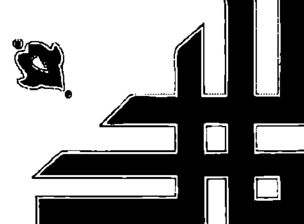


سُورَةُ النُّورِ

السورة: ٢٤ الجزء: ١٨

عدد الآيات: ٦٤





ملامح سورة النور

نزلت هذه السورة في المدينة، وعدد آياتها أربع وستون.

والسبب في تسميتها بسورة «النور» هو الآية الخامسة والثلاثون، وهي الآية التي تصف الله تعالى بأنه نور السماوات والأرض.

ولما كانت هذه السورة قد وردت فيها وصايا كثيرة في مجال حفظ العِفة والشرف فإن هناك تأكيد ورد في روايات على تعليم النساء هذه السورة وحثّهن على قراءتها.

والموضوعات الأخرى التي تتناولها هذه السورة هي أحكام معاقبة الزناة من الرجال والنساء وأولئك الذين يرمون النساء الطاهرات العفيفات بتهمة الزنا، وكذلك حادثة «الإفك» المعروفة، وحكم الحجاب، ورعاية الشرف والعِفة من أجل منع الانحرافات.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾

إشارات:

☐ كلمة «سورة» هي التسمية التي تُطلق من عند الله تعالى على مجموعة الآيات من القرآن الكريم، ﴿سُورَةٌ... وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ﴾.

التعاليم:

١ ـ فُرض الله تعالى الأحكام على عباده، ﴿وَفَرَضۡنَٰهَا﴾.

٢ ـ القرآن هو القانون الإلزامي والتنفيذي للدين، ﴿وَفَرَضۡنَٰهَا﴾.

٣ ـ يمكن فهم آيات القرآن بوضوح، ﴿فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ﴾، (على الرغم من أن فهم جزء من الآيات يحتاج إلى بحث وتفسير).

٤ ـ يحتاج الإنسان إلى الوعظ والتذكير، ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.

٥ ـ تُوجد في فطرة الإنسان جذور تعاليم القرآن، وينكشف حجاب الغفلة عنها بالتذكر، ﴿تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾

إشارات:

☐ تختلف أحكام الزنا باختلاف حالات مرتكبيه، وقد وردت الإشارة في هذه الآية إلى حالة واحدة، وهي أن يُجلد الزاني مائة جلدة إذا كان رجلاً عازباً أو امرأة عزباء، أمّا إذا ارتكب الرجل المُحصن أو المرأة المُحصنة جريمة الزنا فإنهما يُرجمان بالحجارة.

مفاسد الزنا في القرآن الكريم:

- ورعاية يَعدُّ القرآن الكريم الزنا عملاً قبيحاً، وينهى عن الاقتراب منه، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾[1] ويرى أن ترك الزنا علامة من علامات عباد الله الصالحين، ﴿عِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ... وَلَا يَزْنُونَ﴾[2] وحتى يجعل البُعد عن هذه الجريمة شرطاً من شروط مُبايعة الرسول ﷺ، ﴿إِذَا جَآءَكَ... وَلَا يَزْنِينَ﴾[3].
- وردت بعض المفاسد الاجتماعيّة للزنا في خطبة للإمام الرضا عليه السلام يقول فيها: «حُرّم الزنا لما فيه من الفساد، من قتل الأنفس، وذهاب الأنساب، وترك التربية للأطفال، وفساد المواريث، وما أشبه ذلك من وجوه الفساد»[4]. وهكذا توضع هذه المفاسد في الآثار الآتية:

١ ـ ارتكاب جريمة القتل عن طريق إسقاط الجنين.

٢ ـ انهيار النظام الأُسري وعلاقات القرابة والنسب.

٣ ـ ترك تربية الأولاد.

٤ ـ ضياع معايير المواريث.

- ويرى الإمام علي عليه السلام أن ترك الزنا يؤديّ إلى تحصين النسب، وترك اللواط هو تكثيرٌ للنسل[5].
- وقال رسول الله ﷺ: **«معشر المسلمين إياكم والزنا فإن فيه ست خصال: ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة: فأمَّا التي في الدنيا: فإنه يذهب بالبهاء، ويورث الفقر، وينقص العمر، وأمَّا التي في الآخرة: فإنه يوجب سخط الرب، وسوء الحساب، والخلود في النار»**[6].
- وعن النبي الأكرم ﷺ: **«إذا كثر الزنا كثر موت الفجأة»**[7].

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٣٢.
(٢) سورة الفرقان: ٦٣ ـ ٦٨.
(٣) سورة الممتحنة: الآية ١٢.
(٤) بحار الأنوار، ج ٧٩، ص ٢٤.
(٥) نهج البلاغة، حكمة ٢٥٢.
(٦) بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ٥٨.
(٧) بحار الأنوار، ج ٧٣، ص ٣٧٢.

□ **«لا تزنوا فتزني نساؤكم، ومن وطئ فراش امرئ مسلم وُطئ فراشه، كما تدين تُدان»**[١].

يقول المثل: لا تكن غافلاً عن جزاء العمل، فالقمح ينبت من القمح، والشعير من الشعير.

□ أربع لا تدخل بيتاً واحدةٌ منهن إلا خرب ولم يعمر بالبركة: الخيانة، والسرقة، وشرب الخمر، والزنا[٢].

□ الزنا كبيرة من أكبر الكبائر.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام: **«إذا فشت أربعة ظهرت أربعة: إذا فشا الزنا ظهرت الزلازل، وإذا أُمسكت الزكاة هلكت الماشية، وإذا جار الحكام في القضاء أمسك القطر من السماء، وإذا خفرت الذمة نُصِر المشركون على المسلمين»**[٣].

التعاليم:

١ ـ الانفلات الجنسي والعلاقات المُحرمة ممنوعة في الإسلام، ﴿ٱلزَّانِيَةُ... فَٱجۡلِدُواْ...﴾.

٢ ـ النساء دور أكبر من دور الرجال في إنشاء العلاقات غير الشرعيّة وتمهيد مُقدماتها، ولهذا السبب جاءت كلمة زانية قبل كلمة زاني، ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾، وذلك على خلاف السرقة التي يزيد فيها دور الرجال، ولهذا قُدمت كلمة السارق على كلمة السارقة، ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾[٤].

٣ ـ العقاب البدني للزاني ضروري من أجل تأديبه والمحافظة على العفاف العام، ﴿فَٱجۡلِدُواْ﴾.

٤ ـ يُعاقب كلا الطرفين في العلاقات المُحرمة بمعيار واحد (إلا في المواضع التي تخضع لحكم خاص)، ﴿كُلَّ وَٰحِدٖ﴾.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٧٦، ص ٢٧.
(٢) بحار الأنوار، ج ٧٦، ص ١٩.
(٣) بحار الأنوار، ج ٧٦، ص ٢١.
(٤) سورة المائدة: الآية ٣٨.

٥ ـ يجب أن تُحدّدَ حدودُ العقاب من قِبل الله تعالى، ﴿مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾.

٦ ـ لا يجوز إظهار الشفقة أو الوقوع تحت تأثير العواطف عند مُعاقبة المجرمين، ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾.

٧ ـ يجب أن تدور المحبة والرأفة في مدار الشرع، ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾.

٨ ـ لا يقتصر الدين على الصلاة والصوم، بل تنفيذ حدود الله من الدين أيضاً، ﴿فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾.

٩ ـ الصلابة والحزم في تنفيذ حدود الله يتجليان بالإيمان بالمبدأ والمَعاد، ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾.

١٠ ـ يجب أن يكون عقاب المجرم عِبرة للآخرين، ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾.

١١ ـ يجب أن يُزجر الزاني بالعذاب النفسي بالإضافة إلى التعذيب الجسدي، ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ...﴾.

١٢ ـ ينبغي أن تحضر مجموعة من المؤمنين عند تنفيذ مراسم إقامة حدود الله، ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾

إشارات:

❑ هذه الآية تُذكر بأجواء الآية التي يقول الله تعالى فيها: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ﴾، وهو ما سيأتي ذكره في الآية ٢٦ من هذه السورة، حيث يتوضّح المبدأ القائل: الحمامة للحمامة والصقر للصقر.

❑ يتلازم الزاني مع المشرك في هذه الآية، ﴿زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾.

❑ يجب أن تكون هناك قيود أخرى للزاني بالإضافة إلى العقاب الجسماني والاجتماعي.

❑ ورد في تفسير الآية من طرق أهل البيت عليهم السلام أنّ الزاني إذا اشتهر منه الزنا،

وأقيم عليه الحدّ، ولم تتبيّن منه التوبة يحرم عليه نكاح غير الزانية والمشركة. والزانية كذلك[١].

❑ وعن الإمام الباقر عليه السلام، في حديث طويل قوله: «... **فلم يسمّ الله الزاني مؤمناً ولا الزانية مؤمنةً، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله... : لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن؛ فإنّه إذا فعل ذلك خلع عنه الإيمان كخلع القميص**»[٢].

التعاليم:

١ ـ التكافؤ أصلٌ في الزواج، أي وجود التناسب والتوافق بين الزوجين، فالنساء والرجال الأنجاس لا يليقون بالأزواج الطاهرين، ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾.

٢ ـ الفاسدون محرومون في المجتمع الإسلامي من بعض الحقوق، ﴿لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾.

٣ ـ يجب على المؤمنين والمؤمنات أن يختاروا الأزواج الطاهرين الشرفاء، ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾

إشارات:

❑ على الرغم من أن الحديث قد دار في الآيات السابقة عن جزاء الزُناة فإن إثبات واقعة الزنا ليس أمراً سهلاً أو يسيراً، بل يجب أن يشهد أربعة أفراد عدول على وقوع هذه الجريمة، وإذا حضر في المحكمة أقل من أربعة أفراد فإن كل واحد منهم يُجلد ثمانين جلدة.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ٨٠؛ وللاطلاع على نصوص الروايات، انظر: الكافي، ج ٥، ص ٣٥٤.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٣٢.

□ سُئل الإمام الصادق عليه السلام: أيهما أشد، الزنا أم القتل؟ قال: «**القتل**»، فقيل له: فما بال القتل جاز فيه شاهدان ولا يجوز في الزنا إلا أربعة؟ فقال: «**الزنا فيه حدَّان، ولا يجوز أن يشهد كل اثنين على واحد، لأن الرجل والمرأة جميعاً عليهما الحد، والقتل إنما يُقام الحد على القاتل، ويُدفع عن المقتول**»[1].

□ الاتهام بالزنا له حدٌّ معروف وقانون مُعيّن، من بين التُهم المختلفة، وقد أكد القرآن الكريم على ذلك صراحةً، ﴿ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ﴾.

□ الاتهام أمر مُهم إلى حد أن الذي يفصل بين عقوبة الاتهام بالزنا ـ إذا عوقب المجرم... والزنا نفسه هو عشرون جلدة، ﴿مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ...﴾.

□ الذي يرمي الآخرين بتهمة الزنا لا تُقبل شهادته ولا يكون لها اعتبار، ﴿وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً﴾.

التعاليم:

١ ـ الاتهام بمثابة إطلاق للسهم وهجوم على شرف الناس، ﴿يَرۡمُونَ﴾.

٢ ـ اتهام النساء المُحصنات العفيفات له عقاب شديد، ﴿ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾.

٣ ـ الدفاع عن حرمة النساء العفيفات أمر واجب، ﴿يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ...﴾.

٤ ـ هناك أناس يُجلدون أحياناً من أجل المحافظة على شرف القوم وأعراضهم، ﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ﴾.

٥ ـ الاتهام له عقوبة بدنية، ﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ﴾ واجتماعية، ﴿وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ﴾ وأخروية أيضاً، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾.

٦ ـ لا شك في فسق أولئك الذين يرمون النساء العفيفات بتهمة الزنا، ﴿هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾.

٧ ـ يشترط في الشاهد العدالة، وشهادة الفاسق غير مقبولة، ﴿وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً... هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾.

---

(١) تفسير كنز الدقائق.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥﴾

إشارات:

□ ورد في الحديث: «**إنَّ توبة مَن اتهم العفيفات في شرفهن أن يُكذّب نفسه على رؤوس الخلائق حتى يُضرب ويستغفر ربه، وإذا فعل فقد ظهرت توبته**»[1].

التعاليم:

١ ـ التوبة سبب تجديد الحياتين الدينيّة والاجتماعية، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ...﴾.
٢ ـ حتى المجرمون لا يصلون إلى طريق مسدود في دين الله، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾.
٣ ـ يجب أن تقترن التوبة بإصلاح الخطأ وعمل الصالحات، ﴿تَابُواْ...﴾.
٤ ـ لا مُبرر لليأس والقنوط من مغفرة الله ورحمته، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.
٥ ـ اتاحة فرصة التوبة للجميع دليل على الرحمة الإلٰهيّة، ﴿رَّحِيمٞ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٧ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٨ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٩ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾

إشارات:

□ دخل رجل يسمى «هلال بن أمية» على رسول الله ﷺ، مضطرباً، وقال له: لقد رأيت امرأتي وهي تزني، وأنا أقسم على ذلك بالله. فاستاء النبي ﷺ من ذلك، وثار أصحاب النبي أيضاً، فقد رأى هذا الرجل شرفه يُنتهك بهذا الشكل وسوف يُجلد أيضاً لأنه لا شهود معه ليؤكدوا هذا الكلام. ونزلت هذه الآية

(١) الكافي، ج ٢، ص ٢٤١.

التي يقول فيها الله تعالى إن الرجل إذا اتهم زوجته بالزنا ولم يكن معه شاهد فعليه أن يقول أربع مرات (أشهد بالله إني لمن الصادقين) بدلاً من إحضار الشهود الأربعة. أي أنا أتخذ الله شاهداً على أني من الصادقين. وعليه أن يقول مرة واحدة ﴿لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ من أجل أن يُثبت ادعاءه ويُقويه، أي فلتصبني لعنة الله إن كنتُ كاذباً[1].

ولا شك في أنَّ المرأة أيضاً لها الحق كما للرجل في أن تُدافع عن نفسها؛ لأنه من الممكن أن يحكم الرجل على زوجته بالرجم إذا أقسم أربع مرات كاذباً، ويُدنس شرفها وشرف عشيرتها وأقاربها إلى الأبد. ولمنع وقوع مثل هذا الأمر فإنَّ الإسلام الذي يحمي حقوق الجميع قد سمح للمرأة أيضاً أن تُقسم أربع مرات بالله من أجل إثبات عفّتها ونجاتها من الرجم. فتقول: (أشهد بالله أنه لمن الكاذبين)، أي أشهد بالله أن زوجي كاذب. ومن أجل أن يكون الأمر أكثر حسماً تقول: (غضب الله عليَّ إن كان من الصادقين)، أي أستحقُّ غضب الله وعذابَه إن كان زوجي صادقاً فيما اتهمني به.

وعلى كل حال، فإن هذه الجُمل العشرة (خمس جُمل يقولها الرجل، وخمس جُمل تقولها المرأة) إذا قيلت في محضر القاضي والحاكم الإسلامي فإنها تُسمى اصطلاحاً باسم «اللِعان» (يلعن كل منهما الآخر). وتوجد تفاصيل فقهية وقانونية خاصة مطروحة في هذا الشأن. فالقاضي يجب أن يعظ الرجل والمرأة، وأن يسعى في منع وقوع اللِعان، وإذا اقتضت الضرورة وقوعه فعليه أن يصحبهما إلى مكان مقدّس كالمسجد، ويُجلسهما في مواجهة القبلة، وتتم عندئذٍ مراسم اللِعان.

□ هناك قوانين وقواعد اهتم بها الإسلام عند وقوع اللِعان وقسم المرأة والرجل وقول الجُمل المذكورة، ويجب أن يتم العمل بها:

١ ـ تنفصل هذه المرأة عن الرجل بدون صيغة الطلاق وإلى الأبد، وليس لهما الحق في الرجوع عن الطلاق والزواج مرة ثانية.

---

(١) تفسيرنمونه، ج١٤، ص ٣٧٨.

٢ ـ يُرفع الحدُّ عن الاثنين معاً، أي أن الرجل لا يُجلد ثمانين جلدة ولا تُرجم المرأة.

□ يهدف وجود أربعة شهود أو القسم أربع مرات المصحوب باللعن وغضب الله لإثبات وقوع الزنا، إلّا أن الله تعالى منع بفضله ورحمته فضح الأفراد عن طريق هذا النوع من الأحكام، وإلا لفُضحت أسرٌ وهلكت قبائل وعوائل كل يوم.

التعاليم:

١ ـ تحظى المُحافظة على الشرف باهتمام بالغ في الإسلام، ﴿أَرْبَعُ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ﴾، (وقانون القسم أربع مرات ولعن النفس مرة واحدة إنما جُعل للسيطرة على الناس ومنعهم من فضح أحدهم الآخر).

٢ ـ تُقبل أربع شهادات بالله ولعنةٌ واحدة بدلاً من أربعة شهود في إثبات زنا الزوجة، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ... فَشَهَـٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَـٰدَٰتٍۭ﴾.

٣ ـ الإسلام يحمي حقوق المرأة، فهي تستطيع أن تدفع عن نفسها الاتهام الذي يوجّهه الرجل بقسمه أربع مرات بأن تُقسم هي الأخرى أربع مرات مثله، ﴿أَرْبَعُ شَهَـٰدَٰتٍۭ... أَرْبَعَ شَهَـٰدَٰتٍۭ﴾.

٤ ـ أوجب الإسلام قولَ الجُملة الخامسة من كلا الطرفين بالإضافة إلى الشهادة بالله أربع مرات من أجل منع انهيار نظام الأسرة، ﴿وَٱلْخَـٰمِسَةُ﴾.

٥ ـ لعنُ النفس جائزٌ من أجل رفع الاتهام، ﴿غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ﴾.

٦ ـ يتم تنفيذ قوانين الله وأوامره لمصلحة الناس أنفسهم، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾.

٧ ـ يقترن قبول الله تعالى العُذر بالمصلحة والحكمة، ﴿تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾.

٨ ـ قوانين العقاب في الإسلام أحكام نابعة من الحكمة الإلٰهيّة، ﴿حَكِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾

إشارات:

- «الإفك» في اللغة الميل عن الحق إلى الباطل، والاتهام جزافاً، ونوع من إخفاء الحق وإظهار الباطل.
- قال بعض المفسرين في سبب نزول هذه الآية إن النبي الأكرم ﷺ كان يصطحب واحدة من زوجاته في كل سفر من أسفاره على حسب القرعة، فاصطحب معه عائشة في غزوة «بني المصطلق»، فلما انتهى القتال وكان الناس في طريق عودتهم إلى المدينة تخلفت عائشة عن القافلة لحاجتها أو للعثور على حبَّات عقدها المفقودة، وقام واحدٌ من الصحابة كان قد ابتعد هو الآخر عن القافلة بإيصال عائشة إلى جيش المسلمين. واتهم بعض الأفراد عائشة وذلك الصحابي بما لا يليق من اتهامات. ووصل هذا الاتهام إلى مسامع الناس، وحزن النبي ﷺ، وذهبت عائشة إلى بيت أبيها، وظلت فيه حتى نزلت هذه الآية[1].
- ويروي فريق آخر من المفسرين وخاصة مؤلّف تفسير «أطيب البيان» بالرجوع إلى الروايات العديدة والموثقة أنَّ هذه الآية نزلت في «مارية القبطية» (زوجة أخرى من زوجات رسول الله)، وهي التي رزقها الله بولد سُمي «إبراهيم»؛ ولكنه غادر الدنيا بعد ثمانية عشر شهراً فحزن عليه النبي. ويقولون إن عائشة وحفصة قالتا: يا رسول الله! لماذا تبكي؟ إن إبراهيم لم يكن ولدك، بل هناك شخص آخر غيرك دخل على مارية فولدت له الغلام. وهنا نزلت هذه الآية. ويؤيد العلامة جعفر مرتضى في كتابه القيّم (حديث الإفك) هذا التفسير أيضاً. وهناك أسئلة مطروحة حول هذين القولين في سبب نزول الآية، ولكن لما كان

---

(١) تفسير ابن كثير، ج ٦، ص ٢٣ فما بعدها.

الهدف من هذا التفسير هو استخلاص الرسالة من نص الآيات فإننا لن نوسع دائرة البحث في أسباب النزول.

- ثمة ذنوب عدّة تتضمنها حادثة الإفك: الكذب، سوء الظن في المؤمن، إيذاء المؤمن، الاتهام، الإهانة، إيذاء النبي ﷺ، توهين بيت الرسالة، وبث الشائعات.

التعاليم:

١ ـ لا يتورع الفاسقون عن إلصاق جريمة الزنا حتى بزوجة النبي، ﴿جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾.

٢ ـ ينشر صناع الشائعات أحياناً شائعاتهم بإعدادٍ مُسبق بقصد التآمر، ﴿عُصْبَةٌ﴾، (كلمة «عُصبة» تعني مجموعة متآلفة ومتعصبة تسعى لتحقيق هدف).

٣ ـ يجب الحذر من مروّجي الشائعات، ﴿مِّنكُمْ﴾.

٤ ـ توجد أحياناً منافع في الأحداث المريرة (كالكشف عن وجه المنافقين، وانتباه الناس، وتَنَزل المدد الإلٰهيّ على المظلومين)، ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾.

٥ ـ لا بدّ من بث الأمل في نفوس المؤمنين في مواجهة مؤامرات الأشرار واتهاماتهم، ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ﴾.

٦ ـ تتناسب العقوبات الإلٰهيّة العادلة مع أعمال الناس، ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ﴾.

٧ ـ يُعَاقب كل مجرم في العقوبات الجماعية على قدر مساهمته في الجريمة، ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾.

٨ ـ يكون الإنسان مجرماً ومقصراً حينما يُجرم عن علم وقصد، ﴿ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾.

٩ ـ تلقى تبعات كل إنسان على نفسه، ﴿لَكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾.

١٠ ـ جزاء الجاني الرئيس في ارتكاب الجريمة أكبر من غيره، ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ... لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿لَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾

إشارات:

- يوبِّخ الله تعالى المسلمين في هذه الآية على سوء ظنهم في زوجة الرسول ﷺ، ونظراً لما عرضوه لها من أذى بسبب الشائعات.
- استخدم القرآن الكريم الضمير «أنتم» بدلاً من كلمة «الآخرين» كي يقول للمسلمين: كلكم واحد. فبدلاً من أن يقول على سبيل المثال: لا تلمزوا الآخرين وتطعنوا فيهم، نراه يقول: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾[1]، أي لا تطعنوا في أنفسكم. وبدلاً من أن يقول: إذا دخلتم بيتاً فسلموا على الآخرين، نراه يقول: ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾[2]، أي ألقوا السلام على أنفسكم. ويقول في هذه الآية أيضاً: ﴿ظَنَّ... بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾، أي ظن المؤمنون بأنفسهم خيراً، بدلاً من أن يقول: ظننتم بالآخرين خيراً.
- استخدمت كلمة «لولا» في القرآن الكريم في مواضع عدّة من أجل الانتقاد واللوم، وسنذكر في ما يأتي بعض هذه المواضع:

١ ـ ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ﴾[3]، لماذا لا ينهاهم العلماء عن المنكر؟

٢ ـ ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾[4]، لماذا تقبلون كل ما تسمعونه؟

٣ ـ ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾[5]، لماذا لا يأتون بأربعة شهداء على ما قالوه من أقوال غير جائزة؟

٤ ـ ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾[6]، لماذا لا تطلبون المغفرة من الله؟

٥ ـ ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾[7]، لماذا لم يتضرعوا إلى الله عندما أصابهم العذاب؟

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١١.
(٢) سورة النور: الآية ٦١.
(٣) سورة المائدة: الآية ٦٣.
(٤) سورة النور: الآية ١٢.
(٥) سورة النور: الآية ١٣.
(٦) سورة النمل: الآية ٤٦.
(٧) سورة الأنعام: الآية ٤٣.

٦ ـ ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾[١]، لماذا لا تشكرون؟

٧ ـ ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾[٢]، لماذا لا تُصدقون؟

٨ ـ ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٣]، لماذا لا تعتبرون؟

٩ ـ ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾[٤]، لماذا لا تخرج جماعة من كل فرقة حتى تتفقه في أمور الدين؟

التعاليم:

١ ـ توسيع نطاق الشائعة ونشرها بين الناس ممنوع، (كلمة «لولا» تشير إلى اللوم لدرجة التقريع بسبب سوء الظن ونشر الشائعات).

٢ ـ يجب أن تسود روح حُسن الظن في المجتمع الإسلامي، ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾، (حُسن الظن من آثار الإيمان).

٣ ـ يتضافر المؤمنون في الذود عن شرف الفرد الواحد منهم، ﴿الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾.

٤ ـ بنو آدم أعضاء في جسد واحد، والاتهام لأي عضو من أعضاء المجتمع الإسلامي بمثابة اتهام لباقي أعضائه، ﴿بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾.

٥ ـ الأصل في الحكم على عمل المسلم هو الصحة، إلا أنْ يثبت الجُرم عليه بدليل، ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾.

٦ ـ يجب على كل المؤمنين المحافظة على حرمة النبي ﷺ وأسرته، ﴿لَوْلَا... وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾.

٧ ـ يجب عدم السكوت حيال ما نسمعه من أقوال لا تليق بأحد من المؤمنين، ﴿لَوْلَا... وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾.

---

(١) سورة الواقعة: الآية ٧٠

(٢) سورة الواقعة: الآية ٥٧.

(٣) سورة الواقعة: الآية ٦٢.

(٤) سورة التوبة: الآية ١٢٢.

٨ ـ يُوبَّخ المجتمع ويُلام إذا كان أبلهاً وساذجاً وثرثاراً، ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾.
٩ ـ إذا لم تثبت التهمة يُعدُّ مطلقها كاذباً، ﴿هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

إشارات:

□ «أفضتم» من «الإفاضة»، وتُستخدم حينما يتم التداول في قضيّة، وتشغل هذه القضيّة الجميع، وهذا يشير إلى أن اتهام زوج النبي هو قضيّة الساعة، وأن الجميع انشغلوا بها.

التعاليم:

١ ـ تتمتع الأمة الإسلاميّة بحماية الله ولطفه، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ...﴾.
٢ ـ يمنّ الله على الناس بمظاهر فضله، وليس استحقاقاً منهم، ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾.
٣ ـ الشائعات كالدوامة التي يغرق البعض فيها، ﴿أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾.
٤ ـ يتعرض عموم الناس لقبول الشائعات والاتهامات ونزول البلاء، ﴿وَلَوْلَا... لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

إشارات:

□ اللسان هو العضو الوحيد الذي لا يكل من الكلام ولا يمل منه طوال حياة الإنسان. وشكله صغير وحجمه قليل، ولكن جرمه عظيم وذنبه كبير. وما أكثر الكافرين الذين يُسلمون ويطهرون بنطق جملة واحدة (أشهد أن لا إله إلا الله)، وما أكثر المسلمين الذين يكفرون وينجسون بقولهم كلمة الكفر بالله، أو

بإنكارهم أحكام الدين. ويستطيع اللسان أن يخلق حالة من الصفاء بالصدق والذكر والدعاء ونُصح الآخرين من ناحية، ويقدر على تكدير الصفو بالطعن في هذا وذاك من ناحية أخرى. واللسان هو مفتاح العقل ومصباح العلم وأبسط الوسائل وأرخصها لنقل العلوم والتجارب. وقد كتب علماء الأخلاق الكثير حول اللسان، فتراجع في مظانّها.

التعاليم:

١ ـ يجب عدم قبول ما تلوكه الألسن بدون تحقيق، ﴿تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾.

٢ ـ يجب أن يكون الكلام على أساس العلم، ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾.

٣ ـ يجب عدم الاستهانة بالتشكيك في شرف الناس، ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾.

٤ ـ إنّ نقل الاتهامات ورواية الشائعات من الكبائر، ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

٥ ـ وحده الله سبحانه الذي يُحدّد صغَر الذنب أو كبره، ﴿عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

٦ ـ ليس كل ما يظنّه الإنسان حقيقياً، ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾

إشارات:

- وردت كلمة «عظيم» في ثلاث آيات متتاليات، مرة في قوله تعالى ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، ومرتين في قوله ﴿بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾، لتأكيد أنّ الذنب العظيم له عقاب عظيم.

التعاليم:

١ ـ النهي عن المنكر من الواجبات، ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم﴾، (قول الكلمة من أجل الدفاع عن شرف المسلم واجب).

٢ ـ الإنسان مسؤولٌ في مقابل ما يسمعه، ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾

٣ ـ الحثّ على التسبيح عند التعامل مع القضايا والمسائل المهمة، ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾.

٤ ـ الدنيا صغيرة عند الله، أمّا بهتان المسلم فكبير، ﴿بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٧ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٨﴾

التعاليم:

١ ـ يحتاج الناس إلى الموعظة، والله تعالى هو أحسن الواعظين، ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ﴾.

٢ ـ الإيمان هو شرط التأثر بالموعظة، ﴿يَعِظُكُمُ... إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

٣ ـ يجب أن نعظ الآخرين حتى نُحافظ على شرف الناس، ونحول دون وقوع سوء الظن، ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ﴾.

٤ ـ التحريض على سوء الظن والافتراء سبب من أسباب محو الإيمان، ﴿يَعِظُكُمُ... إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

٥ ـ من علامات الإيمان عدم تكرار الذنب، ﴿تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

٦ ـ يجب عدم اتهام المسلمين، بل حملُ عملِ المسلم على محمل الصحة، ﴿أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ﴾.

٧ ـ يجب وعظ المُذنبين حتى يتوبوا ويرجعوا عن ذنبهم، ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ﴾.

٨ ـ تصدر الأوامر في الإسلام عن علم الله وحكمته الإلٰهيّة، ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

٩ ـ تقوم الأحكام الإلٰهيّة على أساس العلم والحكمة الإلٰهيّين، ﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ... عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝١٩ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٢٠﴾

إشارات:

- تشيع الفحشاء بالقلم واللسان حيناً، حينما يفضحان أعمال الناس القبيحة، وبتشجيع الآخرين على اقتراف الذنب وتوفير إمكانيات الآثام لهم حيناً آخر.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته أذناه فهو من الذين قال الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ...﴾**»[١].

□ وفي الحديث أنَّ «**من أذاع فاحشة كان كمبتديها**»[٢].

التعاليم:

١ ـ نحن مسؤولون في مقابل رغباتنا ومطالبنا، ﴿يُحِبُّونَ... لَهُمْ عَذَابٌ﴾.

٢ ـ حبّ الذنب مقدمة لاقترافه. علينا أن نُزيل التعلق بالمنكر عند النهي عنه، ﴿يُحِبُّونَ...﴾.

٣ ـ إن محبة بعض الذنوب كبيرةٌ من الكبائر، كالتشهير بالمؤمن، ﴿يُحِبُّونَ... عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

٤ ـ يجب على النظام الإسلامي أن يُعاقب أولئك الذين يسيرون في طريق إشاعة الفحشاء، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا﴾.

٥ ـ كثيراً ما يكون التشهير بالآخرين سبباً لعذابنا في الدنيا، ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾

إشارات:

□ ورد الحديث عن فضل الله ورحمته ثلاث مرات في الآيات ١٤ و٢٠ و٢١، وذلك للتأكيد للناس أنه «لولا فضل الله لما عرفتم كيف يكون وضعكم».

□ «خطوات» جمع «خطوة»، أي الحركة بمقدار مسافة ما بين القدمين، وقد

---

(١) الكافي، ج ٣، ص ٣٥٧؛ وقد أوردها في تفسير كنز الدقائق، عند تفسير الآية.

(٢) وسائل الشيعة، ج٨، ص ٥٩٦.

استخدم القرآن الكريم عبارة «خطوات الشيطان» في التعبير عن الانحراف مع الشيطان، وذلك للدلالة على أنّ الشيطان يسحب الإنسان خطوة خطوة في اتجاه الذنوب.

❑ تحدّث القرآن الكريم عن «خطوات الشيطان» عدة مرات:

يقول تعالى في إحداها: ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[1]، أي ادخلوا جميعاً في الصلح والسلم ولا تتبعوا خطوات الشيطان.

ويقول سبحانه في موضع آخر: ﴿كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[2]، أي كُلوا من الأشياء الحلال الطيبة وانتبهوا لخطوات الشيطان ولا تتبعوها. ويقول تعالى أيضاً في هذه الآية التي تتحدث عن إشاعة الفحشاء بين المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾.

ومن نماذج خطوات الشيطان: حُب الفاسدين، ومجالستهم، وارتكاب صغائر الذنوب، ثم كبائرها بعد ذلك، وفي النهاية قسوة القلب وسوء العاقبة والنهاية المشؤومة.

التعاليم:

١ ـ لا تغتروا بإيمانكم، ويجب أن تهتموا بالتحذيرات المتتالية، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟﴾.

٢ ـ سياسة الشيطان هي التسلل التدريجي والاستدراج خطوة بخطوة، ﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، (فلنكن على حذر منذ الخطوة الأولى).

٣ ـ علينا أن نتحدث مع الناس بالاستدلال، فالله تعالى يقول: لا تتبعوا الشيطان ﴿لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، ويذكر السبب في ذلك، وهو أنه يأمر بالفحشاء، ﴿فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ...﴾.

٤ ـ يبدأ الشيطان بالوسوسة، ثم بعد ذلك يأمر كل من يتبع وسوسته، ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ... فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ...﴾.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠٨. (٢) سورة البقرة: الآية ١٦٨.

٥ ـ عمل الشيطان يتعارض مع الصلاة، فالشيطان يأمر الإنسان بالفحشاء ﴿فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾، أمَّا الصلاة فإنها تنهى الإنسان عنها، ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[1].

٦ ـ لا يمكن أن يزكو أحدٌ بدون التوفيق الإلٰهيّ، ﴿وَلَوْلَا... مَا زَكَىٰ...﴾.

٧ ـ يحتاج الإنسان إلى فضل الله دائماً، (تكرار جملة «لولا فضل الله» في هذه الآية والآيات السابقة).

٨ ـ الخداع والفحشاء يوجدان بامتداد مسيرة حياة الإنسان، ولكن باب التوبة والنجاة مفتوح أيضاً، ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ﴾.

٩ ـ الجميع حتى أولياء الله يحتاجون أيضاً إلى التوفيق الإلٰهيّ، ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾.

١٠ ـ يُنزل الله الحكيم الخيرَ والسعادة على الناس حسب جدارتهم وطاقتهم، ﴿يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾.

١١ ـ يجب إدراك أنّ الله يرى ويسمع كل شيء فهذا يساعد على منع الفحشاء والمنكر، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

إشارات:

- «يأتل» من الجذر «ألو» بمعنى التقصير، أو من كلمة «ألى» بمعنى القسم، كقولهم في الفقه «إيلاء».
- وكلمة «عفو» تعني المعذرة، وكلمة «صفح» تعني السماح وتجاوز الإساءة،

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.

وهي مرحلة أعلى من العفو. وقال بعضٌ إنّ كلمة «صفح» تعني العفو الذي لا لوم فيه.

- تعرض الذين يرمون غيرهم بالاتهامات للانتقاد الشديد في الآيات السابقة، وقد أقسم بعض الصحابة ألا يُنفقوا على من خاض في الاتهامات أبداً، فنزلت هذه الآية التي تقول: لا تتركوا المحرومين بلا نصيب من أموالكم بسبب ما انزلقوا إليه من قبل، (سبب النزول).

التعاليم:

١ ـ الميسورون مسؤولون عن المحرومين، ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ...﴾.

٢ ـ الأهم من الإنفاق هو المداومة عليه وعدم الملل منه والبعد عن التقصير فيه، ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾.

٣ ـ استفيدوا في الإنفاق من السعة المالية للآخرين وما عندهم من إمكانيات، ﴿أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ... وَٱلسَّعَةِ﴾.

٤ ـ الأقربون لهم الأولوية في المساعدة، ﴿أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

٥ ـ كونوا أصحاب همة عالية ولا تكتفوا بالحد الأدني عند اجتيازكم مراحل الكمال، فقد جاءت كلمة «عفو» أولاً، ثم جاءت كلمة «صفح» في مرحلة أعلى، ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ۗ﴾.

٦ ـ الذي يعفو عن الآخرين أكثر استفادة من العفو الإلٰهيّ (العفو والصفح وسيلة من وسائل جلب المغفرة الإلٰهيّة)، ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ﴾.

٧ ـ الهدف من العفو عن الآخرين والصفح عنهم هو الوصول إلى مغفرة الله تعالى ولا شيء آخر، ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ﴾.

٨ ـ يمكن الاعتماد على مشاعر الناس وعواطفهم في الدعوة إلى الله، ﴿أَلَا تُحِبُّونَ﴾.

٩ ـ يجب على الفعاليات الدينيّة أن تشجع الناس على الإنفاق والعفو والصفح، (الآية كلها).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٢٣﴾

إشارات:

❑ على الرغم من أن الكافرين وناقضي العهود والقتلة وأتباع الطاغوت والمنافقين والمفسدين والمشركين والمستكبرين والظالمين وكاتمي الحق والكذابين قد تعرضوا للعن في القرآن الكريم، فإن اللعن المصحوب بالعذاب العظيم في الدنيا والآخرة يطالب أولئك الذين يُشهرون بالأطهار.

❑ وقد رأى الإمام الصادق عليه السلام أن هذه الآية شهادة على أن قذف النساء الطاهرات العفيفات كبيرة من الكبائر[1].

التعاليم:

١ ـ التحذير من اتهام المرأة بالزنا خصوصاً، لما يتسبّبه ذلك من أذىً فادح لها، ﴿يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾.

٢ ـ رمي المحصنات العفيفات أكثر خطراً من رمي سواهن، ﴿ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾.

٣ ـ القذف له عقاب في الدنيا أيضاً مضافاً إلى عذاب الآخرة، ﴿لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾، (ربما كان مثال اللعن في الدنيا هو إقامة الحد على من يرمي المحصنات ورفض شهادته بوصفه فاسقاً).

٤ ـ اهتم القرآن بحماية حقوق النساء الطاهرات العفيفات، ﴿يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ... لُعِنُواْ﴾.

﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢٤﴾

إشارات:

❑ طُرحت مسألة شهادة أعضاء البدن مرات عدة في القرآن الكريم، حيث نقرأ في

(١) بحار الأنوار، ج ٧٦، ص ٩.

سورة فصلت: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[1]، أي أن آذانهم وأعينهم وجلودهم سوف تشهد على ما كانوا يعملون عند وصولهم إلى جهنم. ونقرأ في سورة يس قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[2].

- يوم القيامة والحساب يشهد الفرد على نفسه، وذلك يكشف عن أن جوهر الإنسان وشخصيته ينفصلان عن أعضاء بدنه التي تشهد عليه؛ لأن الشاهد والمشهود عليه يجب أن يكونا منفصلين.

التعاليم:

١ - لا يتحكم الإنسان حتى بأعضائه وجوارحه في محكمة يوم القيامة، ﴿تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم﴾.

٢ - تحتاج الشهادة إلى الإدراك والعقل، وبناءً على هذا فإن أعضاء البدن تُدرك بقدرة الله، ما تقوم به من أعمال، ولو كنا لا نفهم ذلك، ﴿تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم﴾.

٣ - تشتمل الشهادة يوم القيامة على الأقوال والأفعال كلها، ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾

إشارات:

- الـ «دين» في الآية هو الجزاء، والمعنى: يوم القيامة يؤتيهم الله جزاءهم الحقّ إيتاء كاملا ويعلمون أنّ الله هو الحقّ المبين[3].

- لا يُعاقَب المذنب في الدنيا العقاب الكامل بسبب ما يوجد من قيود وحدود. فلو قصف طيَّارٌ على سبيل المثال مدينة من المدن، وقتل الآلاف من سكانها

---

(١) سورة فصلت: الآية ٢٠.

(٢) سورة يس: الآية ٦٥.

(٣) الميزان في تفسير القرآن، ج١٥، ص ٤٨.

ظلماً، كيف نعاقبه في الدنيا؟ أمّا في يوم القيامة فلا توجد قيود أو حدود، إذ يُحرق المجرم في النار مرات عديدة، ثم يُبعث ليُعذَّب من جديد.

التعاليم:

١ ـ توفّى العقوبات كاملة يوم القيامة فقط، ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ﴾.

٢ ـ العقوبات الإلٰهيّة يوم القيامة تثبت على أساس الشهادة والحق، ﴿تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ... يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ﴾.

٣ ـ في ذلك اليوم يكمل الله العقوبة والجزاء لأصحابها، ﴿يُوَفِّيهِمُ﴾

٤ ـ يفهم الناس الحقيقة عندما يسدل ستار الغفلة والغرور والجهل والدعايات الكاذبة والأهواء يوم القيامة، ﴿وَيَعْلَمُونَ... هُوَ الْحَقُّ﴾

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

إشارات:

- هذه الآية تطرح مبدأ عامّاً، قوامه تحري الدقة في اختيار الزوجة، وأن يكون الاختيار على أساس الإيمان والعفة، وليس على أساس الجمال والثروة. وبناءً على هذا، فإن هذه الآية تعني أنه ليس بالضرورة إذا كان هناك رجل طيب فإن امرأته تكون طيبة، وإذا كانت هناك امرأة طيبة فإن زوجها يكون طيباً أيضاً، وتشملهما المغفرة والرزق الكريم، وذلك لأن القرآن يجعل من الإيمان والتقوى والعمل الصالح معياراً لدخول الجنّة، ولهذا فإن زوجتيْ نوح ولوط ﷺ من الخبيثات ومن أهل النار على الرغم من أن هذين النبيين من الطيبين.

- كلمة «طيب» تعني المُحبب المرغوب، وجاءت في القرآن الكريم صفةً للمال والذرّية والولد والكلام والمدينة والزوجة والطعام والرزق والمسكن والشجرة والتحية، وجاءت كلمة «خبيث» في المقابل كصفة أيضاً للمال والإنسان والزوجة والكلام والعمل والشجرة.

❑ يمكن لهذه الآية أن تقدم أكثر من معنى:

أ ـ معنى هذه الآية هو أن الكلمات الخبيثة من قبيل القذف والافتراء تليق بالخبيثين، والأقوال الطاهرة تليق بالأطهار الطيبين، والخبيثون يصدر عنهم الكلام القبيح، ويصدر عن الأطهار الكلام الطاهر. وذلك استناداً إلى الآيات السابقة التي كانت تدور حول قذف النساء العفيفات وحادثة الإفك، واستناداً إلى الجُملة التي يقول تعالى فيها: ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾.

ب ـ من الممكن أن يكون المقصود بهذه الآية هو بيان حكم شرعي يمنع زواج الأطهار الطيبين من الخبيثات. وذلك يُماثل قول الله تعالى في الآية الأولى من هذه السورة: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾، أي أن الرجل الزاني لا يتزوج إلا زانية، وتؤيد هذا المعنى رواية تُروى عن الإمام الصادق عليه السلام[1].

ج ـ من الممكن أن يكون المُراد بهذه الآية هو التطابق الفكري والعقائدي والأخلاقي، أو وجود التكافؤ بين الأزواج كما هو معروف في الاصطلاح. أي أن كل إنسان يبحث عمن ينسجم معه بشكل طبيعي.

يقول الشاعر ما ترجمته: أهل النار يجذبون أهل النار، وأهل الجنّة يطلبون أهل الجنَّة.

❑ ذُكرت صفات عديدة للرزق في القرآن الكريم، منها:

﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾[2]، أي: رزقاً طيباً وطاهراً.

﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[3]، أي: رزق عظيم ذو قيمة.

﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾[4]، أي: استفيدوا من الخير الوفير الذي وهبكم إياه الله حلالاً.

---

(١) الشيخ الطبرسي، تفسير مجمع البيان، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٦، مج ٧ ـ ٨، ص ٢١٣.

(٢) سورة النحل: الآية ٦٧.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٤.

(٤) سورة المائدة: الآية ٨٨.

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[1]، أي: يُيسرُ له الرزق من حيث لا يخطر له على بال.

﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2]، أي: يُرزقون في الجنَّة بلا حدود.

التعاليم:

١ ـ يسعى الخبيثون وراء أمثالهم من الزوجات في حين ينشد الطيبون الحرائر الطاهرات، ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ... وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾.

٢ ـ الاستفادة من النِّعم والطيبات حق من حقوق أهل الإيمان، ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾.

٣ ـ سلامة الأجيال الطاهرة وصية من وصايا القرآن، ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾.

٤ ـ حماية العفيفات الطاهرات واجبة، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾.

٥ ـ المعنويات مُقدمة على الماديات (تسبق عبارة ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ عبارة «رِزْقٌ كَرِيمٌ» كلما وردت الأخيرة في القرآن).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

إشارات:

- «الاستئناس» هو طلب الإذن والإعلام بالدخول، ويُمكن أن يكون بذكر الله أو السلام وأمثال ذلك طبقاً لما جاء في الروايات[3].
- سأل أحدهم رسول الله ﷺ: أستأذن على أمّي؟ فقال: «**نعم**»، قال: إنّها ليس لها خادم غيري، أفأستاذن عليها كلّما دخلت؟ قال: «**أتُحب أن تراها عريانة**»؟ قال الرجل: لا، قال: «**فاستاذن عليها**».

---

(١) سورة الطلاق: الآية ٣.

(٢) سورة غافر: الآية ٤٠.

(٣) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ٥٨٦.

- ووَرد في رواية أخرى أنَّ رسول الله ﷺ نهى أن يدخل الرجل على النساء إلا بإذن أوليائهنّ[١].
- وفي الروايات أنّ أخذ الإذن من أجل دخول بيوت الآخرين يكون على ثلاث دفعات، حتى تُتاح لأهل البيت الفرصة من أجل إعداد أنفسهم. ولا يلزم الإذن بالدخول عند إنقاذ الغريق والمظلوم وعند اندلاع النيران في البيت[٢].
- لم يكن النبي الأكرم ﷺ يقف في مواجهة الباب إذا أراد الاستئذان قبل دخول بيت من البيوت حتى لا يقع نظره المبارك على داخل البيت[٣].

التعاليم:

١ ـ يجب أن يستجيب المؤمنون في تنظيم شؤونهم لما قرّره الوحي عبر النبي، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

٢ ـ تجب المحافظة على أمن الناس وحريتهم في بيوتهم، ﴿لَا تَدْخُلُوا۟﴾، (الدخول المفاجئ على حريم الآخرين حرام).

٣ ـ يجب الحرص على تجنب مواضع الشبهة، ﴿لَا تَدْخُلُوا۟... ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ﴾.

٤ ـ ترك باب البيت مفتوحاً لا يعني الإذن بالدخول، ﴿لَا تَدْخُلُوا۟﴾.

٥ ـ ملكية الأفراد لها احترامها، ﴿لَا تَدْخُلُوا۟﴾.

٦ ـ وجوب تعامل المؤمنين أحدهم مع الآخر مصحوباً بالمحبة، ﴿تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟﴾.

٧ ـ تجنبوا كل عمل يؤدي إلى هتك الحياء والخجل، ﴿تَسْتَأْنِسُوا۟﴾.

٨ ـ يجب على الداخل إلى البيت كائناً من كان أن يُسَلم، ﴿وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾، (لا يلزم أن يكون السلام من الأصغر إلى الأكبر).

---

(١) المصدر نفسه، ص ٥٨٧.

(٢) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ١١، ص ٢٩٩.

(٣) المصدر نفسه؛ وسيّد قطب، في ظلال القرآن، عند تفسير الآية.

٩ ـ التزام الأدب واحترام حقوق الآخرين هما مصدر سعادة الإنسان، ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

١٠ ـ يجب تذكّر الأوامر الإلٰهيّة دائماً، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

١١ ـ يجب الحرص على تذكّر الفطرة التي تزكّيها الآداب والأخلاق الدينيّة وتلافي إغفالها، ﴿تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

التعاليم:

١ ـ يحرمُ دخول البيوت بدون إذن من أصحابها، ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾

٢ ـ يحتاج الدخول إلى إذن صريح، ﴿حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾، وينبغي الرجوع بمجرد ظهور علامات عدم الرضا من أصحاب الدار، ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾.

٣ ـ يحتاج دخول بيوت الناس إلى الإذن والسماح، سواء أكان الآذن بالدخول هو صاحب البيت أم مالكه، أو مسؤولاً آخر مأذوناً له من جانب الحاكم الإسلامي، (جاءت جملة «يؤذن» مبنية للمجهول ولم يرد ذكر للآذن حتى يثبت مبدأ الاستئذان).

٤ ـ ينبغي عدم المكث خلف أبواب البيوت، ﴿ارْجِعُوا﴾.

٥ ـ يجوز عدم استقبال الضيف غير المدعو، ﴿ارْجِعُوا﴾.

٦ ـ لا ينبغي أن نفرض أنفسنا على المضيف، ﴿ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾.

٧ ـ من بركات الأخلاق الإسلاميّة الشفافية وقبول ما هو غير متوقع، ﴿ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾.

٨ ـ أحياناً يكون خير الإنسان في عدم الإقدام على عمل، ﴿ارْجِعُوا... هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾، (ليس كل رجوع هزيمة).

٩ ـ المعيار في العلاقات الاجتماعيّة هو النقاء والطهارة، ﴿أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾، (أوامر الله ونواهيه هي طريق الوصول إلى الطهارة).

١٠ ـ علم الله بما نعمل هو عامل التشجيع والتحذير لنا، ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾

إشارات:

❑ يختلف التعامل مع الأماكن العامة التي ليس لها سكان محدّدون، كالمساجد والفنادق ومنازل القوافل والمعارض والإدارات، التي تكون أبوابها مفتوحة للجميع ويتردد الناس عليها، عن التعامل مع البيوت الشخصيّة، ولا يجب الاستئذان قبل الدخول إليها، وقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام في مثل هذه الأماكن: «**هي الحمّامات والخانات والأرحية تدخلها بغير إذن**»[1].

التعاليم:

١ ـ لا يجوز ارتياد الأماكن العامة بدون هدف مفيد ومن أجل التسكع، ﴿تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾.

٢ ـ علينا أن نراعي أمر الله عند الدخول إلى الأماكن العامة، وأن نعلم أن الله يطلع على أفكارنا وسلوكنا، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾

إشارات:

❑ كلمة «يغضوا» من الجذر «غضّ» الذي يعني الإنقاص والتقليل والخفض.

---

(١) تفسير البرهان، ج ٤، ص ٥٨.

وهكذا يقول لقمان لابنه ناصحاً: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ﴾، أي اخفض من صوتك ولا تتكلم بصوت مرتفع.

وليس المراد من «غض البصر» هنا هو إغماض العين، وإنما هو خفض البصر، بحيث لا يرى الإنسان ما لا يحل له من النساء.

❑ والمقصود بكلمة «فروج» هو العورتان اللتان يجب سترهما عن نظر الآخرين. ولا شك أن المراد من حفظ الفروج في سائر الآيات القرآنية هو حفظها من الزنا، ولكن الحفظ في هذه الآية هو الحفظ من النظر، وذلك استناداً إلى الروايات.

روايات حول النظر:

❑ عن الإمام علي عليه السلام: «**لَكُمْ أَوَّلُ نَظْرَةٍ إِلَى الْمَرْأَةِ فَلَا تُتْبِعُوهَا بِنَظْرَةٍ أُخْرَى وَاحْذَرُوا الْفِتْنَةَ**»[١]. أي أن النظرة الأولى غير المتعمدة لا مانع منها، ولكن الإشكال في الإمعان في النظرة، لأنها تتسبّب في الفتنة.

❑ ونحن نقرأ في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**كل عين باكية يوم القيامة إلا ثلاثة أعين: عينٌ بكت من خشية الله، وعينٌ غضّت من محارم الله، وعينٌ باتت ساهرة في سبيل الله**»[٢].

❑ ونقرأ في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والجلوس في الطرقات**» فقالوا: يارسول الله ما لنا من مجالسنا بُد، نتحدث فيها. فقال رسول الله ﷺ: «**فإذا أبيتم إلا المجلس فاعطوا الطريق حقه**»، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «**غض البصر وكف الأذى، وردّ السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**».

❑ قال نبي الله عيسى عليه السلام: «تجنبوا النظر إلى الحرام، فهو يلقي ببذور الشهوة في القلب، وهذا يكفي لكي يقع الإنسان في الفتنة»[٣].

---

(١) تفسير كنز الدقائق، عند تفسير الآية.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تفسير روح البيان.

□ وعن الإمام علي عليه السلام: **«العين رائد القلب»**[١]، أي أن العين تسحب القلب وراءها. وقال: **«العين مصائد الشيطان»**، أي أن العين مصيدة يصيد بها الشيطان أتباعه، وغض البصر أفضل السبل من أجل تجنب الشهوات.

□ وعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: **«النظر سَهم مسمومٌ من سهام إبليس، فمن تركها خوفاً من الله تعالى أعطاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه»**[٢]. أي أن النظرة السيئة سهم يُطلقه الشيطان من سهامه، وكل مَن يخاف الله ويغض بصره فإن الله سيعطيه إيماناً يشعر بحلاوته في نفسه.

□ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«من ملأ عينيه من حرامٍ ملأ الله عينيه يوم القيامة من النار، إلّا أن يتوب ويرجع»**[٣].

التعاليم:

١ ـ من مبادئ الإيمان غضّ النظر عما يحرم، ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا...﴾.

٢ ـ يجب السيطرة على النزعات الغريزية والتحكم بأدواتها، ﴿يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾.

٣ ـ علينا أن نمنع الذنب من مصدره، وأن نبدأ التقوى من النظر، ﴿مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾.

٤ ـ العين الطاهرة هي مُقدمة العِفة، ﴿يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾.

٥ ـ العِفة لازمة للرجال أيضاً، ﴿...وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾.

٦ ـ امتداد وانفلات البصر وانعدام العِفة يمنعون نمو المجتمع ورشده، ﴿يَغُضُّوا... وَيَحْفَظُوا... أَزْكَىٰ﴾.

٧ ـ علينا أن نتذكر أننا في حضرة الله دائماً، وألّا نعصى الله في حضوره، ﴿يَغُضُّوا... إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.
(٢) بحار الأنوار، ج ١٠٤، ص ٣٨.
(٣) بحار الأنوار، ج ٧٦، ص ٣٣٦.

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾

إشارات:

- على الرغم من أن الله تعالى لم يُشر إلى تفاصيل أحكام الصلاة والزكاة في القرآن الكريم، وعَهِد إلى النبي الأكرم ﷺ بمسؤولية توضيحها وشرح كثير من المسائل الأخرى، فإنه تناول أدق القضايا في توضيح المسائل الأسرية والتربوية.
- يجب على النساء أيضاً ألا ينظرن إلى الأجنبي من الرجال نظرة شهوة، مثلهن في ذلك مثل الرجال الذين يجب أن يتجنبوا النظرة المدنّسة إلى النساء، بل يجب أن يضبطن نظرهن ويتحكمن فيه، وأن يسترن زينتهن وجمالهن عن غير المحرم من الرجال، باستثناء ما يظهر بشكل طبيعي من وجه أو يد، وتتسبّب تغطيتهما في مشكلات عند القيام بالأعمال الحياتية.
- كلمة «خُمُر» جمع «خِمار»، وهو غطاء الرأس، و«جُيوب» جمع «جَيب»، وهو الرقبة والصدر.
- عن الإمام الصادق عليه السلام إن المُراد من قوله تعالى ﴿يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ هو ألا تنظر واحدة منهن إلى فرج غيرها من النساء، وأن تحفظ فرجها من أن يُنظر إليه[1].
- وورد عن النبي الأكرم ﷺ في تفسيره لجملة «**إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ**» أن الله لعن السلتاء

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٥٨٨.

من النساء والمرهاء، فالسلتاء التي لا تخضب، والمرهاء التي لا تكتحل. ولعن المسوّفة والمفسلة، فالمسوفة التي إذا دعاها زوجها إلى المباشرة قالت: سوف أفعل، والمفسلة هي التي إذا دعاها قالت: أنا حائض وهي غير حائض[١].

- كلمة «إربة» بمعنى الحاجة والبغية، والمقصود بقوله تعالى ﴿أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ﴾ الخدم والتابعون الذين لا يميلون إلى النساء بسبب كبر السن أو الظروف الجسمانية والنفسية[٢].
- التوبة تكون أحياناً من ذنب فردي، وأحياناً من أجل تغيير ثقافة عامة فاسدة، ويبدو أن الآية تدور حول النوع الثاني؛ لأن أعناق النساء وصدورهن كانت تُترك عارية أيام الجاهلية[٣].
- هناك ثمار كثيرة يمكن جنيها من المحافظة على الحجاب وترك التظاهر، ومنها على سبيل المثال ما يلي:

الراحة النفسية ومتانة الروابط الأسرية وحفظ النسل، والحيلولة دون إضمار الشر والاعتداء، والوقاية من الأمراض الجنسيّة والنفسية، وخفض معدلات الطلاق والانتحار والأبناء غير الشرعيين والإجهاض، والقضاء على المنافسات السلبية، والمحافظة على شخصيّة المرأة وإنسانيتها، والنجاة من العيون والقلوب الشهوانية، وكلها أمور غرق فيها الشرق والغرب جراء التبرّج والسفور.

التعاليم:

١ ـ لا فرق بين الرجل والمرأة في وجوب العِفة والطهارة وتجنّب النظر الحرام، ﴿يَغُضُّواْ... يَغْضُضْنَ... وَيَحْفَظُواْ... وَيَحْفَظْنَ﴾.

٢ ـ لا يجوز إبراز مفاتن النساء بشكل إباحي، ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾.

٣ ـ ليس هناك ما يمنع ظهور أجزاء من جسم المرأة التي تظهر بشكل طبيعي (الوجه واليد أو القدم)، ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾.

---

(١) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٥٩٣.

(٢) الكافي، ج ٥، ص ٥٢٣.

(٣) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ١١، ٣١٠.

٤ ـ ذُكر الحجاب وغطاء الرأس في هذه الآية، وهذا دليل على أهميّة تغطية الرأس والعنق والصدر وغيرها من المفاتن لدى المرأة، ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾.

٥ ـ عند وضع القوانين يجب أن نهتم بالضرورات والحقائق الواقعية والاحتياجات (لو كانت تغطية الوجه واليدين حتى المعصمين واجبة لصار ذلك مشكلة بالنسبة لعموم النساء)، ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾.

٦ ـ يتجاوب الإسلام مع الاحتياجات الغريزية المباحة للإنسان، ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾.

٧ ـ لا يجوز لبس أي نوع من الملابس أو الأحذية مما يتسبّب في ظهور زينة المرأة وجمالها عند المشي، ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾.

٨ ـ للمرأة حق الملكية، ﴿مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾.

٩ ـ تستطيع المرأة أن تُبدي زينتها للنساء المسلمات؛ ولكن عليها أن تُغطي نفسها عن النساء الكافرات، ﴿نِسَائِهِنَّ﴾، (لأنه من الممكن أن تصف إحداهن ما رأته من النساء المسلمات عند زوجها أو أمام رجل غريب).

١٠ ـ جاء فرض الحجاب وتغطية المرأة بسبب ميول الرجال الجنسية، ولهذا ليس من اللازم التغطية أمام الرجال الذين لا حاجة لهم في النساء ولا يميلون إليهن، ﴿غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾.

١١ ـ الحجاب والغطاء واجبان، ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾.

١٢ ـ يجب تجنّب كل عمل يُؤدي إلى إظهار زينة المرأة ويُطلع الآخرين عليها، ﴿لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾.

١٣ ـ ليس هناك ما يمنع من تواجد المرأة في المجتمع مع المحافظة على الحجاب، ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾، وهكذا لا مانع من مشاركة المرأة في صلاة الجماعة، ﴿وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾(١).

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٣.

١٤ ـ التوبة إلى الله تعالى من مقتضيات الإيمان، ﴿...وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

١٥ ـ طريق الفلاح هو التوبة والعودة عن الطرق الضالة، ﴿تُوبُوٓاْ... تُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾

إشارات:

- «أيامى» جمع «أيّم» على وزن «قيّم»، وتعني مَن لا زوج له، سواء أكان رجلاً أم امرأة، بكراً أو أرملة.
- أفضل الوساطات هي التوسط والشفاعة في أمر الزواج، وقد ورد في رواية أن: «**ثلاثة يستظلون بظل عرش الله يوم القيامة، يوم لا ظل إلا ظله: رجل زوج أخاه المسلم أو أخدمه أو كتم له سراً**»[1].
- ورد في الرواية عن رسول الله ﷺ: «**من أدرك له ولد، وعنده ما يزوّجه، فلم يزوجه فأحدث فالإثم بينهما**»[2].

الزواج في الإسلام:

يَعدُّ الإسلام الزواج أمراً مقدّساً، وذلك على خلاف المسيحية التي تُعلي من قيمة العزوبية، ولهذا لا يجوز أن يتزوج البابا وبعض رجال الدين النصارى، وما كان الإذن للمسيحيين بالزواج إلا من أجل منع الفساد الأكبر، ومن باب دفع الأفسد بالفاسد.

- وردت روايات كثيرة حول الزواج، وسوف نكتفي بالإشارة إلى بعضها:

ـ عن الإمام الصادق عليه السلام: «**جاء رجل إلى النبي ﷺ، وشكا إليه الحاجة، فقال: تزوج، فتزوج فوسع عليه**».

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٥٩٩.

(٢) تفسير مجمع البيان، مج ٧ ـ ٨، ص٢٢٠.

- **من ترك الزواج مخافة العيلة فقد أساء ظنه بالله عزّ وجلّ، إن الله عزّ وجلّ يقول:** ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾.
- **ركعتان يصليهما المتزوج أفضل من سبعين ركعة يصليها الأعزب**[١].

فوائد الزواج:

١ ـ الأنس والألفة

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[٢]، أي: من الأدلة على وجود الله أنه خلق لكم من جنسكم أزواجاً حتى تطمئن نفوسكم إليها وتسكن، وجعل بينكم ـ من رجال ونساء ـ مودة ورحمة.

إن الأنس والألفة من احتياجات الإنسان، ولهذا فإنَّ الوحدة صعبة وقاسية بالنسبة له، فهو يحتاج إلى مَن يكون أميناً ومتعاطفاً وشفيقاً وكاتماً لأسراره حتى يأنس به وينثر عليه عشقه خالصاً. وأفضل إنسان يستطيع أن يوفر هذه الاحتياجات هو الزوج، سواء المرأة أو الرجل. وقد ذكر القرآن الكريم هذه الفائدة فقط من بين فوائد الزواج الكثيرة ليؤكد أنها أهم فائدة.

٢ ـ حفظ العفة والحماية من الذنب

قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث له: «**من تزوج فقد أحرز نصف دينه**»[٣].

وقال صلى الله عليه وآله في رواية أخرى: «**مَن أحب أن يلقى الله طاهراً مُطهراً فليلقه بزوجة**»[٤]

٣ ـ سلامة الجسم والنفس

يقول العلماء إن الإشباع الصحيح للغريزة الجنسيّة ضرورة من أجل سلامة الجسم والنفس، ويتسبّب تركه في ظهور الأمراض النفسية، وأمراض من قبيل:

---

(١) انظر: تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٥٩٧.
(٢) سورة الروم: الآية ٢١.
(٣) الكافي، ج ٥، ص ٣٢٨.
(٤) الراوندي، النوادر، ص ١٢.

ضعف الأعصاب والاضطراب والخمول واليأس والتشنج وسوء الطبع والتشاؤم والانزواء والعزلة، ويتسبّب أحياناً في سوء الهضم والصداع[١].

٤ ـ بقاء النسل

إن بقاء النسل مرهون بالزواج واتخاذ الزوجة، وقد عُدَّت تربية الأجيال واجباً من واجبات الوالدين في الإسلام، وسوف يُحاسب كل منهما على ذلك يوم القيامة.

٥ ـ الاستقلال

يُعد الابن والابنة جزءاً من الأسرة ويتبعان الوالدين قبل الزواج، في حين أنهما يُقرران أمورهما بشكل مستقل، ويتحمل كل منهما المسؤولية بعد الزواج.

٦ ـ أمن المجتمع

إذا كان أساس الأسرة قوياً متيناً فإن مُعدلات الفساد والطغيان والقتل والسرقة والجريمة والاغتصاب والانتحار سوف تقل إلى حد كبير؛ وذلك لأن أكثر هذه الأمور إنما يصدر من أولئك الذين يُحرمون من دفء الأسرة[٢].

الدقة في اختيار الزوجة:

عن الإمام الصادق ﷺ: «**إنما المرأة قلادة فانظر ما تتقلد**». فعليكم ألا تُغلّبوا المشاعر عند اختيار الزوجة، ولا تتعجلوا، وعليكم بالإقدام على الزواج بعد التفكير والمشورة والحوار، فجزء كبير من الاختلافات الأسرية سببه عدم تحري الدقة في اختيار الزوجة. والزوجة شريكة في الحياة، وتأثيرها باقٍ إلى نهاية العمر وحتى تقوم القيامة.

والزواج السطحي الذي يتم بلقاء وتعرّف في حافلة أو مُتنزه لا تكون عاقبته في العادة جيدة.

---

(١) إبراهيم الأميني، انتخاب همسر (اختيار الزوج)، ص ٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٩.

سمات الزوجة الطيبة:

١ ـ الدين والإيمان

أ ـ يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ﴾[1]. أي: لا تتزوجوا من النساء المشركات إلى أن يؤمنَّ، والأَمَة المؤمنة أفضل من المرأة الحُرة المشركة، حتى لو أعجبتكم الأخيرة (بجمالها)، ولا تُزوجوا المشركين إلا أنْ يُؤمنوا، وكذلك العبد المؤمن أفضل من الحُر المشرك، حتى لو أعجبكم (بماله وجماله).

ب ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام: **«إذا تزوّج الرجل المرأة لجمالها أو مالها وُكِلَ إلى ذلك، وإذا تزوّجها لدينها رزقه الله الجمال والمال»**[2].

٢ ـ الأخلاق الطيبة الحسنة

رُوِي عن الإمام الرضا عليه السلام في رده على رجل كتب إليه يقول: إن لي قرابة قد خطب إليّ وفي خلقه سوء، فقال عليه السلام: **«لا تُزوجوه إن كان سيّء الخلق»**[3].

تبعث الأخلاق في الحياة على حلاوة العيش ونمو الأسرة ورشدها، وهناك أمور أولاها الإسلام أهميّة، وهي امتيازات للإنسان، من قبيل: الصدق والأمانة وحلاوة الحديث وحُب الخير والصفح والإيثار والحلم وتقدير المسئولية والنجابة والاستغناء ولين الجانب وغير ذلك.

٣ ـ الأصالة الأسرية

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«أيها الناس إياكم وخضراء الدمن»**. قيل يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: **«المرأة الحسناء في منبت السوء»**[4]. أي تجنبوا النبتة

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢١.

(٢) الكافي، ج٥، ص ٣٣٣.

(٣) الكافي، ج ٥، ص ٥٦٣.

(٤) الكافي، ج ٥، ص ٣٣٢.

الخضراء التي تنمو في المزبلة، فقالوا: ماذا تقصد يا رسول الله؟ فقال لهم: المرأة الجميلة التي نَمت في أسرة مُدنسة.

٤ ـ العلم والدراسة

العلم والمعرفة من مظاهر الكمال بالنسبة للإنسان، وهما يميزان الزوجة. فالوصول إلى التفاهم يصبح أسرع مع الفرد المُتعلم، ويمكن التخطيط للمستقبل على نحو أفضل. ولا شك في أنه ليس كلّ متعلمٍ ذا تدبير، ومن المؤسف أن المدارس والجامعات لا تُدرس شيئاً عن الحياة.

٥ ـ سلامة البدن

سلامة الجسم نِعمة من النِّعم الإلٰهيّة الكبرى، ومن المزايا المطلوبة في الزوجة. وقد ورد في رواية نهيٌ عن الزواج ممن يعانون من أمراض مُعدية. ولا شك في أن الزواج من المحارب المُضحي يتطلب لياقة وجدارة وتضحية بالنفس.

٦ ـ التناسب في العمر

للإنسان حالات متفاوتة بتفاوت مراحل عمره، والميول الجنسيّة ليست متساوية في تلك المراحل، فيجب إذن ألا يتفاوت السن بين الذكر والأنثى تفاوتاً فاحشاً، حتى لا يُعرضا حياتهما للمشاكل.

المهر:

١ ـ يُقدم الرجل المهر للمرأة من أجل أن يُثبت صدقه، ولهذا يُسمون المهر صداقاً، وهو رصيد المرأة المُدخر طوال حياتها أو بعد طلاقها أو موت زوجها.

٢ ـ لم يُحدد مقدار المهر في الإسلام، لكن ورد في الأحاديث ذمٌّ للمهور الثقيلة، وورد كذلك أن المهر الكبير يتسبّب في العداوة والكراهية[1].

---

(١) الشيخ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ٢٣٧.

٣ ـ يجب على الرجل أن يسعى في أداء مهر امرأته في أول فرصة تسنح له.

٤ ـ المرأة هي مالكة المهر، وتستطيع أن تفعل به ما تشاء، فتهبه أو تُتاجر به.

٥ ـ وُصف الرجل الذي لا ينوي أداء المهر في الروايات بأنه سارق وزاني[١].

الجهاز:

١ ـ ليس للعريس الحقُّ شرعاً أو قانوناً في المطالبة بجهاز من العروس، حتى لو كان العُرف قد جرى على أن تشتري أسرة العروس شيئاً من لوازم الحياة ومتاع البيت.

٢ ـ جهاز البيت من أجل توفير الراحة للزوجين الشابين، وليس من أجل المفاخرة والمباهاة.

٣ ـ قائمة جهاز السيدة فاطمة الزهراء مثلاً اشتملت على ما يلي:

قميص بسبعة دراهم، وخمار بأربعة دراهم، وقطيفة سوداء خيبرية، وسرير مزمّل بشريط، وفراشين من خيش مصر حشو أحدهما ليف، وحشو الآخر من جزّ الغنم (الصوف)، وأربع مرافق من أدم الطائف حشوها أُذخُر (نبات طيّب الرائحة)، وستر من صوف، وحصير، ورحى لليد، ومخضب من نحاس، وسقاء من أدم، وقعب للبن (وعاء)، وشنّ للماء، ومطهرة مزفّتة، وجرّة خضراء، وكيزان خزف (أوعية).

مراسم العقد والزفاف

هناك توصية وردت في الإسلام بأن تُقام مراسم عقد الزواج والزفاف بحضور الناس وفي أجواء من الفرح والسعادة. وقد أجرى رسول الله ﷺ مراسم عقد السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في المسجد بحضور الأنصار والمهاجرين، وأمر بتوزيع التمر على الحاضرين.

---

(١) وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٢١.

وأمر الرسول ﷺ أزواجه أن يزيِنَّ فاطمة الزهراء عليها السلام ويطيبنها ويفرشن لها بيتا ليُدخلنها على بعلها، ففعلن ذلك[1].

كما أمر النبي ﷺ بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يَمضين في صحبة فاطمة، وأن يفرحن ويرجزن ويكبّرن ويحمدن، ولا يقلن ما لا يرضي الله.

التعاليم:

١ ـ الأسرة والمجتمع مسؤولان عن تزويج من لا زوجة له، ﴿وَأَنكِحُوا۟﴾.

٢ ـ الزواج أمر مقدّس أكَّد عليه الإسلام، ﴿وَأَنكِحُوا۟﴾.

٣ ـ ليست الخِطبة خاصة بطرف واحد من طرفي الزواج، فكل من الطرفين يستطيع أن يُبادر إليها، ﴿وَأَنكِحُوا۟﴾.

٤ ـ التوصية بترك النظر الحرام لا تكفي وحدها، وإنما يجب الإقدام على تزويج الشباب، ﴿يَغُضُّوا۟... يَغْضُضْنَ... وَأَنكِحُوا۟﴾.

٥ ـ يجب تزويج النساء الأرامل، ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ﴾، (فكلمة «أيامى» تشملهن أيضاً).

٦ ـ الكفاءة شرط الزواج، ﴿وَٱلصَّـٰلِحِينَ﴾، (أي يجب على الطرفين أن يكونا صالحيْن لإدارة الحياة المشتركة).

٧ ـ مبادرة المجتمع إلى تزويج أبنائه وبناته الصالحين هي تشجيع للشباب والشابات المحبطين كي يضعوا أنفسهم في مدار الصالحين، ﴿وَٱلصَّـٰلِحِينَ...﴾، (وبناءً على هذا فإن المَراد من الكفاءة هو الأهلية الأخلاقيّة والمنهجية).

٨ ـ لا يوجد فرق بين البشر في تأمين الاحتياجات الجنسيّة (المرأة، الرجل، الغلام، الجارية)، ﴿مِنكُمْ، عِبَادِكُمْ، وَإِمَآئِكُمْ﴾.

٩ ـ لا ينبغي أن يكون الفقر حائلاً دون الإقدام على أمر الزواج، ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ...﴾.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ١٣١.

١٠ ـ أقدموا على الزواج حتى مع العسرة، وتوكلوا على الله، ﴿يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ﴾.

١١ ـ الفقر ليس عيباً يعيب الشاب أو الفتاة، ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ...﴾.

١٢ ـ وعد الله تعالى بضمان حياة العروسين، والزواج وسيلة من وسائل التوسعة والبركة، ﴿يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ﴾.

١٣ ـ تحقق الوعود الإلٰهيّة ينبع من معين فضل الله الذي لا ينضب، ﴿فَضْلِهِۦ... وَٰسِعٌ﴾.

١٤ ـ النمو والسعة اللذان جعلهما الله من نصيب عباده يقومان على أساس علمه وحكمته، ﴿وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾

إشارات:

- يجب في البداية توصية كل من كانت لديه القدرة أن يتزوج، ثم تكون التوصية بعد ذلك لغير المتزوجين بالعِفة والطهارة، (جاءت آية «وأنكحوا» قبل آية «وليستعفف»).
- ورد في الروايات أنهم كانوا في الجاهلية يجبرون جواريهم على إتيان الفاحشة من أجل اكتساب المال، ولهذا أمرهم الله تعالى بعدم إجبارهن على البغاء، والعمل على تزويجهن إن أردن الزواج.
- نستطيع عند تعاملنا مع أسرى الحرب أن نسلك أحد الطرق التالية:

أ ـ أن نُطلق سراح الأسرى كلهم دفعة واحدة، وسيعودون في هذه الحالة لمحاربتنا من جديد.

ب ـ أن نقتلهم جميعاً، وهذا سلوك غير إنساني.

ج ـ أن نجمع الأسرى في منطقة، ونوفر لهم النفقات من أموال المسلمين، (يجب في هذه الحالة أن يدفع الأبرياء نفقات المجرمين).

د ـ أن نُوزع الأسرى بين المسلمين حتى يروا الإسلام ويشاهدوا سلوك مُعتنقيه، فيتأثروا بهم تدريجيّاً، ويعتنقوا الإسلام، ثم نقوم بتحريرهم بطرق مختلفة، وهذا الرأي هو الأفضل، وهذا هو ما يطرحه الإسلام.

ناهيك بأن نظام الحرب في ذلك الوقت كان يقوم على الاستفادة من الأسير كعبد، وكان المسلمون أيضاً يُقابلون هذا الأمر بالمثل. والأسرى في العالم يوضعون اليوم في المعسكرات، ويجب علينا أن نقبل نحن أيضاً قوانين الحرب الدولية مادامت لا تتعارض مع ديننا.

التعاليم:

١ ـ تعذّر الحصول على زوجة لا يُجيز الإقدام على معصية، بل لا بدّ من الصبر والعِفة، ﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ﴾.

٢ ـ لا بدّ من توصية خاصة كلما زاد الشعور بالخطر، ﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾، (لما كان غير المتزوجين أكثر تعرضاً من غيرهم لإتيان الفاحشة والمنكر فإن الله تعالى خصهم بالخطاب في أمره بالعِفة).

٣ ـ على الشباب ألا يجمعوا المال من طريق حرام من أجل توفير إمكانيات الزواج، وأن يُظهروا من أنفسهم العِفة والتقوى، ﴿حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾.

٤ ـ يجب أن يحافظ الشباب على أنفسهم ضمن المحافظة العامة على العِفة والطهارة ﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ﴾، ويجب أن تقوم الأسرة والدولة بدوريهما ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ﴾، وأن يهبَّ الأثرياء للمساعدة، ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ﴾.

٥ ـ يجب تحرير وثيقة مكتوبة عند مكاتبة الرقيق على حريته، ﴿مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ﴾.

٦ ـ كانت للإسلام طرق مختلفة لتحرير العبيد، ومنها المُكاتبة على استرداد الحرّية، ﴿فَكَاتِبُوهُمۡ﴾.

٧ ـ لا تظنوا أن الثروة والمال من عندكم، بل من عند الله الذي استودعكم إيّاها أمانة لفترة من الزمن، ﴿مَّالِ ٱللَّهِ﴾.

٨ ـ الأثرياء مسؤولون عن تزويج أتباعهم، ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْۚ﴾.

٩ ـ لا يجوز استخدام الأتباع في القيام بأعمال مُحرمة، ﴿وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾.

١٠ ـ حُب الدنيا من مصادر الجرائم والذنوب، ﴿وَلَا تُكْرِهُوا... لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ﴾.

١١ ـ لا يجوز كَنز الثروات من الطرق غير المشروعة، ﴿لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ﴾.

١٢ ـ الدنيا فانيةٌ، ﴿عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، (كلمة «عَرَض» بمعنى طارئ يطرأ ثم يزول).

١٣ ـ لا يجب التضحية بالقيم من أجل المال والمادّيات، ﴿وَلَا تُكْرِهُوا... لِّتَبْتَغُواْ﴾.

١٤ ـ حُرمة الإماء والجواري كحُرمة الفتيات الحرائر، ﴿وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾.

١٥ ـ الطهر والعِفة هما أفضل قيمة للمرأة، ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾.

١٦ ـ الوجهاء مصدر كثير من الذنوب والجرائم، ﴿وَلَا تُكْرِهُوا... أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾.

١٧ ـ الذين يُجبَرون على ارتكاب الذنب سوف يعفو عنهم الله ويغفر لهم، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾

التعاليم:

١ ـ يلقي الله تعالى حجّته على الناس أجمعين، ﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾.

٢ ـ آيات القرآن أنوارٌ تكشح الظلمات، ﴿ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾.

٣ ـ يساعد تاريخ السابقين في إنارة الطريق لمن يأتي بعدهم، ﴿وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ﴾.

٤ ـ القرآن كتابٌ شامل، ﴿ءَايَٰتٖ... وَمَثَلٗا... وَمَوۡعِظَةٗ﴾.

٥ ـ النصح يحتاج إلى القلب المستعد، ﴿وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾.

٦ ـ يحتاج المُتقون كسواهم إلى الموعظة، ﴿وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾.

﴿۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝٣٥﴾

إشارات:

❑ كلمة «نور» تعني الشيء المُنير في ذاته، الذي يضيء ظلمات الأشياء الأخرى أيضاً. وقد وصفت أشياء عديدة في الثقافة الإسلاميّة بأنها «نور»، ومنها: القرآن والعلم والعقل والإيمان والهداية والإسلام والرسول ﷺ والأئمة المعصومون ﷺ.

❑ كلمة «مشكاة» تعني غطاء المصباح أو صندوقه الزجاجي. وكلمة «دُري» تعني المتلألئ نوراً المشعّ بالضياء، وكلمة «زيت» تُطلق على زيت الزيتون الذي يُقال إنه كان وسيلة من وسائل الإضاءة.

❑ إذا نبتت غرسة الزيتون وسط الحقل فإنها تتعرض للشمس طويلاً، ويَحْسُن زيتها، ولكن عندما تقع على أطراف البستان فإنها تتعرض للشمس وقت الصباح أو وقت العصر فقط فتضعف لذا يستحسن أن تكون، ﴿لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ﴾

❑ ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: أن الله تعالى هو الهادي في السماوات والأرض. كما وردت هداية الخلق في آيات أخرى أيضاً، كقوله تعالى ﴿أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[1]، وجملة ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ﴾ تعني الهدايات الدائمة

(١) سورة طه: الآية ٥٠.

المتابعة، ويقول تعالى في نهاية الآية أيضاً: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾ فالله مصدر الهداية المستمرة لمستحقيها.

❑ شبَّه القرآن الكريم الله تعالى في هذه الآية بالنور، ويتضح بنظرة إجمالية أن للنور الخصائص والسِمات الآتية:

١ ـ النور هو ألطف المخلوقات في العالم، وهو مصدر الجمال والرقة.

٢ ـ للنور أعلى سرعة في عالم المادة، ويُمكنه أن يدور حول الكرة الأرضية سبع مرات في طرفة عين (أي في أقل من ثانية واحدة)، وبسرعة تصل إلى ثلاثمائة ألف كيلومتر في الثانية، ولهذا فإن العلماء يقيسون المسافات الفلكية الكبيرة جداً والمذهلة بسرعة الضوء فقط، والوحدة القياسية عندهم هي السنة الضوئية، أي المسافة التي يقطعها الضوء في عام.

٣ ـ النور هو وسيلة إظهار الأجسام ومشاهدة المخلوقات، ولا يُمكن رؤية شيء بدونه، وبناءً على هذا فإنه واضح بذاته وموضحٌ لغيره في الوقت نفسه.

٤ ـ نور الشمس الذي هو أهم أنوار دنيانا هو الذي يُنمّي الورود والنباتات، بل هو رمز البقاء للمخلوقات الحيَّة كلها.

٥ ـ يصدر عن نور الشمس كل أنواع الطاقة الموجودة في البيئة (فيما عدا الطاقة النووية) فحركة الرياح ونزول الأمطار وجريان الأنهار وتساقط الشلالات، وأخيراً حركة جميع المخلوقات الحيَّة تعود إلى الشمس.

٦ ـ مصدر الدفء والحرارة وما يحافظ على بيئة المخلوقات دافئةً هو نور الشمس، حتى حرارة النار التي نحصل عليها من خشب الأشجار أو الفحم الحجري أو النفط ومشتقاته تأتي من حرارة الشمس أيضاً.

٧ ـ يقضي نور الشمس على أنواع من الجراثيم والكائنات الضَّارة، ولولا وجود هذا النور المبارك لتحولت الكُرة الأرضية إلى مستشفى كبير مملوء بالمرضى الذين يُمسك الموت بتلابيبهم.

وخلاصة القول هي أنه كلما نظرنا إلى هذه الظاهرة العجيبة في العالم،

وهي النور، ودققنا النظر فيها أكثر، تتضح لنا آثارها القيمة وبركاتها العظيمة. لكن من العجيب أن الإنسان وقف عاجزاً عن معرفة حقيقة النور الذي هو أمرٌ ماديٌّ على الرغم من كل ما توصل إليه منْ تقدم علمي، ومع ذلك راح يبحث عن ذات الله وحقيقته، ويُمكن أن يكون هذا أيضاً وجهاً من وجوه تشبيه الله تعالى بالنور.

والآن هل يُمكن أن نستفيد من كلمة أخرى غير كلمة «نور» إذا أردنا أن نختار تشبيهاً ومثالاً من المخلوقات الحسّيّة لذات الله الطاهرة؟ (على الرغم من أن مقامه العظيم يسمو على كل تشبيه أو تمثيل) إنه الله الذي خلق الكون كله، وهو الذي يهب الضياء للعالم، والكائنات كلها تحيى ببركته، والمخلوقات كلها تعيش على مائدة نعمته، ولو مُنِع فضله عنها لحظة واحدة لغرقت كلها في ظلمة الفناء والعدم.

ومن الطريف أنَّ كل مخلوق يكتسب من النورانية على قدر ارتباطه بالله تعالى:

القرآن نور؛ لأنه كلام الله.

الإسلام نور؛ لأنه دين الله.

الأنبياء نور؛ لأنهم رُسل الله.

الأئمة أنوار إلَهية؛ لأنهم حُراس دين الله بعد الأنبياء.

الإيمان نور؛ لأنه رمز الارتباط بالله.

العلم نور؛ لأنه وسيلة التعرف على الله.

التعاليم:

١ ـ عالم الوجود فيضٌ من الله وشعاعٌ من نوره، نشأته وبقاؤه من الله تعالى، ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾.

٢ ـ نور الله منتشر وثابت أيضاً، (النور داخل المشكاة منتشر ومحفوظ من الانطفاء أيضاً)، ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾.

٣ ـ شجرة الزيتون شجرة مباركة، ﴿شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾.

٤ ـ نور الله من ذاته، وليس مستمداً من مصادر خارجيّة، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾.

٥ ـ على الرغم من أن الله هو نور السماوات والأرض ومصدر الخلق والهداية للوجود كله فإنَّ مكانه هو قلوب المؤمنين الطاهرة الصافية، التي تضيء بنور الإيمان، وكلما زاد نقاء الإيمان زاد معه التلألؤ، ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ...﴾.

﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾﴾

إشارات:

□ نقرأ في الزيارة الجامعة الخطاب المُوجه إلى الأئمة المعصومين عليهم السلام: «**جعلكم في بيوت أذن الله أن تُرفع...**»، وبناءً على هذا فإن أضرحة الأئمة المعصومين عليهم السلام من الأماكن التي تَصْدق عليها هذه الآية.

□ كلمة «تُرفع» يمكن أن تكون في هذه الآية بمعنى الارتفاع المكاني أيضاً، وهو ما نجد نظيراً له في الآية ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾[1] التي تعني أنَّ إبراهيم عليه السلام رفع قواعد الكعبة.

□ وعن الإمام الباقر عليه السلام إن المُراد من قوله تعالى ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ هو بيوتات الأنبياء وأئمة الهدى، و«**بيت عليّ منها**»[2].
ويَروي «الثعلبي» في تفسيره أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قرأ: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ فقام إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ فقال: «**بيوت الأنبياء**»، فقام إليه أبو بكر فقال: يارسول الله هذا البيت منها؟ وأشار إلى بيت علي وفاطمة عليهما السلام، قال: «**نعم من أفاضلها**»[3].

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٧.
(٢) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٦٠٧.
(٣) الآلوسي، روح المعاني، ج ١٣، ص٤٤٩.

❑ وعن الإمام الكاظم عليه السلام إنَّ المراد من قوله تعالى «بالغدوّ والآصال» هو أوقات الصلاة[١].

❑ وقد وردت كلمة «تسبيح» في مواضع عديدة من المعجم القرآني بدلاً من كلمة «صلاة»، كقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾[٣].

التعاليم:

١ ـ يتحقق الوصول إلى نور هداية الله بالتردد على المساجد، ﴿اللَّهُ نُورُ... يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ... فِي بُيُوتٍ...﴾.

٢ ـ الأماكن ليست جميعها متساوية، وبعضها يعلو فوق البعض الآخر، ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾.

٣ ـ قيمة ومكانة المساجد أفضل وأرفع من البيوت الأخرى، ﴿أَن تُرْفَعَ﴾.

٤ ـ الكبرياء والعظمة لله تعالى، ويأذن بها في المواضع التي يريدها، ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾.

٥ ـ الأصل في الاستفادة من المساجد هو الصلاة وذكر الله، وليس إحياء المراسم الأخرى، ﴿يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾.

٦ ـ يجب أن تُفتح أبواب المساجد في أوقات الصلاة، وليس لأحد الحق في أن يُغلق أبوابها، ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾.

٧ ـ يجب أن يتكرر تسبيح الله كل صباح ومساء، ﴿يُسَبِّحُ... بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾، (عنصرا الزمان والمكان مؤثّران في العبادة).

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾

إشارات:

❑ تشمل كلمة «رجال» في هذه الآية عباد الله جميعاً، من رجال ونساء.

(١) بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٣٢٦.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٤١.

(٣) سورة ق: الآية ٣٩.

❑ الوجه في نفي البيع بعد نفي إلهاء التجارة، أنّ الربح في البيع ناجز بالفعل بخلاف التجارة التي هي الحرفة، فعدم إلهاء التجارة لا يستلزم عدم إلهاء البيع الرابح بالفعل؛ ولذلك نفى البيع ثانياً بعد نفي إلهاء التجارة؛ ولذلك كرّرت لفظة «لا» لتذكير النفي وتأكيده[١].

❑ وفي الحديث أنَّ المُراد من الرجال الذين ذُكروا في هذه الآية هو أولئك التجار الذين إذا حضرت الصلاة وسمعوا الأذان تركوا التجارة، وانطلقوا إلى صلاتهم[٢].

❑ التجارة عامل من العوامل التي تشغل الإنسان وتمنعه عن ذكر الله. وقد ذُكرت أسباب انشغال أخرى في القرآن الكريم أيضاً، ومنها: التكاثر والأمل والولد وحُب الشر.

التعاليم:

١ ـ وحدهم الناس العظام لا تشغلهم أو تلهيهم التجارة، (جاءت كلمة «رجال» منونة، وهذا علامة على الشرف والعظمة).

٢ ـ إذا كان الإيمان راسخاً والإرادة صلبة فلا تؤثر فيها أي عوامل، ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ﴾.

٣ ـ تتوقف أعمال التجارة ولا تصرف المؤمنين عن الصلاة، ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ﴾..

٤ ـ إذا كانت الأعمال الحلال المُباحة لا يُقبل أن تلهي الإنسان عن ذكر الله، فما بالنا بالأعمال المكروهة أو المُحرمة، ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ﴾.

٥ ـ ترك التجارة ليس هدفاً في حد ذاته، فلا بأس بالتجارة المصحوبة بذكر الله والصلاة والزكاة، ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ... عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ و...﴾ (رجال الله يسعون من أجل الحياة الدنيوية، ولكنهم لا يغفلون عن الآخرة).

٦ ـ الإيمان بالآخرة يُخفّف حب الدنيا لدى المؤمن، ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ... يَخَافُونَ يَوْمًا﴾.

٧ ـ جاءت الصلاة مُنفصلة عن ذكر الله على الرغم من أن الصلاة من الذكر، وذلك لأهميتها، ﴿ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ١٢٧. (٢) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٦١٠.

٨ ـ الصلاة والزكاة تجاور إحداهما الأخرى، وأولئك الذين يستحقون المدح والثناء هم أهل الاثنتين معاً، ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾.

٩ ـ يجب عدم التلهي بالدنيا عن الآخرة (خوفاً وتعبداً)، ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾.

١٠ ـ تخشع العيون وتبلغ القلوب الحناجر من هول مشاهد يوم القيامة، ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾

التعاليم:

١ ـ إنّ الله تعالى يوفّي أعمالَ عبادِه البارّة، وأجورهم كاملة، ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾.

٢ ـ أجزلوا العطاء بما يزيد عن قيمة العمل، ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾، (وردت توصية في الإسلام تقول: حددوا الأجر، وزيدوا عليه عند الأداء).

٣ ـ إذا تركتم متاع الدنيا وصلتم إلى ثواب الآخرة بلا حساب، ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ... وَٱللَّهُ يَرْزُقُ... بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، (المُراد من الرزق الذي لا حساب له هو العطاء الوافر الذي لا يتوقعه الإنسان).

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «قِيعة» تعني الأرض المسطحة الشاسعة كالصحراء، وتُطلق كلمة «ظمآن» على الشخص الذي يزيد عطشه، ومصدر كلمة «وَفّى» تعني الأداء الكامل الذي لا ينقص منه شيء.

التعاليم:

١ ـ توفّر الإيمان هو شرط قبول العمل، وسعادة الإنسان مرهونة بالإيمان أيضاً، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ﴾، (الكفر سبب إحباط العمل وعدم جدواه).

٢ ـ أعمال الكفار خادعة ﴿كَسَرَابٍ﴾، (انظروا إلى دوافع الأعمال وليس إلى مظاهرها وأشكالها الظاهرية).

٣ ـ تساعد الاستفادة من المَثل والتشبيه في التعليم والتربية، ﴿أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ﴾.

٤ ـ يوم القيامة هو يوم ظهور الحقائق، ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ﴾.

٥ ـ الدافع إلى القيام بكل الأعمال هو الوصول إلى الخير، لكن بعض الخير واقعي وبعضه خيال، ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾.

٦ ـ ليس للكفار نصيب من شيء يوم القيامة، ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾.

٧ ـ يؤثر في مصير الإنسان كل من عقيدته وأعماله، ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا... أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ...﴾.

٨ ـ سيكون النظر في حساب البشر يوم القيامة كاملاً ودقيقاً، كما أنه سيكون سريعاً أيضاً، ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ... سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾، (على خلاف الحسابات الدنيوية التي إمّا ألّا تكون دقيقة وكاملة وإما يتأخر النظر فيها).

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ (٤٠)﴾

إشارات:

□ الكافر البسيط قريب من الإسلام، وهناك أمل في عودته إلى الحق، كالكدر العرضيّ الذي ينشب بين اثنين من الناس، ويكون أمرهما قريباً من الصُلح والوفاق. لكن الكافرين الذين يجتهدون في أعمال كثيرة مخالفة على طريق

الكفر تكون عودتهم صعبة جداً. والكافر الذي يُصر على عقيدته ويُحقر الحق ويخوض الحروب ويضع الميزانيات ويبذل الأموال ويجمع حوله الناس في سبيل كفره، ويُعرف بهذا الأمر، تكون عودته إلى دائرة الإسلام صعبة جداً ومستبعدة، لأن كل محاولة من محاولاته موجةٌ من الظلمة تُضاف إلى الأمواج السابقة، وتجعل سيئاتُه كفرَه أكثر قوة وإحكاماً، وتُضلّه بدلاً من أن تفتح له الطريق، وتُصبح حجاباً يُسدل فوق الحُجُب السابقة.

❑ ورد الحديث في هذه الآية عن الظلمات التي تقع إحداها فوق الأخرى ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾ في مقابل النور الإلٰهيّ الذي ورد ذكره في الآية ٣٥ من السورة، ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾.

التعاليم:

١ ـ يجب التعريف بالنماذج الإيجابية والسلبية على السواء. النموذج الإيجابي هو: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ...﴾، والنموذج السلبي هو: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ... أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ...﴾.

٢ ـ عملُ المؤمن نور، وعملُ الكافر ظلمة، ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ... كَظُلُمَٰتٖ﴾.

٣ ـ أعمال الكفار الصالحة كالسراب، وأعمالهم السيئة كالظلمات، ﴿كَسَرَابِۭ... أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ﴾.

٤ ـ العلم وحده لا يُغني الإنسان عن نور الوحي، ولولا وجود النور الإلٰهيّ لما كان هناك أي نور ينجيه، ﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ۝٤١ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٤٢﴾

إشارات:

❑ ذكر القرآن مسألة تسبيح المخلوقات وسجودها وصلاتها عدة مرات صراحةً،

وقال إنكم لا تفهمون هذا التسبيح: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[1]. ويتضح من هذه الآيات أنَّ اليقين والفهم لا يقتصران على الإنسان. وذلك على الرغم من أن بعض المفسرين قالوا إن تسبيح مخلوقات الكون تسبيحٌ تكويني ولسان حالٍ للخليقة، ولكن ظاهر الآيات على خلاف هذا القول.

❑ حذّر الله الإنسان عدة مرات في هذه الآية بشكل غير مباشر:

أ ـ لماذا تغفل أيها الإنسان طالما أن مخلوقات السماء والأرض والطير في حالة تسبيح؟!

ب ـ جميع المخلوقات تسبّح على بصيرة، فلماذا لا يكون لقلب الإنسان خشوع في الصلاة؟!

ج ـ الطير يُسبّح الله ويُصلي أثناء تحليقه في الجو، أمَّا بعض البشر فإنهم يقضون وقتهم في غفلة وسُكر أثناء التحليق في السماء!

❑ وعن أبي ثابت قال كنت عند محمد بن جعفر الباقر (رضي الله عنه): فقال لي: **«أتدري ما تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها»**؟ قلت: لا، قال: **«فإنّهنّ يقدّسن ربّهنّ ويسألنه قوت يومهنّ»**[2].

التعاليم:

١ ـ لا تفكروا في أنفسكم فقط، ولكن انظروا حولكم، وتفكروا في الكون ومخلوقاته، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

٢ ـ للطيور من بين مخلوقات الكون التفات خاص إلى الله أثناء تحليقها في الجو، ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ﴾.

٣ ـ للمخلوقات كلها فهم وإدراك، وصلاتها وتسبيحها عن وعي وبصيرة، ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ﴾.

(١) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

(٢) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ١١، ص ٣٥٠.

٤ ـ يزيد ثواب الصلاة وقيمتها حينما يعرف المُصلي ماذا يقول وماذا يفعل، ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ﴾.

٥ ـ لكل مخلوق صورته الخاصة في الصلاة والتسبيح، ﴿صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾.

٦ ـ يلمّ الله تعالى بتفاصيل الأعمال كلها، ﴿عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

٧ ـ هناك حاكم يتحكم بنظام الكون وهو الله ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ...﴾، وله هدف كذلك، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾

إشارات:

- كلمة «يُزجي» تعني الحركة البطيئة المصحوبة بالدفع.
- كلمة «ركام» تعني التراكم، وكلمة «ودق» تعني الأمطار. أمّا كلمة «سَنا» فإنها تعني اللمعان، والمقصود من «سنا برقه» هو لمعان البرق.
- في أيامنا هذه عندما يُحلّق إنسان بالطائرة أعلى من السحاب فإنه يرى أن كُتَل السحاب تشبه الجبال، وهذا من معجزات القرآن التي ذُكرت قبل أربعة عشر قرناً من الزمان: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾، أي يُرسل البَرَد من جبال السحاب.

التعاليم:

١ ـ من أفضل السبل لمعرفة الله، التفكّر في خلقه تعالى، وصولاً إلى محبته ﷻ، ﴿أَلَمْ تَرَ...﴾.

٢ ـ كلُّ حركةٍ في عالم الطبيعة تتمّ بقدرة إلَهية وبمشيئة ربانية، ومن أجل هدف حكيم، ﴿يُزْجِى... يُؤَلِّفُ... يَجْعَلُهُۥ﴾.

٣ ـ يتحقّق مسار العوامل الطبيعية بإرداة إلَهية، ولا شيء يقوم بدونه، ﴿يُزْجِى... يُؤَلِّفُ... يَجْعَلُهُۥ... يُنَزِّلُ﴾.

٤ ـ يتوزع سقوط المطر والبَرَد ونفعهما أو ضرهما بإرادة الله تعالى، ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ﴾.

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾

التعاليم:

١ ـ ليس من قبيل الصدفة تعاقبُ الليل والنهار؛ ولكنه يستند إلى نظام دقيق، ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾.

٢ ـ يجب التفكّر في ظواهر الكون والاعتبار منها، ﴿لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾.

٣ ـ يستطيع كل متبصّر أن يستخلص الدروس في الأزمنة كلها ومن الأماكن جميعها، ﴿ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ... لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾.

٤ ـ يوصي القرآن دائماً ويشجع على التدبر وينهى عن النظر بسطحية إلى الأشياء، ﴿لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾

إشارات:

- أشار الله تعالى في هذه الآية إلى أنواع من الحيوانات: الزواحف والمواشي والطيور.
- التفكر في التكوين الجسماني للحيوانات خطوة على طريق معرفة الله. وقد قال علي عليه السلام أقوالاً بليغة في نهج البلاغة حول بعض المخلوقات كالطاووس والنملة.
- هذه الآية تتبع الآية التي سبقتها، فكما أنَّ تعاقب الليل والنهار يدفع المتبصرين إلى الاعتبار، فإنَّ خلْق الحيوانات كلها من الماء وسيلة من وسائل العِبرة أيضاً.

❑ من الممكن أن يكون التنوين في كلمة «ماء» هو تنوين «تنويع» كما يُعرف اصطلاحاً، أي أن الله خلق أنواع المخلوقات من أنوع الماء والسوائل المناسبة لها[١].

التعاليم:

١ ـ خُلقت الدواب كلها بإرادة الله ومشيئته، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ﴾

٢ ـ إذا لم يتحرك الإنسان وينمو معنوياً فإنه سيكون في حركته الظاهرية كالدواب، ﴿يَمْشِى، يَمْشِى، يَمْشِى﴾

٣ ـ الماء أصل تكوين الدواب جميعاً، ﴿كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾، والله قادر على أن يخلق هذه المخلوقات المختلفة من هذه المادة البسيطة، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم...﴾.

﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾

إشارات:

❑ قيل في الفرق بين كلمتي: «سَبيل» و«طريق» وكلمة «صراط»، إنّ الصراط هو الطريق السهل، والسبيل اسم يقع على ما يقع عليه الطريق وعلى ما لا يقع، تقول سبيل الله وطريق الله، وتقول سبيلك أن تفعل كذا ولا تقول طريقك أن تفعل...[٢].

التعاليم:

١ ـ أتم الله الحجّة بإرساله الآيات الواضحة المُبينة، ﴿أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ﴾.

٢ ـ الآيات الإلٰهيّة وسيلة هداية؛ ولكن الهداية نفسها من الله، ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ...﴾.

---

(١) تفسير راهنما.

(٢) الفروق اللغوية، ج ١، ٣١٣، الرقم: ١٢٦٠.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

إشارات:

❑ هذه الآية والآيات التي جاءت بعدها تدور حول منافقي المدينة الذين ادعوا مبايعة النبي؛ ولكنهم كانوا يعصونه عملياً.

التعاليم:

١ ـ يجب عدم الركون إلى الادعاءات الخادعة، ولا بد من الإيمان والثبات، ﴿يَقُولُونَ... يَتَوَلَّىٰ﴾.

٢ ـ لا إيمان لناقض العهد، ﴿يَقُولُونَ... يَتَوَلَّىٰ... وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٣ ـ يتلازم الإيمان مع العمل، ﴿يَتَوَلَّىٰ... وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، (يقول المنافقون كلمة «أطعنا» بجوار كلمة «آمنّا»، ولكنهم كانوا غافلين عملياً).

﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾

إشارات:

❑ يستند قضاء رسول الله ﷺ وحُكمه إلى حُكم الله تعالى، وهو ما نقرأه في الآية ١٠٥ من سورة النساء: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ﴾، أي: حتى تحكم بين الناس بموجب ما علّمك الله إيّاه.

التعاليم:

١ ـ قبول حكم الرسول دليل على الإيمان الحقيقي، والإعراض عنه علامة على النفاق، ﴿إِذَا دُعُوٓا۟... فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾.

٢ ـ الحُكم والقضاء من مهام الأنبياء وشؤونهم، ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾.

٣ ـ حُكم النبي هو نفسه حُكم الله تعالى، (جاءت كلمة «ليحكم» على الإفراد ولم تأت على التثنية).
٤ ـ يجب معاملة الناس بإنصاف، فلا ينبغي تعميم الأحكام، ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾.
٥ ـ القضاء العادل قد لا يُعجب فريقاً من الناس، ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾.
٦ ـ لا تستندوا إلى أي ميل أو إظهار للاهتمام بكم، ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ...﴾، (يأتون إلى النبي، لكن فقط، عندما يكون كلام النبي لمصلحتهم).
٧ ـ المنافق انتهازي، ويرتدي القناع المناسب لكل حدث، ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ... مُذْعِنِينَ﴾.
٨ ـ يقضي النبي الأكرم ﷺ للجميع، حتى للمنافقين (حينما يكون الحق معهم)، ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ... وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ﴾.

﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾

إشارات:

❑ «الحيف» هو الخروج عن الاعتدال ظلماً وجوراً.

التعاليم:

١ ـ انعدام الإيمان مرض نفسي، ﴿وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ... أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾.
٢ ـ دوافع الإعراض عن حُكم النبي ثلاثة: الأمراض النفسية والشك وسوء الظن، ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.
٣ ـ الشك وسوء الظن في الله ظلم ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، (ظلم للنفس وللأنبياء).

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾

إشارات:

❑ رسمت الآيات الأربع السابقة صورة لموقف المنافقين من حُكم نبي

الإسلام ﷺ، وتُقدم هذه الآية موقف المؤمنين الحقيقيين كي يعرف الناس في أي الفريقين هم عند التعامل مع حكم الله تعالى.

التعاليم:

١ ـ للمؤمن الصادق أسلوب واحد ثابت في تعامله مع حكم الله ورسوله، ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٢ ـ التسليم للحق هو أسلوب المؤمنين الدائم، ﴿كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ... سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾.

٣ ـ ينبغي أن يكون اهتمام المؤمن بالسبيل الذي يُدعى إليه وليس بشخصيّة الداعي، ﴿دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾.

٤ ـ المُهم بالنسبة للمؤمن هو العمل بالتكليف الإلٰهيّ وقبول حكم الله ورسوله (سواء أكان فيه مصلحته أو ضرره)، ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾.

٥ ـ الحكم من شؤون الأنبياء، ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾.

٦ ـ المُهم هو السماع والعمل، وليس القبول دون تنفيذ، ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾.

٧ ـ تقوم طاعة المؤمنين للنبي على أساس تنفيذ أقوال الله تعالى وأوامره، (تقدمت «كلمة» سمعنا على كلمة «أطعنا»).

٨ ـ الوصول إلى الفلاح يكون في ظل التسليم لأوامر الله وطاعته، ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

٩ ـ يتميّز المتدين عن سواه عند وجود الاختلافات وقبول أحكام الله تعالى أو رفضها، ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾

التعاليم:

١ ـ لا علاقة للسعادة بالعرق أو السن أو الجنس أو القبيلة، فكل من يُسلم لله يكن من المفلحين، ﴿وَمَن يُطِعِ... هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾.

٢ ـ وجوب إطاعة النبي ﷺ بلا قيد أو شرط من منطلق كونه معصوماً، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾.

٣ ـ الأهميّة تتجلى في الخشية الداخليّة والتقوى الخارجيّة، ﴿وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ﴾.

٤ ـ يجب ألّا تؤدي الطاعة إلى الغرور، بل لا بدّ من وجود روح الخشية والتقوى، ﴿يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ﴾.

٥ ـ التقي الذي يخشى الله يُطيع الله ورسوله، وهو لا محالة من المُفلحين، ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾.

﴿۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾

التعاليم:

١ ـ لا تطمئنوا إلى كل قَسَم تسمعونه؛ لأن المنافقين يُسيئون استخدام المقدّسات، ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ...﴾.

٢ ـ يزداد التظاهر ويكثر التباهي لدى المرء كلما كان داخله أجوفاً، ﴿جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾.

٣ ـ ليس الإسلام بالأقوال فقط، وإنما بالأفعال أيضاً، ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾.

٤ ـ يجب ردع المنافقين عن إساءة استخدام القَسَم بعدم قبول قَسَمهم، ﴿قُل لَّا تُقْسِمُوا۟﴾.

٥ ـ يعلم المنافقون أن الله يعلم قولهم ويطّلع على تصرفاتهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾

إشارات:

□ تنقسم أوامر الرسول إلى نوعين: الأول أوامر إلَهية ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ﴾، والثاني أوامر حكومية، ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾.

❑ وردت في القرآن مواضع ذُكر فيها أمران متلازمان بحيث يجب تنفيذ الأمرين معاً، ولا يكفي العمل بواحد منهما فقط، ومثال ذلك:

ـ الإيمان والعمل، ﴿ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[1].

ـ الصلاة والزكاة، ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[2].

ـ شكر الله والوالدين، ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾[3].

ـ طاعة الله ورسوله، كقوله تعالى في هذه الاية: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾.

❑ استخدمت جملة ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ كثيراً في القرآن الكريم، في المواضع كلها لتشجيع الرسول والشد من أزره حتى لا يتسرب اليأس إليه بسبب تجاهل الناس لدعوته.

التعاليم:

١ ـ أمر الله الرسول بأن يدعو المنافقين أيضاً إلى الطاعة، ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟...﴾.

٢ ـ إطاعة النبي ﷺ في ما أمر أو نهى واجبة كطاعة أوامر الله، ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾.

٣ ـ تتوافق إرشادات النبي وتوجيهاته مع الأوامر الإلٰهيّة، ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾.

٤ ـ لا أثر لطاعة الناس أو عصيانهم في أداء الأنبياء لمُهمتهم، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾.

٥ ـ يتعلّق تكليف كل فرد به هو نفسه، ﴿عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾.

٦ ـ الطاعة مدخل إلى الهداية، ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾.

٧ ـ يبلّغ الأنبياء الرسالة ولا يُجبرون أحداً عليها، ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٤٣.

(٣) سورة لقمان: الآية ١٤.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾

إشارات:

- ورد في روايات كثيرة عن الإمام السجاد والإمام الباقر والإمام الصادق عليهم السلام أنّ هذه الآية تنطبق تماماً على حُكم الإمام المهدي عليه السلام للعالم[١]. وأنَّ الله تعالى قد وعد بأن يحكم المؤمنون العالم في ذلك اليوم.
- ذُكر حُكم الصالحين للعالم في نهاية الزمان مرات عدة في القرآن الكريم، منها قوله ثلاث مرات: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[٢]، أي أنَّ الإسلام سوف ينتصر على الأديان كلها. وقال تعالى في موضع آخر: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[٣]، أي أن عباد الله الصالحين سوف يرثون الأرض. ونقرأ في موضع آخر: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٥].
- المقصود بخلافة المؤمنين خلافة الله على الأرض أو الحلول محل الأقوام السابقة.
- ويروي «القرطبي» في تفسيره أحاديث عدة حول الانتصار الكامل للإسلام، ويقول إنه لن يكون هناك بيت على وجه الأرض إلا وسيدخله الإسلام.
- استخلفَ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، بأمر من الله تعالى، الإمام علياً عليه السلام في آخر حجة له في طريق عودته من مكة إلى المدينة (في الثامن عشر من ذي الحجة) عند غدير خم، ونزلت الآية التي يقول فيها تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٦١٩.

(٢) سورة التوبة: الآية ٣٣؛ وسورة الفتح: الآية ٢٨؛ وسورة الصف: الآية ٩.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١٠٥.

(٤) سورة طه: الآية ١٣٢.

(٥) سورة الأعراف: الآية ١٢٨.

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾[1]، وفي هذه الآية وعد من الله أيضاً بانتصار ذلك الدين الذي ارتضاه ﴿دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾. وبناءً على ذلك فإن الإسلام الذي سيسود العالم هو إسلام غدير خم.

التعاليم:

١ ـ الإسلام هو دين المستقبل في العالم، والمتوقع القادم لمصلحة المؤمنين، وانكسار لشوكة الكافرين، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ... وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ﴾.

٢ ـ يجب بثّ الأمل في نفوس المؤمنين حتى لا ييأسوا تحت ضغط الصعوبات، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

٣ ـ الإيمان والعمل الصالح هما مفتاح الوصول إلى حُكم الحق ورمز استحقاقه، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

٤ ـ لا ينفصل الدين عن السياسة، فالسياسة والحُكم هما من أجل المحافظة على الدين، ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ... يَعْبُدُونَنِى﴾.

٥ ـ من المفيد أن نعرض نماذج من التاريخ عند ذكر الوعود الإلٰهيّة، وذلك كي يصدقها الناس، ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

٦ ـ الانتصار النهائي لأهل الحق سُنَّة إلٰهيّة، ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

٧ ـ الهدف من حُكم أهل الإيمان هو استقرار الدين الإلٰهيّ في الأرض والوصول إلى التوحيد والأمن الكامل، ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ... وَلَيُبَدِّلَنَّهُم... لَا يُشْرِكُونَ﴾.

٨ ـ علينا أن نرى سلطة الله في التحوّلات التاريخية، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ... وَلَيُمَكِّنَنَّ... وَلَيُبَدِّلَنَّهُم﴾.

٩ ـ الإسلام هو الدين الوحيد الذي يرتضيه الله، ﴿دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾.

١٠ ـ يتوفر الأمن الحقيقي في ظل حكم الدين، ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ﴾.

١١ ـ يُوفر الأمن في المجتمع الإسلامي الظروف المناسبة من أجل العبادة، ﴿أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِى﴾، (الهدف النهائي من الوعود الإلٰهيّة هو العبادة الخالصة لله).

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

١٢ ـ تكتملُ عبادة الله عندما لا يرافقها أي شكل من أشكال الشِرك، ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ﴾.

١٣ ـ ينبّه الله تعالى إلى أنه ينحرف فريق من الناس في زمن حُكم الصالحين أيضاً، ﴿وَعَدَ اللَّهُ... وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَالِكَ﴾.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾

إشارات:

❑ عن الإمام الصادق عليه السلام بعد تلاوته الآية ٥٦: «**هي الفطرة التي افترض الله على المؤمنين**»[١].

❑ ربما كانت الآية ٥٧ ردّاً على السؤال الذي يقول: كيف يَعدُ الله تعالى المؤمنين بحُكم الأرض على الرغم من كل هذا الكفر والنفاق والإمكانيات لدى المعارضين المخالفين؟ تقول هذه الآية: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾، أي لا تكن في شك، فالمخالفون لا يستطيعون أن يُعجزوا إرادة الله أو أن يُصيبوا طريقه بالخلل في أي مكان على الأرض. وسوف تقوم حكومة إمام الزمان عليه السلام ذات يوم على غير رغبة من الأعداء وخلافاً لظنونهم الباطلة[٢].

التعاليم:

١ ـ خلال حكم المؤمنين يتجلى الصلاح بمظاهر مثال إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا... وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ و...﴾.

٢ ـ لا يفصل الإسلام بين المسائل العبادية ﴿أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾ والمسائل المالية ﴿وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾ والمسائل السياسيّة والحكومية، ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ١٠٤.
(٢) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ١٥٧.

٣ ـ تحثّ الوعود الإلٰهيّة (في الآية السابقة) على العمل ولا تقبل القعود، ﴿وَأَقِيمُوا... وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾.

٤ ـ اتّباع الله ورسوله هو شرط الوصول إلى الرحمة الإلٰهيّة، ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

٥ ـ سوف ينهزم الكفار ولو كانوا من القوى العظمى أمام قدرة الله تعالى وقوته، ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ...﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾

إشارات:

❑ إذا ألقينا نظرة على آيات هذه السورة مرة أخرى من بدايتها نجد أن سياسة الوقاية من الذنب تكمن في الأحكام الإلٰهيّة، فيجب أن يُعاقب الزاني والزانية أمام أعين الناس (آية ١)، وأن يُقيد زواجهما (آية ٣)، وأن يُجلد من يقذف المحصنات بالباطل بدون أن يُحضر أربعة شهود ثمانين جلدة (آية ٤)، وأن يتم التصدي لأي قذف أو اتهام باطل (آية ١٢)، وأن من يحب إشاعة الفحشاء له عذاب أليم (آية ١٩)، ويجب عدم تتبّع خطوات الشيطان (آية ٢١)، ومن يقذف النساء العفيفات الطاهرات له عذاب عظيم (آية ٢٣)، وعلى الطيبين ألا يبحثوا عن الخبيثات (آية ٢٦)، ويمنع دخول بيوت الآخرين بلا إذن، والالتزام بحق صاحب الدار (آية ٢٧ ـ ٢٨)، ويجب غض البصر عن الحرام وعدم التحديق فيه (آية ٣٠ ـ ٣١)، وعلى النساء ألا يُبدين زينتهن، ويجب القيام بتزويج مَن لا زوجة له، وعدم الخوف من الفقر (آية ٣٢)، ويقول تعالى في هذه الآية: اختلوا بزوجاتكم ساعات من اليوم، واعلموا أن على الأبناء وخدم المنزل ألا يدخلوا عليكم بدون إذن. نعم، إنَّ هذه الأوامر كلها من أجل منع الفحشاء والبلوغ المبكر وحفظ الحرمة والحياء والكرامة.

التعاليم:

١ ـ الوالدان المؤمنان هما المسؤولان عن تعليم أولادهما أحكام الدين، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ﴾.

٢ ـ يحتاج الدخول إلى مكان نوم الوالدين إلى إذن إذا كان منفصلاً عن مكان الأولاد، ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ﴾.

٣ ـ الطفولة والعبودية ليستا ذريعة لهتك حُرمة الآخرين، ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ﴾.

٤ ـ يجب على الرجل أن يُخصص أوقاتاً لزوجته على امتداد الليل والنهار، ﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْۚ﴾.

٥ ـ يجب حتى على الأبناء غير البالغين معرفة أحكام الأُسرة ومُراعاتها، ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ... وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ﴾.

٦ ـ الإسلام دين الحياة، ويتمتع بشمول كامل، وله خطة وبرنامج من أجل القضايا المهمة من قبيل تكوين الحكومة العالميّة (التي ورد ذكرها في الآية ٥٥)، كما أنه يُعالج قضايا جزئية من قبيل دخول الطفل غرفة الأبوين، ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ... وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ﴾.

٧ ـ يجب على الأطفال أن يتعلموا العِفة والطهارة في محيط البيت، ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ﴾.

٨ ـ علينا أن نبدأ في تربية الأطفال وتعليمهم الآداب الإسلاميّة قبل بلوغهم، ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ﴾.

٩ ـ ينبغي خلع ثياب العمل والملابس الرسمية عند الاستراحة في البيت، ﴿تَضَعُونَ ثِيَابَكُم﴾.

١٠ ـ الاستراحة بعد الظهر وبين ساعات العمل مفيدة ومناسبة، ﴿تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾.

١١ ـ يجب أن يكون تنظيم الوقت في حياة المسلمين على أساس أوقات الصلاة، ﴿قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ ـ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِۚ﴾.

١٢ ـ تقوم الأحكام الإلْهيّة كلها على أساس العلم والحكمة، ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾

إشارات:

- كلمة «حُلُم» و«احتلام» بمعنى الجَنابة أثناء النوم، وهو علامة من علامات البلوغ. ولا شك في أنَّ علامات البلوغ تختلف لدى الفتيات عنها لدى الفتيان، وقد وردت في رسائل مراجع التقليد.
- اختصت الآية السابقة باستئذان الأطفال في ثلاثة أوقات مُحددة، لكن هذه الآية لم تُحدد وقتاً معيّناً، ويجب على الأبناء البالغين أن يستأذنوا عند الدخول إلى حجرة الوالدين في الأوقات كلها.
- لا يكفي اللّجوء إلى إقامة الحدود والجَلْد فقط من أجل اقتلاع جذور مَفسدة اجتماعيّة من قبيل الأعمال التي تنتهك العِفة، ولن تُؤدي خطوة كهذه إلى النتيجة المطلوبة في أي قضيّة من القضايا الاجتماعية، بل يجب إعداد مجموعة من التعاليم الفكرية والثقافيّة الممزوجة بالأدب الأخلاقي والعاطفي والتعاليم الإسلاميّة الصحيحة، وإيجاد بيئة اجتماعيّة سليمة، ثم ننظر بعد ذلك إلى العقوبات بوصفها عامل مساعد بموازاة هذه العوامل.

ولهذا السبب تبدأ سورة النور ـ التي هي سورة العِفة في الحقيقة ـ بالعقوبات المقررة على الزاني والزانية، ثم تتوسع في عرض مسائل أخرى من قبيل توفير وسائل الزواج السليم، والاهتمام بالحجاب الإسلامي، والنهي عن النظر إلى الحرام، وتحريم قذف الناس واتهامهم في شرفهم، وصولاً إلى استئذان الأبناء عند الدخول إلى حجرة الأهل. وهذا يُشير إلى أنَّ الإسلام لم يغفل أي أمر من الأمور الدقيقة والتفاصيل المتعلقة بهذه القضية.

إنَّ الخدم والأبناء البالغين مُكلفون أيضاً بأن لا يدخلوا بدون إذن، وحتى

الأطفال غير البالغين الذين يتواجدون مع الأب والأم بانتظام، عليهم أن يتعلموا ألّا يدخلوا على أبويهم في أوقات الراحة بدون إذن. هذا أدب إسلامي، على الرغم من أنه قلّما يُراعى اليوم للأسف، وعلى الرغم من أن القرآن وضّحه بصراحة في الآيات السابقة، فإننا قليلاً ما نجد هذا الحُكم الإسلامي وفلسفته محل بحثٍ ودراسة في الكتابات والخطب أيضاً. ومن غير المعروف لأي سبب تعرض هذا الحُكم القطعي في القرآن إلى الغفلة والتجاهل؟

لا بد من أن ينظر الآباء والأمهات إلى هذه المسائل بعين الجدية، وأن يُعَوّدوا أولادهم على أن يستأذنوا عند الدخول عليهم. وكذلك من الأعمال التي تتسبّب في إثارة الأبناء، نوم الرجل والمرأة في الحجرة التي ينام فيها الأبناء المُدركون الذين يستطيعون التمييز، فعلى الأهل أن يتجنبوا هذا الأمر بقدر المستطاع، ويعلموا أن هذه الأمور تؤثر تأثيراً هائلاً ـ من الناحية التربوية ـ في مصير أبنائهم.

وقد ورد في حديثٍ عن نبي الإسلام ﷺ: **«إياكم أن يُجامع الرجل امرأته والصبي في المهد ينظر إليهما»**(١).

التعاليم:

١ ـ الاحتلام علامة البلوغ الشرعية، ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ... ٱلْحُلُمَ﴾.

٢ ـ الكبار والبالغون هم المِثال والقدوة للصبية الصغار، ﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

٣ ـ ربّوا الأبناء بأعمالكم، ﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

٤ ـ تهدف الأوامر التي أصدرها الله تعالى إلى المحافظة على العِفة وهي أوامر واعية حكيمة، ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

---

(١) بحار الأنوار، ج ١٠٣، ص ٢٩٥.

﴿وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝٦٠﴾

إشارات:

- يُستفاد من القرآن الكريم أنَّ خمار السيدات وجلبابهن يجب ألّا يكونا مهيّجين أو مثيرين للشهوة أمام الرجال من غير المحارم؛ لأن الاستثناء ورد في المواضع التالية:
  - ﴿غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ﴾[1]، الرجل الذي لا شهوة لديه.
  - ﴿أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ﴾، الطفل الذي لا يعرف شيئاً عن الشهوة.
  - ﴿لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا﴾، النساء العجائز اللائي لا يطمعن في الزواج من الرجال.
- وعن الإمام الصادق عليه السلام إنَّ المقصود من قوله تعالى ﴿يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ هو الخمار والجلباب وليس التعري[2].
- أصل الحجاب من الأحكام الثابتة والضرورية في الإسلام، ولكن يجب ألّا يُثير نوعُ الجلباب الميولَ الجنسية، بل أن يكون عاملاً من عوامل المحافظة على العِفة والطهارة.

التعاليم:

١ ـ تتطابق قوانين الإسلام مع الواقع والضرورات والاحتياجات والطاقات. (يجب التخفيف في هذه القضيّة على المرأة العجوز التي لا تميل إلى الرجال ولا تتزين)، ﴿وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا... أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ﴾.

٢ ـ على المرأة ـ عجوزاً كانت أو شابة ـ ألّا تُظهرَ زينتها، ﴿غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ﴾.

---

(١) سورة النور: الآية ٣١.

(٢) الكافي، ج ٥٧، ص ٥٢٢.

٣ ـ لا يكفي كبر السن وحده من أجل أن تنزع المرأة خمارها، بل يجب ألا يكون لها رغبة في الزواج، ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ... لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾.

٤ ـ الحجاب هو الأساس في المحافظة على العِفة، ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾.

٥ ـ الحجاب هو لمصلحة النساء، ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾.

٦ ـ لا بدّ من التحذير بموازاة الحرّية (إذا أُسيء استخدام الأحكام الإلٰهيّة فإن الله سميع وعليم، وسوف يحاسب من تخلف عنها)، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

إشارات:

□ عن الإمام الصادق عليه السلام حول هذه الآية: «**وذلك أن أهل المدينة قبل أن يُسلِموا كانوا يعزلون الأعمى والأعرج والمريض أن يأكلوا معهم، كانوا لا يأكلون معهم، وكان الأنصار فيهم تيه وتكرم فقالوا: إنَّ الأعمى لا يُبصر الطعام، والأعرج لا يستطيع الزحام على الطعام، والمريض لا يأكل كما يأكل الصحيح، فعزلوا لهم طعامهم على ناحية، وكانوا يرون عليهم في مؤاكلتهم جُناح، وكان الأعمى والأعرج والمريض يقولون: لعلنا نؤذيهم إذا أكلنا معهم، فاعتزلوا من مؤاكلتهم، فلما قدم النبي صلى الله عليه وآله سألوه عن ذلك فأنزل الله عز وجل:** ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾»[1].

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٦٢٤.

- ويقول العلامة الطباطبائي إن ظاهر الآية هو أن الله تعالى قد أقر للمؤمنين بالحق في أنهم يستطيعون أن يأكلوا من بيوت الأبناء والأقارب والأصدقاء على قدر حاجتهم، وهذا الإذن عام وشامل، لكن بداية الآية أشارت إلى ثلاث مجموعات لا تستطيع عادةً أن توفر طعامها، وتحتاج إلى الآخرين في توفيره، لكن الحُكم لا يخص هذه المجموعات الثلاث بعينها، بل هو للمؤمنين جميعاً[١].
- بيَّنت هذه الآية الإذن بالاستفادة من بيوت أقارب النسب فقط، ولم تذكر شيئاً عن قرابة المصاهرة، كوالد الزوجة وأمها وشقيق الزوجة وشقيقتها.
- هذه الآية حول تناول الطعام فقط، أمَّا التصرفات الأخرى فإنها مشروطة بالحصول على الإذن. وقد روِي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**قوت بغير سرف...**»[٢].
- تُشير القرائن أحياناً إلى أن هذه المجموعات الإحدى عشرة ـ في الحالات المذكورة في الآية ـ لا ترغب في أن نأكل من الطعام الذي في بيوتها، كأن يكون أهل هذه البيوت قد أخفوا الطعام في مكان خاص، فيجب أن نكفَّ أيدينا في هذه الحالة.
- عن الإمام الباقر عليه السلام إنَّ التسليم في قوله تعالى ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ «**هو تسليم الرجل على أهل البيت حين يدخل، ثم يردّون عليه، فهو سلامكم على أنفسكم**»[٣].
- لم يأت ذكرٌ لبيت الابن في هذه الآية، وربما كان ذلك بسبب أن جواز هذا الأمر واضح ومُسَلم به، فقد ورد في الحديث قوله ﷺ: «**أنت ومالُك لأبيك**».

التعاليم:

١ ـ العلاقات الأسرية وروابط القربى تؤثّر في قضايا الحقوق (على الرغم من أن

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ١٦٤ وما بعدها.
(٢) تفسير الصافي، ج ٣، ص ٤٤٨.
(٣) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٦٢٨.

الطعام ملك لصاحب البيت فإن الإسلام قد غلّب العلاقات الأسرية والعاطفية على ملكية الأفراد في هذه المواضع)، ﴿أَن تَأْكُلُوا مِنْ... بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ﴾.

٢ ـ الأدلة العرفية والاطمئنان العقلي يكفيان للدلالة على جواز الاستفادة مما في بيوت الآخرين (إعطاء مفتاح البيت لأحد هو علامة رضا)، ﴿مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾.

٣ ـ وُضعَ حق الصديق إلى جوار حق الأسرة في الإسلام، ﴿أَعْمَامِكُمْ...﴾، (سُئل أفلاطون: أتحب أخاك أكثر أم رفيقك؟ فأجاب: أخي حينما يكون رفيقي)[1].

٤ ـ إلقاء التحية من آداب دخول المنزل، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا﴾.

٥ ـ التحية أدب سماوي مبارك ومستحسن، ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾.

٦ ـ توجيه التحية يؤثر على خير البيت وبركة الحياة، ﴿مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾.

٧ ـ أهل البيت هم بمثابة أنفسكم، ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾.

٨ ـ إن الله تعالى هو الذي يرسم حدود الحقوق، ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾.

٩ ـ يجب التفكُّر والتدبّر في الأحكام الإلٰهيّة، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾

إشارات:

❑ ذُكرت أقوال عديدة في كتب التفسير حول سبب نزول هذه الآية، وسوف نذكر الأقوال الأساسيّة في ما يلي:

---

(١) تفسير المراغي.

١ ـ هذه الآية ترتبط بالصحابي «حنظلة» الذي لمّا صدر الأمر بالتحرك في غزوة أحد ليلة عرسه. وذهب حنظلة إلى البيت بعد استئذان رسول الله ﷺ، وأقام مراسم زفافه، ثم ذهب إلى الجبهة بدون أن يغتسل، واستشهد في المعركة. وقد ورد عن النبيّ قوله: «**رأيت الملائكة تغسل حنظلة بماء المزن في صحائف من فضة بين السماء والأرض**»، فكان غسيل الملائكة. ورزق الله حنظلة ولداً من ليلته تلك التي قضاها مع زوجته. وقد أورد المفسّرون أحداث قصّته بالتفصيل في تفسير هذه الآية[١].

٢ ـ قيل إنّ هذه الآية نزلت في المنافقين كانوا ينظرون يميناً وشمالاً فإذا لم يرهم أحد انسلّوا وخرجوا ولم يصلّوا، وإن أبصرهم أحد ثبتوا وصلّوا خوفاً[٢].

٣ ـ أرسل رسول الله ﷺ جماعة من الناس لأمر من الأمور، ولكنهم ذهبوا في قضاء حوائجهم الشخصيّة، ونزلت هذه الآية في هذا الشأن.

٤ ـ نزلت هذه الآية في شأن المسلمين الذين كانوا يحفرون الخندق، وكانوا يستأذنون رسول الله ﷺ من أجل زيارة أُسرِهم.

٥ ـ يعدُّ استئذان القائد دليلاً على الأدب والتسليم والانضباط والحب للزعيم والنظام.

التعاليم:

١ ـ مؤازرة الزعيم من أجل حل المشكلات علامة على الإيمان، والتغيب دليل على النفاق أو ضعف الإيمان، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ... كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾.

---

(١) انظر: الميزان في تفسير القرآن، ج١٥، ص ١٧١.

(٢) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج٢٤، ص٣٩.

٢ ـ لا تجوز الأنانية والاستقلالية في القضايا المؤسسية التي يُتخذ فيها القرار على أساس تبادل الأفكار والمشورة، ﴿عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ﴾.

٣ ـ من الضروري وجود القائد في الحياة الاجتماعيّة واتّباعه، ﴿عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ﴾.

٤ ـ يجب أن يكون الإيمان مصحوباً بالتسليم للقيادة والطاعة لها، ﴿لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ﴾.

٥ ـ يجب أن نحترم النظام الاجتماعي وأن نُقدّر الأعمال الجَماعية، ﴿لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ﴾.

٦ ـ يجب أن يكون الكلام تلميحاً في بعض المسائل، ﴿لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ﴾.

٧ ـ القيادة في الإسلام تقترن بالرحمة والتفكير في عاقبة الأمور، ﴿فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ﴾.

٨ ـ القرارات النهائية تعود للقائد، ﴿لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ﴾، (للرسول ولاية على الناس في قضايا المجتمع).

٩ ـ يجب على القائد أن يكون مرناً واقعياً في تنفيذ سياساته، ﴿فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ﴾.

١٠ ـ إذنُ النبي يُجيز العمل ويُحلّه، ولكن ترك الأعمال العامة دون مسوّغ يحتاج إلى استغفار، ﴿فَأۡذَن... وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ﴾.

١١ ـ يُستحسن طرح المسائل الشخصيّة أثناء الانشغال بالأعمال العامة حتى لو كان هناك إذن بذلك، ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ﴾ ويجب الاعتذار عن ذلك.

١٢ ـ استغفار النبي ﷺ مَقبول، ودعاؤه للآخرين مُستجاب، ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

إشارات:

- «تسلل» تعني الخروج سراً وخفية، وكلمة «لواذ» تعني اختفاء الواحد وراء الآخر، وكان هذا من عمل المنافقين.
- ثمة أربعة تفاسير لمعنى هذه الآية:

١ ـ لا تنادوا رسول الله ﷺ مثل الآخرين، فقد ورد في الحديث: «لا تقولوا يا محمد ولا يا أبا القاسم، ولكن قولوا يا نبي الله ويا رسول الله»[١]، وجاء في رواية أخرى أن هذه الآية تسري على خلفاء هذا النبي المعصومين أيضاً[٢].

٢ ـ لا تُنادوا النبي بصوت مرتفع كما تفعلوا مع الآخرين[٣].

٣ ـ لا تجعلوا دعوة الرسول ﷺ كدعوة الآخرين، وعليكم أن تُطيعوا النبي إذا دعاكم إلى عمل من قبيل الذهاب إلى الجبهة وصلاة الجماعة، ولا تستهينوا بدعوته.

٤ ـ احذروا دعاء الرسول عليكم إذا أسخطتموه، فإنّ دعاءه مجاب ليس كدعاء غيره[٤].

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج٣، ص ٦٢٨.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٣٠١.

(٣) تفسير مجمع البيان، مج ٧ ـ ٨، ص ٢٤٨.

(٤) انظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج٢٤، ص٤٠.

التعاليم:

١ ـ المبعوث الإلٰهيّ له حُرمته، فاذكروا اسمه باحترام، وسلموا له تمام التسليم، ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ...﴾.

٢ ـ الاستهانة بتعليمات النبيّ وعدم الاهتمام بها يتسبّبان في الفتنة والعذاب الأليم، ﴿فِتْنَةٌ أَوْ... عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

٣ ـ مخالفة أمر الله ورسوله يترتب عليها فتنة دنيوية أو عذاب أخروي، ﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦ... فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

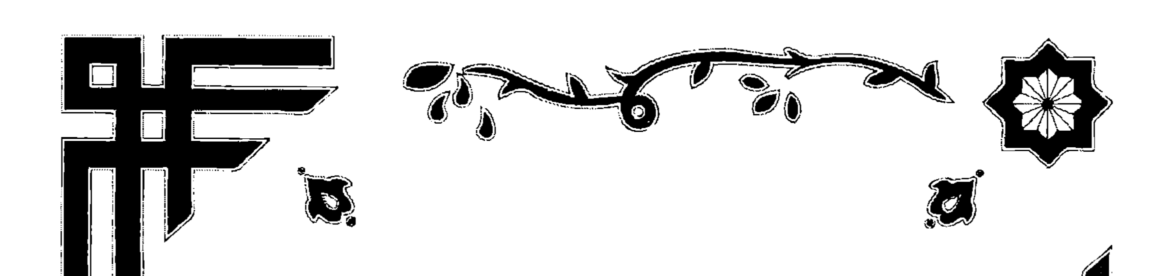
﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ
وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾

التعاليم:

١ ـ الله سبحانه يعلم الأفكار والنوايا كلها، ﴿قَدْ يَعْلَمُ... فَيُنَبِّئُهُم﴾.

٢ ـ الإيمان بعلم الله هو وسيلة منع الشرور، ﴿يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ... فَيُنَبِّئُهُم﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

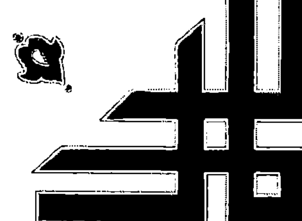


سُورَةُ الفُرْقَانِ

السورة: ٢٥ الجزء: ١٨ ـ ١٩

عدد الآيات: ٧٧





ملامح سورة الفرقان

تحتوي هذه السورة على سبع وسبعين آية، ونزلت في مكة.

وقد وُصف القرآن الكريم في الآية الأولى من هذه السورة بالفُرقان، أي المُفرّق بين الحق والباطل؛ ولهذا سُميت هذه السورة سورة «الفُرقان».

وتشتمل هذه السورة على آيات يدور الحديث فيها حول ذرائع المشركين والرد عليها، ومصير الأمم السابقة، كأصحاب الرسِّ، وتحسّر الناس يوم القيامة، وعلامات التوحيد وعظمة الله تعالى في الطبيعة، والمقارنة بين المؤمنين والكافرين. لكن أهم جزء من آيات هذه السورة يدور حول سمات «عباد الرحمن»، أي عباد الله الصادقون، وهو الجزء الذي يبدأ من الآية ٦٣ ويستمر حتى نهاية السورة.

ولعلنا نُمهد المجال لتلقي الأفضال الإلٰهيّة في الدنيا والآخرة ودخول الفردوس الأعلى بتلاوة هذه الآيات وتدبرها وإصلاح سلوكياتنا وأعمالنا على أساس هذه الصفات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ①﴾

إشارات:

- من الممكن أن تكون كلمة «تَبارك» من اللفظ «بَرَك»، أي ثبت وأقام، ومن الممكن أن تكون من كلمة «بَرَكة» التي تعني الخير الكثير، أي أنَّ الذي أنزل القرآن الكريم هو مصدر الخير الوفير، وأنَّ نُزول القرآن ما هو إلا نموذج لهذا الخير وتلك البَركة. نعم، وأي بركة أعظم من القانون الإلٰهيّ الذي أخرج مليارات البشر من الظلمات إلى النور.
- لو كان النُزول في صيغة «أنزلنا» كان المعنى هو إرسال القرآن كاملاً ودفعة واحدة، أمَّا إذا كان في صيغة «نَزَّل» فالمعنى هو الإرسال تدريجيًا، وقد نزل القرآن على شكلين، فقد نزل على النبي دفعة واحدة في ليلة القدر ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[1]، ونزل مرة أخرى بصورة تدريجية على مدار ٢٣ سنة ﴿نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾، كما نقرأ في موضع آخر من القرآن الكريم: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[2]، أي: نحن أنزلنا القرآن مُفرقاً حتى تقرأه على الناس تدريجياً.

التعاليم:

١ ـ جاء القرآن الكريم من مصدر مبارك، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ﴾.

٢ ـ يليق الاستحسان بالنظام التكويني للإنسان (المخلوق بقدرته تعالى) ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[3]، كما ويليق بنظامه التشريعي (نزول القرآن وتدوين أحكام الدين)، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ﴾.

---

(١) سورة القدر: الآية ١.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٠٦.

(٣) سورة المؤمنون: الآية ١٤.

٣ ـ نزل القرآن الكريم تدريجيّاً، ﴿نَزَّلَ﴾.

٤ ـ القرآن هو أفضل وسيلة لمعرفة الحق من الباطل، ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾.

٥ ـ لولا الكتب السماوية ورسالة الأنبياء لتخبّط الإنسان في ظلمات الحيرة والاضطراب، ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾.

٦ ـ العبودية هي ميدان تلقّي الوحي، ﴿نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾.

٧ ـ رسالة رسول الإسلام رسالة عالمية، ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾.

٨ ـ مهمة الأنبياء هي التحذير والإنذار، ﴿نَذِيرًا﴾.

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾

إشارات:

❑ كان المشركون واليهود والنصارى يعتقدون باطلاً، أنَّ الله تعالى له ولد أو شريك، وقد فنَّد القرآن الكريم هذه العقيدة الباطلة مرات عديدة، ومنها ما ورد في هذه الآية.

التعاليم:

١ ـ إنّ السلطة على الكون والحاكمية فيه هي لله تعالى، ﴿لَهُۥ مُلْكُ...﴾، (في الكون نظام واحد، وإرادة واحدة، وإدارة مسيطرة واحدة).

٢ ـ يتساوى حُكم الله في هذا الكون، ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

٣ ـ الله تعالى هو الغني، ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ... لَمْ يَتَّخِذْ﴾، (تكون الحاجة إلى الولد من أجل تعويض النقائص، فأي نقيصة لذلك الذي يُمسك بحكم الكون كله في يده؟!).

٤ ـ خرجت المخلوقات كلها من مصدر قادر واحد، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾.

٥ ـ لا يملك تدبير شؤون الكون إلّا خالقُه، ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ... وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾.

٦ ـ للخلق نظام دقيق وترتيب، ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾.

٧ ـ يجري تدبير أمور الكون في غاية الدقة ﴿تَقۡدِيراً﴾.

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ۝٣﴾

التعاليم:

١ ـ الإيمان بالله أمر فطري، وإذا ترك إنسانٌ إلَهه الواحد فإنه سيذهب وراء الآلهة الكاذبين، ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ﴾.

٢ ـ يجب مواجهة المشركين أيضاً بالاستدلال، ﴿لَّا يَخۡلُقُونَ... وَلَا يَمۡلِكُونَ﴾.

٣ ـ الله هو القادر على حل مشاكل الإنسان؛ لذا يجب عبادته دون الأصنام العاجزة عن مساعدته، ﴿لَا يَمۡلِكُونَ﴾.

٤ ـ إن الذي لا يدفع الضرر عن نفسه، ولا يجلب لها نفعاً، لن يقدر على فعل شيء دون أي شك، ﴿لِأَنفُسِهِمۡ﴾.

٥ ـ يتقدّم دفع الضرر على جلب المنفعة. وقد ورد قوله تعالى ﴿وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا﴾ عن دفع الضرر قبل قوله ﴿وَلَا نَفۡعٗا﴾ عن جلب المنفعة.

٦ ـ يجب أن يكون لعملِ الإنسان هدفٌ دنيوي، أو أخروي، والأصنام لا تنفع في هذا أو ذاك، ﴿وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ۝٤﴾

إشارات:

❑ كلمة «إفك» تعني الكذب، وكلمة «زور» تعني الحديث الباطل الكاذب[1]. وقد

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة: «أفك».

ترافقت كلمة «ظلم» مع كلمة «زور» في هذا الموضع فقط من القرآن الكريم؛ لأن الكفار منعوا هداية الناس باتهامهم الرسول والكتاب السماوي بالكذب، وهذا باطل حتماً.

التعاليم:

١ ـ يُبرر الكفار كفرهم باتهام الكُتب السماوية بالكذب، ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ﴾.

٢ ـ يزدري الكافرون الكتاب، ﴿إِنْ هَٰذَآ﴾؛ ويحقرون الأنبياء، ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾.

٣ ـ لقد أقرَّ المخالفون بعظمة القرآن أيضاً، ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ﴾ على أنه نتاج تضافر الجهود.

٤ ـ من أقبح الذنوب إثارة الغوغائية عن طريق التحقير والاتهام ومنع هداية الآخرين، ﴿ظُلْمًا وَزُورًا﴾.

﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٦﴾

إشارات:

- كان الكفار ينتقدون مضمون القرآن ويأخذون عليه أنه لا يحتوي على جديد، وإنما هو أساطير قديمة ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، وكانوا يُشككون في شخص رسول الله أيضاً، ويقولون إنه استنسخ القرآن من كُتبهم ﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾، وكانوا يرون أن هناك أعواناً مجهولين يساعدون النبي ﴿تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾.
- المقصود بكتابة الأساطير هو أنهم كانوا يتهمون النبي أنَّ أشخاصاً كانوا يكتبون له ويدعون أنه كان يعرف الكتابة وينفون عنه الأمية.
- ورد في هذه الآية قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾، دون الإشارة إلى علم الله بالظاهر، فمن المُسَلم به أن من يعلم الأسرار والحقائق الخفية يدرك الحقائق الظاهرة.

التعاليم:

١ ـ تجب الأمانة في عرض أقوال المخالفين، ﴿قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾.

٢ ـ يجب الردّ على أهل اللغو والثرثرة، ﴿قُلۡ﴾.

٣ ـ جاء القرآن من العلم الذي لا نهاية له، وليس من الأساطير، ﴿أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ﴾.

٤ ـ القرآن ليس من صنع البشر، بل هو مُنزَّل من لدن العليم بأسرار العالم كلها، ﴿أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ...﴾.

٥ ـ يحتوي القرآن على أوامر وتعليمات تكتنفها الأسرار، ﴿أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ...﴾.

٦ ـ يتساوى علم الله تعالى بالحقائق الخفية والظاهرة، ﴿يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ﴾.

٧ ـ في السماوات أسرارٌ لا يدركها علم الإنسان، ﴿ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

٨ ـ باب التوبة مفتوح حتى في وجوه الكفار الذين يصفون القرآن بالأساطير والرسول بالكذاب، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾.

٩ ـ المغفرة وحدها لا تكفي، بل ينبغي أن يكون هناك أيضاً لطف من الله ورحمة، ﴿غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾.

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ٧﴾

إشارات:

❑ وجه الكفار سهام النقد إلى الرسول الأكرم ﷺ، وقالوا: لماذا يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ وتجيبهم الآية العشرون من هذه السورة بأن الرُسل السابقين جميعاً كانوا يأكلون ويمشون في الأسواق أيضاً.

التعاليم:

١ ـ يرى بعض الناس الكمال المتمثل بالحياة العادية والعيش مع الناس عيباً ونقصاً، ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾.

٢ ـ لا تتعارض الدعوة إلى الله مع ممارسة أمور الدنيا، ﴿يَأْكُلُ... يَمْشِى﴾.

٣ ـ يجب ألّا ينفصل القائد عن مجتمعه، فالذي يتعامل مع الناس ويخالطهم هو خير مَن يستطيع هدايتهم وإرشادهم، ﴿وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾.

﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾

إشارات:

- رأى الكفار في الآية السابقة أنَّ الرسول يجب ألّا تكون له احتياجات جسمانية، من أكل الطعام والذهاب إلى الأسواق والاختلاط بالناس من أجل قضاء حوائجه ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾، وما يطرحونه في هذه الآية هو أن على الرسول أن يكون مكتفياً اكتفاءً ذاتياً حتى لا يحتاج إلى التواجد في الأسواق ومخالطة الناس ﴿يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾، وهم بهذا الشكل غافلون عن أن هذا الاكتفاء أمر سلبي، إذ كيف يستطيع شخص مرفّه شاذ عن مجتمعه، أن يتحمل مشقة تزعّم الناس وقيادتهم.

التعاليم:

١ ـ ينظُر الماديون من زاوية الماديات حتى إلى الأنبياء، ﴿يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾.

٢ ـ انتقاد عمل الأنبياء ظلم، ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

٣ ـ يختلق المستكبر والمُعادي حجَّة جديدة في كل لحظة، ويستبدلها بحجَّة أخرى بمجرد أن تبطل حجّته، ﴿يَأْكُلُ... يَمْشِى... لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ... أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾.

٤ ـ يصف المُخالفون الأنبياءَ بالسحرة حيناً وبالمسحورين حيناً آخر، ﴿رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾.

﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝٩﴾

إشارات:

□ من الممكن أن يكون معنى الآية هو أنَّ أولئك الذين يمنعون الأنبياء من إرشاد الناس وهدايتهم بطرح التوقعات والحجج الواهية لن يصلوا إلى شيء، أي أنهم لن يُوفقوا في الوصول لهدفهم، وكما يقول الشاعر ما ترجمته: تُبيح عرضك وتسبّب لنا الألم والضيق.

التعاليم:

١ ـ يجب التدقيق في ذرائع العدو وانتقاداته، ﴿انظُرْ﴾.

٢ ـ يجب توضيح انحرافات المخالفين وكشفها في مقابل ما يسعون إليه لإضعاف الدعوة، ﴿ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾.

٣ ـ التشبيهات والأمثال غير المناسبة مقدّمة للانحراف، ﴿فَضَلُّوا﴾.

٤ ـ الابتعاد عن المنطق والمعجزات وكمال الرسول والسعي وراء المال والجاه والحجج والأعذار ضلال، ﴿فَضَلُّوا﴾.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ۝١٠﴾

إشارات:

□ تبيَّن في الآيات السابقة، أن الكفار كانوا يتوقعون أن يكون لرسول الإسلام العزيز كنز وبستان، وتقول هذه الآية إنه لو أراد الله تعالى لجعل للرسول جنائن كثيرة بدلاً من واحدة.

□ عن الإمام علي عليه السلام: **«لو أراد الله سبحانه بأنبيائه حيث بعثهم، أن يفتح لهم كنوز الذهبان ومعادن العقيان ومغارس الجنان وأن يحشر معهم طيور السماء ووحوش الأرضين لفعل، ولو فعل لسقط البلاء، وبطل الجزاء، واضمحلت**

الأنباء، ولما وجب للقابلين أجور المبتلين، ولا استحق المؤمنون ثواب المحسنين، ولا لزمت الأسماء معانيها، ولكن الله سبحانه جعل رسله أولي قوة في عزائمهم، وضَعَفَة في ما ترى الأعين من حالاتهم، مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنى، وخصاصة تملأ الأبصار والأسماع أذى. ولو كان الأنبياء أهل قوة لا تُرام وعزة لا تُضام ومُلك تُمد نحوه أعناق الرجال، لكان ذلك أهون على الخلق في الاعتبار، وأبعد لهم من الاستكبار، ولآمنوا عن رهبة قاهرة لهم، أو رغبة مائلة بهم، فكانت النية مشتركة، والحسنات مقتسمة. ولكن الله سبحانه أراد أن يكون الاتّباع لرسله، والتصديق بكُتبه، والخشوع لوجهه، والاستكبار لأمره، والاستسلام لطاعته، أموراً له خاصة، لا تشوبها من غيرها شائبة، وكلما كانت البلوى والاختبار أعظم كانت المثوبة والجزاء أجزل»[1].

□ كلمة «تَبارك» من «بَرَك»، التي تعني ثبت وأقام، أو من «بَرَكة» التي تعني الخير الكثير[2].

التعاليم:

١ ـ وجود الله ثابت، وهو مصدر البركات، ﴿تَبَارَكَ﴾.

٢ ـ الزهد والبساطة يليقان بالأنبياء، وحياة الترف بعيدة عن مقام الأنبياء ونهجهم في العيش، ﴿إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ﴾.

٣ ـ الفقر والغنى بيد الله، ﴿إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ﴾.

٤ ـ لا يمكن منع إرادة الله أو تأخير مشيئته، ﴿إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ﴾.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «سَعير» تعني النار الملتهبة المحرقة.

---

(١) نهج البلاغة، خطبة ١٩٢.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة: «برك».

التعاليم:

١ ـ يستمد الكفار حججهم من إنكارهم ليوم القيامة، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾، (تكذيب يوم القيامة هو أصل اختلاق الحجج عند الكفار وقولهم: لماذا لا يكون للرسول كنوز وجنان؟).

٢ ـ تكذيب المَعاد أمر خطير جداً، ﴿كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ... كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ﴾.

٣ ـ سبق أن خُلقت الجنّة والنار وتم إعدادهما من قَبل، ﴿أَعْتَدْنَا﴾.

٤ ـ يرتب الذنب الكبير عذاباً بحجمه، ﴿كَذَّبَ... سَعِيرًا﴾.

﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾

إشارات:

- كلمة «تغيّظ» تعني إظهار الغيظ وشدة الغضب، يصاحبه صخب أحياناً، أمّا كلمة «زفير» فإنها تُطلق على صوت إخراج النفَس في حالة انقباض الصدر من شدة الغم. و«مقرنين» أي مقيدين في السلاسل والأغلال. وكلمة «ثبور» تعني الدعاء بالويل والهلاك.

- إن حجم جهنّم هائل إلى حد أنها إذا سُئلت يوم القيامة: هل امتلأتِ؟ تقول: هل من مزيد؟ ﴿هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾[1]، ولكن على الرغم من كل ما لجهنم من كِبر فإنَّ العاصي له مكان ضيق، كوجود المسمار في جدار كبير. فكبر الجدار حقيقة، وضيق مكان المسمار كذلك.

وقد ورد في حديث لرسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده إنهم يُستكرهون في النار كما يُستكره الوتد في الحائط**»[2].

---

(١) سورة ق: الآية ٣٠.

(٢) مجمع البيان، مج ٧ ـ ٨، ص ٢٥٧.

❑ يعقب الغفلة عن الله في الدنيا والآخرة ضيقٌ شديد، في الدنيا: ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[1]، أي أن الله يجعل صدره ضيقاً من شدة الانقباض، ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[2]، أي أنَّ كل من يُعرض عن ذكر الله فإنَّ له في الحياة معيشة ضيِّقة شاقة. ثم في الآخرة: ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾[3]، أي أنهم يُلقون في مكان ضيق في جهنم.

وخلافاً لذلك نجد أن التوجه إلى الله والإيمان به هما أساس السِعة والانفراج في الدنيا: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[4]، أي أننا نفتح على المؤمنين أبواب البركة من السماء والأرض. وفي الآخرة كذلك: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾[5]، أي أن أبواب الجنّة تُفتح لهم عند الدخول إليها.

❑ وعن الإمام الصادق عليه السلام إن المُراد من قوله تعالى ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي من مسيرة سنة[6].

التعاليم:

١ ـ للجحيم نوع من الإدراك والوعي، ﴿رَأَتْهُم﴾.

٢ ـ المَعاد مَعاد جسماني، ﴿مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

٣ ـ أهل الجحيم يُقيدون بالأغلال والسلاسل، ﴿مُقَرَّنِينَ﴾.

٤ ـ يُقذف أهل الجحيم في النار بازدراء واحتقار. فقد قال تعالى: ﴿أُلْقُواْ﴾ ولم يقل: «أُدخِلوا».

٥ ـ يُسمع أنين أهل النار وصراخهم من مسافة بعيدة، ﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾، (تُستخدم كلمة «هنالك» للإشارة إلى المكان البعيد).

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢٥.
(٢) سورة طه: الآية ١٢٤.
(٣) سورة الفرقان: ١٣.
(٤) سورة الأعراف: الآية ٩٦.
(٥) سورة الزمر: الآية ٧٣.
(٦) مجمع البيان، مج ٧ ـ ٨، ص ٢٥٧.

﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾

التعاليم:

١ ـ ليس هناك مغيث للكفار يوم القيامة، ﴿وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾.

٢ ـ الجنّة دارٌ للخلود، ﴿جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾.

٣ ـ الوعد بالجنّة وعد مؤكد، ﴿جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾.

﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾﴾

إشارات:

□ تقع رغبات أهل الجنّة وطلباتهم في إطار من الحكمة كإرادة الله ومشيئته، أي أنه كما أن الله تعالى ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ في إطار العمل الحكيم، فإن المؤمنين أيضاً ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ في إطار الطلب الحكيم. وهذا لا يعني أن يريد المؤمنون أن يُطلق سراح أهل الجحيم، أو يريدون الوصول إلى مصاف الأنبياء؛ لأن هذا النوع من الرغبات ليس من الحكمة.

التعاليم:

١ ـ يصل الإنسان إلى كل ما يتمناه وتتحقق جميع رغباته في الجنَّة، ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾.

٢ ـ يوجد في الجنّة كل ما يشتهيه المؤمنون، ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾، لكننا نقرأ قوله تعالى حول أهل الجحيم: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾[1]، أي أن الله تعالى يضع حائلاً بين أهل النار وما يشتهون.

٣ ـ ألزم الله تعالى نفسه بوجوب تحقيق وعوده، ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾.

(١) سورة سبأ: الآية ٥٤.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾

إشارات:

❑ ذُكرت في القرآن الكريم عوامل كثيرة للضلال والانحراف ومنها:

١ ـ مرافقة صاحب السوء، ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾[(١)].

٢ ـ اتّباع الهوى والشهوات، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[(٢)].

٣ ـ انحراف العلماء، ﴿يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[(٣)]، هؤلاء يكتبون أموراً بأيديهم، ويقولون هذا مُرسل من عند الله.

٤ ـ الانقياد لأئمة الضلال، ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾[(٤)].

٥ ـ وسوسة الشيطان، ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾[(٥)]، لا شك أن الشيطان هو العدو المُضل الواضح في إضلاله.

٦ ـ احتشاد الأغلبية الضالة، ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[(٦)].

٧ ـ دور الأهل الضالين، ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[(٧)]، أي: لقد وجدنا آباءنا يعبدون الأصنام، وقد اقتدينا بهم.

❑ دوافع السؤال ليست واحدة، فقد تتنوع أهدافه:

أ ـ يكون السؤال من أجل الفهم حيناً، ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾[(٨)].

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٢٩.

(٢) سورة ص: الآية ٢٦.

(٣) سورة البقرة: الآية ٧٩.

(٤) سورة طه: الآية ٧٩.

(٥) سورة القصص: الآية ١٥.

(٦) سورة الأنعام: الآية ١١٦.

(٧) سورة الزخرف: الآية ٢٣.

(٨) سورة النحل: الآية ٤٣؛ سورة الأنبياء: الآية ٧.

ب ـ ويكون السؤال بهدف توبيخ الآخرين حيناً آخر، ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[1]، فالله تعالى يُعاتب عيسى عليه السلام في هذه الآية من أجل توبيخ أتباعه، فيسأله: هل قلت للناس اتخذوني وأمّي إلَهين من دون الله؟

ج ـ وقد يكون السؤال من أجل لوم الشخص نفسه، ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾.

التعاليم:

١ ـ يُحاسَب المشركون ومعبوداتهم أيضاً يوم القيامة، ﴿يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ...﴾.

٢ ـ توجد مخلوقات أخرى سوف تُبعث أيضاً يوم القيامة، كالأصنام والأوثان، ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾.

٣ ـ كل شيء يعقل يوم القيامة، ويُوجَّه إليه الخطاب، ﴿ءَأَنتُمْ﴾.

٤ ـ تكمن عبادة الله في فطرة البشر أجمعين، وانحرافهم عنها أمرٌ عارض، ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ... أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾، (كلمة «السبيل» تشير أيضاً إلى أنَّ الطريق المعهود هو نفسه الطريق الطبيعي والفطري).

﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾

إشارات:

☐ كلمة «بور» تعني الهلاك والفساد، ويُقال للأرض التي تخلو من الشجر والورد والنبت «بائرة»، ومن الممكن أن تكون كلمة «بور» في هذه الآية جمعاً لكلمة «بائر». ومن الممكن أيضاً أن تكون مصدراً يعني القوم الهالكين جميعاً.

(١) سورة المائدة: الآية ١١٦.

❑ تُستخدم كلمة «سبحانك» في موضعين: الأول عند التعجب، والآخر عند الاصطدام بالعقائد والأقوال المُنحرفة.

❑ عوامل النسيان والغفلة في القرآن الكريم عديدة، ومنها ما يلي:

أ ـ المال والثروة اللذان ورد ذكرهما في الآية التالية ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ﴾.

ب ـ التلهّي بالأبناء والأُسرة، ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[1].

ج ـ صرف الوقت في التجارة، ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[2].

د ـ اتّباع الشيطان وممارسة الفُرقة والقمار وشرب الخمر، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِي ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[3].

التعاليم:

١ ـ تنطق المعبودات المختلقة الزائفة وتتكلم يوم القيامة، ﴿قَالُوا۟﴾.

٢ ـ لا بدّ من تسبيح الله تعالى وتنزيهه كلما دار الحديث عن الشِرك، ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾.

٣ ـ لا يمنع الله نِعمه حتى عن المنحرفين، ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ﴾.

٤ ـ يكون المال خطراً حينما يتسبّب في نسيان الله، لكنه ليس شراً وخطراً بشكل مُطلق، ﴿مَّتَّعْتَهُمْ... حَتَّىٰ نَسُوا۟﴾.

٥ ـ تزيد احتمالات نسيان الله والقيامة أكثر في الأسر التي عاش أفرادها في البذخ والترف جيلاً بعد جيل، ﴿وَءَابَآءَهُمْ﴾.

٦ ـ عدم الاغترار بأهل البذخ وتباهيهم، فكل هؤلاء مصيرهم إلى الهلاك، ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا﴾.

---

(١) سورة المنافقون: الآية ٩.

(٢) سورة النور: الآية ٣٧.

(٣) سورة المائدة: الآية ٩١.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾

إشارات:

☐ بيَّن الله تعالى في القرآن الكريم بعض نتائج البغي والظلم، منها ما يلي:

١ ـ الفشل والخسران، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1]، أي أنَّ الله تعالى يُفشل مؤامرات الظالمين.

٢ ـ الحرمان من الفضل الإلٰهيّ، ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[2].

٣ ـ العذاب الدائم، ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾[3]، وكذلك ما ورد في الآية التي نحن بصددها ﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾.

٤ ـ عدم قبول فدية العذاب، ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾[4].

٥ ـ عدم جدوى العذر، ﴿لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ﴾[5]، ولكن الأسوأ من انعدام فائدة العذر هو عدم الإذن لهم بالاعتذار، ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[6].

التعاليم:

١ ـ المعبودات الوهميّة والأصنام ليست عوناً لكم، بل ستُخطّيء أعمالكم وتُكذبها أيضاً، ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾.

٢ ـ لا يحظى الإنسان المُشرك يوم القيامة بأي نوع من الحماية، ويعجز عن القيام بأي عمل من أجل إنقاذ نفسه، ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾.

٣ ـ المُشرك ظالم أيضاً، (تقع جملة «ومَن يظلم» في فضاء جملة «ومن يُشرك»).

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٩.
(٢) سورة هود: الآية ١٨.
(٣) سورة الشورى: الآية ٤٥.
(٤) سورة الزمر: الآية ٤٧.
(٥) سورة الروم: الآية ٥٧.
(٦) سورة المرسلات: الآية ٣٦.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾

إشارات:

□ عُرِضت ذريعة الكفار حول حياة رسول الإسلام العادية في الآية السابعة من هذه السورة، ويقول الله تعالى في هذه الآية إنَّ الأنبياء السابقين كانوا يأكلون الطعام، وأنهم كانوا مع الناس وبينهم، وكانوا يترددون على الأسواق.

التعاليم:

١ ـ إرسال الأنبياء من السُنن والتدابير الإلٰهيّة، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

٢ ـ معرفة التاريخ تنزع من أهل الحجج سلاحَهم، وتشجع الرسول الأكرم وتُؤاسيه، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ... إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾.

٣ ـ كان الأنبياء جميعاً يعيشون حياة بشرية، ﴿لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ...﴾.

٤ ـ يجب على الموجّه والمُربي أن يكون وثيق الصلة بالناس، ﴿وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾.

٥ ـ حياة الأنبياء البسيطة اختبار للناس، ﴿وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ... وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾، (نعم، لو كان الأنبياء يعيشون حياة مترفة ويمتلكون القصور والثروات لتجمع حولهم الناس حباً في الدنيا، ولما كان لهذا الإيمان قيمة. إن الأهميّة هنا في طاعة الناس لفرد عادي في ظاهره).

٦ ـ الناس أنفسهم وسيلة من وسائل فتنة بعض الناس، ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾، أحياناً يكون الإنسان ثرياً ليُرى هل يشكر أم يكفر، ويكون غيره فقيراً حيناً آخر ليُختبر، أيصبر أم يحسد صاحب الثروة على ثروته؟.

٧ ـ الصبر هو مفتاح النجاح في الاختبارات الإلٰهيّة، ﴿فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾.

٨ ـ تقوم فلسفة الاختبارات الإلٰهيّة على تربية البشر، ﴿رَبُّكَ﴾.

٩ ـ لا تتوقف معرفة الله للناس وكشفهم من خلال الاختبارات الإلٰهيّة، لأنه

سبحانه عليمٌ بكل شيء، ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾، (الاختبارات من أجل أن تتفتح خِصال الإنسان وسجاياه الداخليّة؛ لأن الثواب والعقاب يكونان على أساس ظهور هذه الخصال وبروزها).

١٠ ـ من عوامل الصبر أن يعلم الناس أنهم في رعاية الله تعالى، ﴿أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾.

الجزء ١٩

﴿۞ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا (٢١)﴾

إشارات:

- ال«عُتوّ» الخروج إلى أفحش الظلم[١].
- يُسمى يوم القيامة يوم «اللقاء» حيث تُنحى الغفلة والجهالة والموانع الأخرى جانباً في ذلك اليوم، ويرى الناس كلهم عظمة الله تعالى، ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾[٢].

التعاليم:

١ ـ إنكار المَعاد وعدم الإيمان به هو السبب في اختلاق الحجج واختلاق الأعذار أمام الأنبياء، ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا...﴾.

٢ ـ يكفي الأمل في القيامة من أجل بناء الإنسان وطاعة الله تعالى، ﴿لَا يَرْجُونَ...﴾.

٣ ـ يوم القيامة هو يوم لقاء لطفِ الله أو عذابه، (تبعاً لما أعد كل امرئٍ لنفسه)، ﴿لِقَاءَنَا﴾.

---

(١) مجمع البيان، مج ٧ ـ ٨، ص ٢٥٧.
(٢) سورة النور: الآية ٢٥.

٤ ـ كان الكفار يؤمنون بالملائكة؛ لذا اقترحوا أن تتنزل عليهم، ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾.

٥ ـ يعتبر المادّيون كلَّ شيء مادّياً، ويُريدون أن يروا الله سبحانه بأعينهم، ﴿نَرَىٰ رَبَّنَاۗ﴾.

٦ ـ مصدر طغيان الإنسان ومنبع استكباره هو طموحاته الداخليّة، ﴿ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾، (كل إناءٍ ينضح بما فيه).

٧ ـ للذنوب والطغيان درجات متصاعدة، ﴿عُتُوًّا كَبِيرًا﴾.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾

إشارات:

❑ كان الحديث في الآية السابقة عن المستكبرين الذين لم يكن لهم أمل في القيامة، وكانوا يطلبون نزول الملائكة، ويقول تعالى في هذه الاية إنَّ المَلك سوف ينزل عليهم؛ لكنه سيحمل إليهم أشد التهديدات وأصعبها بدلاً من أن يحمل إليهم النور والوحي، وذلك اليوم هو يوم موتهم كما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «**كذلك خروج نفس الكافر من عرق وعضو ومفصل وشعرة، فإذا بلغت الحلقوم ضربت الملائكة وجهه ودبره، وذلك قوله:** ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾»[1].

❑ كلمة «حجر» تعني المنع والحرمان، ويُقال للعقل «حِجر» ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ﴾[2]؛ لأن العقل هو الذي يمنع الإنسان من التأخر والتخلف، ويُقال للمنطقة التي تُقتطع منها الحجارة ويُمنع الناس من التردد عليها والسير فيها «محجورة». وبناءً على هذا، فإن قوله تعالى «حجراً محجوراً» يعني «منعاً ممنوعاً».

---

(١) بحار الأنوار، ج ٨، ص ٣١٧.

(٢) سورة الفجر: الآية ٥.

- رؤية الله مُحالة، ولكن رؤية الملائكة ممكنة بشروط، ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾، كما نقرأ في موضع آخر قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[(١)]، وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾[(٢)].

التعاليم:

١ ـ تُشاهد الملائكة بشروط، وتُرى في ظروف خاصة، ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾.

٢ ـ لا يُبَشَّر المستكبرون الذين كانوا يريدون نزول الملائكة عليهم، بأي نوع من البشارة ومن أي ناحية، ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾

إشارات:

- تُطلق كلمة «هباء» على التراب الناعم أو الغبار الدقيق، وكلمة «منثور» تعني المُفرَّق أو المُبدَّد. وقد شبَّه القرآن الكريم عمل الكفار في موضع آخر بالرماد الذي تذروه الرياح العاصفة، ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ﴾[(٣)]، وشبَّه عمل الكفار في آية أخرى بالسراب الذي يظنه الظمآن ماءً ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾[(٤)].

- وجاء في الروايات تعريفٌ لهؤلاء الذين تبطل أعمالهم، فقد قال أبو جعفر عليه السلام: «**يبعث الله عزّ وجلّ يوم القيامة قوماً بين أيديهم نور كالقباطي، ثم يقول له: (كن هباءً منثوراً)، ثم قال: أما والله يا أبا حمزة إنهم كانوا يصومون**

---

(١) سورة النحل: الآية ٣٢.
(٢) سورة غافر: الآية ٤٩.
(٣) سورة إبراهيم: الآية ١٨.
(٤) سورة النور: الآية ٣٩.

ويصلون؛ ولكن كانوا إذا عَرَض لهم شيءٌ من الحرام أخذوه، وإذا ذُكر لهم شيءٌ عن فضل أمير المؤمنين عليه السلام أنكروه»[١].

التعاليم:

١ ـ تُستحضر أعمال الإنسان يوم القيامة لمحاسبته، ﴿مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً...﴾.

٢ ـ البطلان يحيق بأعمال المجرمين كلها، ﴿مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ...﴾.

٣ ـ بطلان العمل أمام عين الإنسان حسرة من حسراته يوم القيامة، ﴿هَبَاءً﴾، فعلينا إذن ألا نطمئن إلى أعمالنا ومساعينا، فربما يُختم لنا بسوء العاقبة، وتكون أعمالنا بلا أثر.

٤ ـ دافع الإنسان ونيته هما روح العمل الذي يقوم به؛ لأن العمل الذي يفتقد إلى العقيدة والإخلاص باطل ولا طائل منه، ﴿هَبَاءً مَنْثُورًا﴾.

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾

إشارات:

- أحياناً لا تأتي كلمتا «خير» و«أحسن» بمعنى أفضل؛ لأنَّ ما يقابلهما ليس خيراً أصلاً، كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ﴾[٢]. وكلمتا «خير» و«أحسن» في هذه الآية أيضاً بمعنى حسنٌ وطيب أيضاً، وما ذُكر في الآية السابقة لم يكن خيراً حتى يكون هذا أفضل منه.
- «مَقيل» من القيلولة وهي الاستراحة في منتصف النهار، سواء كان معها نوم أم لا[٣].

التعاليم:

١ ـ التشجيع والبُشرى ضروريان بموازاة التحذير والإنذار، ﴿هَبَاءً مَنْثُورًا... خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾.

---

(١) تفسير الصافي، ج ٤، ص ١٠؛ وانظر: تفسير كنز الدقائق، عند تفسير الآية.

(٢) سورة الجمعة: الآية ١١.

(٣) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص٢٠١.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾

إشارات:

□ إن هذا اليوم شديد الصعوبة على الكافرين حيث لا تُجدي الوساطات والأعذار والأموال والأولاد والأهل والمنصب والجاه نفعاً في نجاتهم من العذاب.

□ من الممكن أن تكون كلمة «بالغمام» بمعنى «بالسُحب»، أي السماء التي تتشقق وتظهر فيها السُحُب.

التعاليم:

١ ـ كانت السماء في البداية دخاناً، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾[(١)]، وسوف تتلاشى في المستقبل أيضاً، ﴿تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ﴾.

٢ ـ السماوات هي مستقر الملائكة، ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾.

٣ ـ مُلك الله وحُكمه واقعيان وحقيقيان، وليسا اعتبارييْن أو عارضيْن أو ظالميْن، ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾.

٤ ـ القيامة هي يوم تجلّي الرحمة الإلٰهيّة، ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾

إشارات:

□ «الخذلان» هو أن يأمل الإنسان في حماية شخصٍ ما، ولكن هذا الشخص يُخيّب ظنه ويتخلى عنه.

---

(١) سورة فصلت: الآية ١١.

❑ ورد في بعض الروايات أن الذكر هو القائد الإلهي، والإضلال عن الذكر ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ يعني الضلال عن القائد الحق[١].

❑ وردت وصايا كثيرة في الإسلام حول الصداقة واختيار الصديق، فقد حثَّ هذا الدين على صداقة أفراد ونهى عن صداقة آخرين، وهذا الموضوع يحتاج إلى بحث مستقل. وفي ما يأتي بعض العناوين الفرعية في موضوع «الصديق والصداقة»:

طرق التعرف إلى الصديق، حدود الصداقة، الاستمرار فيها، قطعها، دوافعها، آداب معاشرة الأصدقاء وحقوق الصديق، وهناك آيات وأحاديث كثيرة حول كل عنوان من هذه العناوين، وسوف نُشير في ما يأتي إلى جانب منها:

ـ إنّ مُجالسة الاشرار تورث سوء الظن بالأخيار، ومُجالسة الأخيار تُلحق الأشرار بالأخيار، ومُجالسة الأبرار للفجار تُلحق الأبرار بالفجار، فمن اشتبه عليكم أمره، ولم تعرفوا دينه، فانظروا إلى خلطائه[٢].

ـ الوحدة أفضل من صديق السوء[٣].

ـ سُئل النبي ﷺ: أيُّ جلسائنا خير؟ قال: **«من ذكّرتكم بالله رؤيته وزاد في علمكم منطقُه وذكركم بالآخرة عمله»**[٤].

ـ وعن الإمام علي عليه السلام: عند زوال القدرة يتبيّن الصديق من العدوّ[٥].

ـ وعنه عليه السلام أيضاً: **«الصديق أقرب الأقارب»**[٦].

ـ وقد ورد في الحديث: **«لا تُسمي الرجل صديقاً حتى تختبره بثلاثة خصال:**

---

(١) تفسير كنز الدقائق، عند تفسير الآية.
(٢) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٩٧.
(٣) بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٧٣.
(٤) تفسير القرطبي، ج١٣، ص٢٧.
(٥) عيون الحكم، ج ٦، ص ٢٥٦.
(٦) غرر الحكم ودرر الكلم، الحكمة رقم: ٩٤٠٨.

حين تُغضبه، فتنظر غضبه، أيخرجه من حق إلى باطل؟ وحين تُسافر معه، وحتى تختبره بالدينار والدرهم»[(١)].

وقد وردت في الأشعار أيضاً أقوال كثيرة حول الصديق والصداقة، وكثرت التوصيات بحسن معاشرة الأصدقاء الطيبين ومجالستهم، كقول الشاعر ما معناه:

يجب أن يكون جليسك أفضل منك حتى يزيدك عقلاً وديناً.

وقد ذُمَّت مجالسة أصدقاء السوء، وشُبِّه الرفيق السيِّئ بالثعبان الأملس الجميل المنقوش الذي في جوفه سم قاتل، كقول شاعر آخر:

فرَّ من صاحب السوء ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، فصديق السوء أسوأ من الثعبان القبيح الذي يسلبك الروح فقط، أمّا صديق السوء فإنه يعدو على روحك ودينك.

وقد شُبِّه صديق السوء بالسحابة المُعتمة التي تُخفي ضوء الشمس على عظمتها، يقول الشاعر الإيراني:

لا تُجالس الأشرار لأن صُحبة الشرير تلوث طهارتك وتُدنسها.

والشمس رغم عظمتها قطعةٌ من السحاب تحجبها.

التعاليم:

١ ـ تظهر الحسرات الداخليّة نتيجة أعمال الإنسان وسلوكياته، ﴿يَعَضُّ ٱلظَّـالِمُ﴾

٢ ـ التخلي عن طريق الأنبياء ظلم (للنفس، وللأنبياء)، ﴿يَعَضُّ ٱلظَّـالِمُ﴾.

٣ ـ عذاب يوم القيامة شديد القسوة، ﴿يَعَضُّ ٱلظَّـالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾، (لا يعض المُشرك على إصبعه أو على يد واحدة فقط، بل يعض بأسنانه على يديه الاثنتين).

٤ ـ يستيقظ الوجدان يوم القيامة، ﴿يَعَضُّ... يَقُولُ﴾.

٥ ـ الندم دليل على اختيار الإنسان، ولو كان الإنسان مُجبراً لما كان للندم معنى، ﴿يَـٰلَيْتَنِى﴾.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٨٠.

٦ ـ الصداقات غير المشروعة تعرّض الإنسان للمخاطر ﴿يَٰلَيۡتَنِي﴾، والصديق يؤثر في مصير صديقه.

٧ ـ الإيمان وحده لا يكفي، ولابد من الاقتداء بالأنبياء ومصاحبتهم أيضاً (في حال كان المؤمن في زمنهم)، ﴿مَعَ ٱلرَّسُولِ﴾.

٨ ـ الارتباط بالأنبياء يمكن أن يكون طوق النجاة حتى لو كانت مدته قصيرة، ﴿سَبِيلٗا﴾.

٩ ـ لا يتسع القلب الواحد لمحبتين (محبة الرسول ومحبة الإنسان الضَّال)، ﴿ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ... لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا﴾.

١٠ ـ الأصدقاء المنحرفون أعوانٌ للشيطان، ﴿فُلَانًا خَلِيلٗا... وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾.

١١ ـ لا يهم اسم الإنسان وشخصه، المهم هو فعله وعمله، ﴿فُلَانًا... أَضَلَّنِي﴾.

١٢ ـ من علامات صديق السوء هي أنّه يُضل صديقه، ﴿أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ﴾.

١٣ ـ تتغلب مشاعر الصداقة على الاستدلال والمنطق أحياناً، ﴿أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ﴾.

١٤ ـ يُتم الله تعالى حجته على الناس أجمعين، ﴿بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾

إشارات:

- تتحدث هذه الآية عن شكوى رسول الإسلام ﷺ، ولكن هذا النبي لا يدعو باللعنة على قومه؛ لأنه «رحمة للعالمين».
- عن الإمام الرضا عليه السلام: إنَّ الناس أمروا بقراءة القرآن في الصلاة **«لئلا يكون القرآن مهجوراً مُضيعاً، وليكون محفوظاً فلا يضمحل ولا يُجهل»**[1].
- وجاء في الروايات أنَّ «القرآن عهدُ الله إلى خلقه، وينبغي للمسلم أن ينظر في

(١) تفسير كنز الدقائق، عند تفسير الآية.

عهده وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية». وقيل في تلاوته: «بيّنه تبياناً ولا تهذّه هذَّ الشعر ولا تنثره نثر الرمل ولكن أفرغوا قلوبكم، ولا يكن همُّ أحدكم آخر السورة». و«إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المُظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع»[١].

❑ ويطيب لي أن أنقل الآن اعترافات بعض الكبار حول هجر القرآن:

أ ـ يقول ملّا صدرا (رحمه الله) في مقدمة تفسير سورة الواقعة: طالعت كتب الحكماء كثيراً، حتى ظننت أنني أنا من أنا، ولكن بمجرد أن انفتحت بصيرتي قليلاً رأيت أنني أفتقد العلوم الحقيقيّة. وفكرت في آخر العمر أن أتدبر في القرآن الكريم وأحاديث محمد ﷺ. وتيقنت أن عملي لم يكن يقوم على أساس، لأني وقفت في الظل طوال عمري بدلاً من الوقوف في النور، واحترقت روحي في نيران الحزن واشتعل قلبي، حتى أخذت رحمة الله بيدي، وعرّفني ربي على أسرار القرآن، وشرعت في تفسيره والتدبر فيه، ودققت باب الوحي، وانفتح ذلك الباب، وأزيح الستار، ورأيت الملائكة تقول لي: «سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين»[٢].

ب ـ يقول الفيض الكاشاني (رحمه الله): صَنّفتُ الكتب وكتبتُ الرسائل، وقمت بالأبحاث والدراسات، ولكني لم أجد دواءً لآلامي وماءً يروي ظمأي في أي علم من العلوم، وخشيت على نفسي، ففررت إلى الله، وأنبت إليه، حتى هداني ربي عن طريق التعمق في القرآن والحديث[٣].

ج ـ ويأسف الإمام الخمينيّ (رحمه الله) في أحد أقواله لأنه لم يقض عمره كله في درس القرآن الكريم، ويوصي الحوزات والجامعات بأن تجعل القرآن وأبعاده المختلفة الهدف الأسمى في التخصصات كلها، مخافة أن يتحسروا في نهاية عمرهم على أيام الشباب[٤].

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ١٣.

(٢) من مقدمته لتفسير سورة الواقعة.

(٣) رسالة الإنصاف.

(٤) الإمام الخميني، صحيفه نور (صحيفة النور)، ج ٢٠، ص ٢٠.

❑ تشتمل كلمة «هجر» على الهجر بالعمل والبدن واللسان والقلب[١].

❑ يجب أن تكون العلاقة بين الإنسان والكتاب السماوي دائمة، وفي المجالات كلها، (لأن كلمة «هجر» تُستخدم حينما تكون هناك علاقة بين الإنسان وشيء ما[٢]، ثم تنقطع).

ويجب بناءً على هذا أن تكون لدينا مساعٍ شاملة كي لا نهجر القرآن، وأن نجعله المحور العلمي والعملي في أبعاد حياتنا كلها، حتى ننال رضا رسول الإسلام العزيز ﷺ.

❑ ترك الإيمان بالقرآن وترك تصديقه هجر. وترك تدبّره وتفهّمه من هجرانه، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو من هجرانه[٣].

التعاليم:

١ ـ الرسول الأكرم ﷺ واحدٌ ممن يشكون يوم القيامة، ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾

٢ ـ يُوجَّه الانتقاد إلى الذين يتركون القرآن جانباً عن علم، فقد قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوا۟...﴾، ولم يقل: «كان عندهم مهجوراً».

٣ ـ تم جمع القرآن وتدوينه في عهد الرسول الأكرم نفسه ﷺ، ولهذا فإنه يشير إليه في الخطاب، ﴿هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾.

٤ ـ هجر القرآن وشكوى الرسول ومسؤوليتنا أمور قطعية، (كلمة «قال» فعل ماض يُشير إلى حالة الحتميّة).

٥ ـ التلاوة الظاهرية لا تكفي، بل لا بدّ من إنهاء حالة الهجر، ﴿مَهْجُورًا﴾.

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة: «هجر».

(٢) التحقيق في كلمات القرآن، مادة: «هجر».

(٣) وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ج ١٩، ص ٥٥.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ٣١﴾

التعاليم:

١ ـ يدور الصراع القائم بين الحق والباطل في مدار الإرادة الإلٰهيّة، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا﴾.

٢ ـ دائماً هناك من يعارض نداء الإصلاح وقول الحق، ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا﴾.

٣ ـ يجب الالتفات إلى مشكلات الآخرين وتعزيز الثقة بالنفس، ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾.

٤ ـ يبتلى الإنسان بالذنوب أولاً، ويصبح شيئاً فشيئاً عدواً للأنبياء، ﴿عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ﴾.

٥ ـ يبتعد الإنسان عن طريق الله الحق بارتكابه الذنوب والمعاصي، ﴿مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾، (كلمة «جرم» تعني الانفصال).

٦ ـ الشدائد والخصومات والعداوات تقوّي عزيمة من يتعرض لها، ﴿جَعَلۡنَا...﴾.

٧ ـ التمسك بهداية الله ونُصرته هما السبيل الوحيد للانتصار على العدو، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا﴾.

٨ ـ يقتضي التوكل على الله تعالى في مواجهة المخالفين، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا﴾.

٩ ـ التعلّق بالله يكفي للحماية والهداية، فلم الالتفات إلى غيره؟ ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا﴾.

١٠ ـ يحتاج الأنبياء أيضاً إلى الهداية الإلٰهيّة، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا﴾.

١١ ـ يحتاج الإنسان إلى عنصرين في صراعات الحق والباطل: أولهما الهداية، وثانيهما القوة، ﴿هَادِيٗا وَنَصِيرٗا﴾.

١٢ ـ الهداية والنُصرة شأنان من شؤون ربوبيّة الله تعالى، ﴿بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾﴾

إشارات:

- كان المجادلون في الله والمنافقون يأتون في كل لحظة بحجة جديدة، فكانوا يقولون حيناً: لماذا لا يُوحى إلينا؟ ويقولون حيناً آخر: لماذا لا نرى ملاك الوحي؟ ولماذا لا يملك الرسول الثروة والقصور والذهب؟ وكانوا يقولون أيضاً: لماذا لا ينزل القرآن دفعة واحدة؟

هذا في حين أنَّ للقرآن نوعيْن من النزول: الأول هو النزول الكامل، حين نزل على قلب النبي في ليلة القدر، والثاني هو النزول التدريجي، حيث نزل في مناسبات مختلفة وعلى مدار ثلاث وعشرين سنة.

آثار نزول القرآن التدريجي وأسبابه:

١ ـ النزول التدريجي عاملٌ من عوامل الارتباط الدائم والمستمر للرسول الأكرم بمنبع الوحي، وهو عاملٌ من عوامل الثبات على الطريق، ويوضح أن الرسالة ليست شعلة مؤقّتة سرعان ما تنطفئ.

٢ ـ الدين الحي والشامل هو الذي يرتبط بالأحداث والمناسبات ارتباطاً وثيقاً، ويتعامل معها حال ظهورها وليس دفعة واحدة.

٣ ـ كان من العسير على عموم الناس أن ينفذوا الأوامر كلها ويتركوا النواهي جميعها دفعة واحدة؛ لأنّ هذا يوقعهم في العسر والحرج.

٤ ـ كل سورة أو آية في القرآن الكريم معجزة بمفردها، وبناءً على هذا فإن نزولها التدريجي يعدّ بمثابة معجزات عديدة تتنزل متتالية، وكل معجزة منها تسلي قلب الرسول في مواجهة أذى الأعداء.

٥ ـ يوجد فارق كبير بين نزول كل آية بمقتضى الحاجة التي تبرز للمسلمين ونزول كل الآيات بدون أخذ هذه الاحتياجات في الحسبان.

٦ ـ بعض الآيات تُجيب عن أسئلة الناس، لذا يجب أن يُطرح السؤال قبل أن تنزل الآية بعد ذلك بالإجابة عليه.

٧ ـ نزلت بعض الآيات والأحكام لمدة مُعينة من الزمان، ما أوجب نزول آيات أخرى ناسخة لها.

ما هو الترتيل؟

ـ وعن الرسول الأكرم ﷺ: **«يا ابن عباس إذا قرأت القرآن تُرتله ترتيلاً، قال: وما الترتيل؟ قال: بينه تبياناً ولا تنثره نثر الرمل، ولا تهذه هذَّ الشعر، فقفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب، ولا يكون همُّ أحدكم آخر السورة»**[١].

ـ وسُئل الإمام علي عليه السلام عن معنى قوله تعالى: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ فقال: هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف[٢].

ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام: **«إنَّ القرآن لا يُقرأ هذرمة (بسرعة) ولكن يُرتل ترتيلاً، فإذا مررت بآية فيها ذكر الجنَّة فقف عندها واسأل الله عزّ وجلّ الجنَّة، وإذا مررت بآية فيها ذكر النار فقف عندها وتعوذ بالله من النار»**[٣].

التعاليم:

١ ـ على القائد أن يكون له قلب مُطمئن وثابت وهادئ، ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾.

٢ ـ ثمرة التربية النبوية هي اطمئنان القلوب وليس التعليم واكتساب المعلومات فقط، ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾.

٣ ـ يجب أن يكون التعليم والتربية تدريجيين، ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾.

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾

إشارات:

□ يوجه القرآن الكريم خطابه في هذه الآية إلى رسول الله ﷺ، قائلاً إنَّ كلام

---

(١) مجمع البيان، مج ٧ ـ ٨، ص ٢٦٦.

(٢) تفسير كنز الدقائق، ومنهج الصالحين.

(٣) تفسير نمونه.

المخالفين إمَّا باطلٌ فنأتيك بالكلام الحق الذي يرد عليه، وإما حقٌ فلسوف نقول لك مِن عندنا ما هو أفضل وأشمل من حقهم هذا.

التعاليم:

١ ـ القرآن كتابٌ جامعٌ، ويُجيب عن كل الاعتراضات والانتقادات، ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ...﴾.

٢ ـ كان الأنبياء يصطدمون بالمخالفين، وكانوا يسلكون معهم مسلك الاستدلال، ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ...﴾.

٣ ـ يُدافع الله تعالى عن الأنبياء، ويأتي بالكلام الحق لمواجهة كلام الكفار الباطل، فقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ﴾، ولم يقل: «جئتَ».

٤ ـ تفتقد أقوال المخالفين وأدلتهم إلى المتانة، ﴿بِمَثَلٍ﴾.

٥ ـ لا بد للحق من أن ينتصر على الباطل، ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ... إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾.

٦ ـ يهدف الأنبياء إلى استقرار الحق، ﴿جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾.

٧ ـ يجب أن يكون الكلام منطقيّاً، وأن يصدر عن حق، ﴿جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾.

٨ ـ يستقي الرسولُ الأكرم ﷺ علمه وكلامه من عند الله تعالى، ﴿جِئْنَاكَ...﴾.

٩ ـ علينا أن نردّ على كلام الآخرين واعتراضاتهم بأحسن الأقوال، ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾.

﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾

التعاليم:

١ ـ إن ازدراء المنافقين للأنبياء هو السبب في إهانتهم وتحقيرهم يوم القيامة، ﴿يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾.

٢ ـ أضلُّ الناسِ هم أولئك الذين يختلقون المشاكل لعرقلة مسيرة الأنبياء، ﴿أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾﴾

إشارات:

❑ «تدمير» من «دمر» وهو الورود على خلاف الجريان العادي والطبيعيّ مخلاً للنظم. وهذا المعنى يلازم غالباً الدخول بغير إذن، أو الهجوم... والتدمير جعل شيء كذلك أي دامراً على خلاف النظم والجريان[1].

❑ تتفاوت أساليب الدعوة والتربية في القرآن الكريم، فيقول الله تعالى: يجب أن تذهبا إلى الضالين: ﴿ٱذْهَبَآ﴾، ويقول تعالى في موضع آخر: يجب أن تأمرهم بالحضور إليك لينكسر غرورهم. وهكذا أمر نبي الله سليمان عليه السلام ملكة سبأ فقال لها: ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾[2]، أي عليكم بالحضور إليَّ في استسلام كامل.

التعاليم:

١ ـ يجب أن يسبق الحقَّ في دعوة الآخرين الاستئناسُ بالكتاب السماوي، ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ... ٱذْهَبَآ﴾.

٢ ـ لا بدّ من أن يُحدد الله تعالى خلفاءَ الأنبياء ونوابهم أيضاً، ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ﴾.

٣ ـ ثمة حاجة إلى وجود الوزير والزميل في المسؤوليات الكبيرة، ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾.

---

(١) التحقيق في كلمات القرآن، ج ٤، ص ٢٦٤.

(٢) سورة النمل: الآية ٣١.

٤ ـ أحياناً يجتمع أنبياء متعدّدون في زمن، ولكن القائد كان واحداً، ﴿هَـٰرُونَ وَزِيرًا﴾.

٥ ـ لا بدّ أحياناً أن تُرسَلَ جماعة للدعوة حتى يُبلّغوا دين الله معاً، ﴿ٱذْهَبَآ﴾.

٦ ـ لا بدّ من إتمام الحجّة على الضالين، ﴿ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾.

٧ ـ إنكارُ الناس وعنادُهم لا يمنع فضلَ الله تعالى (يُرسل الرسول من أجل هدايتهم)، ﴿ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾.

٨ ـ تكذيب الرسول هو تكذيبٌ لله تعالى، ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾.

٩ ـ الهلاك والفناء هما النتيجة الحتميّة لتكذيب الحق، ﴿فَدَمَّرْنَـٰهُمْ﴾.

١٠ ـ تهدف رواية أحداث التاريخ وبيان مصير الكفار السابقين وهلاكهم لتحذير كفار اليوم ونهيهم عن المنكر، ﴿فَدَمَّرْنَـٰهُمْ﴾.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَـٰهُمْ وَجَعَلْنَـٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾

التعاليم:

١ ـ يُعدُّ تكذيب نبي واحد بمثابة تكذيب للأنبياء جميعاً، ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ﴾.

٢ ـ التاريخ درس للعِبرة، ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾.

٣ ـ مصير البشر في أيديهم، ﴿كَذَّبُواْ... أَغْرَقْنَـٰهُمْ﴾.

٤ ـ تكذيب الأنبياء ظلم، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ﴾.

٥ ـ تكذيب الأنبياء يليه عذاب دنيوي، ﴿أَغْرَقْنَـٰهُمْ﴾؛ كما إنَّ له عذاباً أخروياً أيضاً، ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾

إشارات:

- «قرون» جمع «قرن»، وتعني في الأصل أمة من الناس يعيش أفرادها معاً في زمن واحد، وتُطلق كلمة قرن على الأعوام من أربعين إلى مائة. وكلمة «تتبير» تعني فقدان العظمة والانتكاس، وهو ما يَجرُّ إلى الفناء والهلاك[1].

من هم أصحاب الرسّ؟

وردت في كتب التفاسير أخبارٌ كثيرة حول أصحاب الرسِّ، ومنها قولهم إنَّ أصحاب الرسِّ هم قوم شعيب، أو أنَّ الرسَّ مدينة في «اليمامة»، أو بئر في «أنطاكية»، أو أنهم يُنسبون إلى نهر «أرس»، وغير ذلك من الأقوال. ولكننا نقرأ في كتاب «عيون أخبار الرضا» أنَّ الإمام الرضا عليه السلام قد قال إن رجلاً سأل الإمام عليّاً عليه السلام عن أصحاب الرسِّ فأجابه بأنهم قومٌ غرسوا شجرة بعد طوفان نوح عليه السلام تُسمى «شاه درخت»، وكان الناس يقدسون هذه الشجرة، وأقاموا حولها اثنتا عشرة قرية، وكان اسم كل مدينة على اسم شهر من الشهور الإيرانية: فروردين، أرديبهشت، خرداد، وإلى باقي الشهور. وكان هؤلاء القوم يقيمون في كل شهر من السنة في كل قرية عيداً يجتمع إليه أهلها، وكان عيدهم في قرية إسفند عظيماً، وكان يجتمع له عدد كبير من الناس، وكانوا يحرقون شجرة من الأشجار في مراسم هذا الاحتفال، وكانوا ينخرطون في البكاء والأنين بمجرد أن يرتفع دخانها في السماء. وأرسل الله رسولاً إلى هؤلاء القوم، وأرشدهم إلى عبادة الله، ولكنهم كذَّبوه، فدعا عليهم باللعن، وقال: يا رب إن عبادك أبوا إلا تكذيبي والكفر، وغدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضر، فأيبِسْ شجرَهم أجمع، وأرِهم قدرتك وسلطانك. وأصبح القوم وقد يبس شجرهم، فقاموا بحفر بئر عميقة،

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مادتا: «تبر، وقرن».

وألقوا برسول الله في قاعها، فلقي الشهادة على هذا النحو[١].

ويقول علي عليه السلام في نهج البلاغة: «**أين أصحاب مدائن الرس الذين قتلوا الأنبياء؟**»[٢].

التعاليم:

١ ـ جرت السُنَّة الإلٰهيّة على إرسال الرُسل من أجل هداية الناس، وإهلاك من يكذبهم، ﴿كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ... وَعَادًا وَثَمُودَا...﴾.

٢ ـ أتم الله الحجَّة على الأمم كلها، ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾.

٣ ـ غضبُ الله تعالى على الكفار وتعذيبه لهم سُنَّة من السُنن الإلٰهيّة، ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾.

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾

إشارات:

❑ القرية التي أُمطرت مطر السوء هي قرية قوم لوط التي سقطت عليها أمطار من الحجارة، وكان اسم منطقتهم بحسب رواية عن الإمام الباقر عليه السلام هو «سدوم»[٣].

التعاليم:

١ ـ يمكن أن تكون الآثار القديمة وسيلة للعِبرة، ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾، (رواية التاريخ وعرض مصير الضالين وسيلة للدعوة والتربية والنهي عن المنكر).

يقول شاعر من الحكماء: الذي لم يتعلم من ماضي الزمان لن يتعلم من أي مُعلم أبداً.

---

(١) تفسير كنز الدقائق.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٨٢.

(٣) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٢٠.

٢ ـ يحولُ العصيان في مقابل الحق والإمعان في الكفر دون الوصول إلى الحق، ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ﴾.

٣ ـ الذين يمتلئ قلبهم بنور الأمل ويؤمنون بالقيامة هم وحدهم الذين يستفيدون من الحوادث والفرص، ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾

التعاليم:

١ ـ المعاند والمغرور لا يقبلان الحق، ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾.

٢ ـ السخرية من الأنبياء وازدراؤهم أسلوبٌ من أساليب الكفار الدائمة، ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ... أَهَـٰذَا ٱلَّذِى...﴾.

٣ ـ يُشكك الكفار في الرسالة عبر إنكارهم شخص الرسول، ﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ...﴾.

﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ
وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾

التعاليم:

١ ـ يعترف المشركون بتأثير أقوال رسول الإسلام عليهم، ﴿لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾.

٢ ـ يفكر الإنسان أحياناً تفكيراً معكوساً، ويظن أنَّ الهداية ضلالٌ، ﴿لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾.

٣ ـ الذين لا يؤمنون بإلَه حقّ سوف يقبلون بألوهية عدة أصنام لا تعي ولا تعقل، ﴿ءَالِهَتِنَا﴾.

٤ ـ الصبر والمقاومة لا يكون لهما قيمة في كل حين، فقد يكونان لجاجةً وعناداً، كالصبر والمقاومة في الضلال والانحراف، ﴿صَبَرْنَا﴾.

٥ ـ تجتذب أطروحاتُ الإسلام البشر، ويُحرم منها المعاندون فقط، ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾.

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾

إشارات:

❑ كانت العرب إذا هوى الرجل منهم شيئاً عبده من دون الله، فإذا رأى أحسن منه ترك الأوّل وعبد الأحسن. وعن ابن عبّاس: الهوى إله يعبد من دون الله[١].

اتّباع الهوى في القرآن والحديث:

- إنّ اتّباع الهوى هو مصدر الغفلة، ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾[٢].
- وكذلك هو مصدر الكفر، ﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾[٣].
- وهو أسوأ ضلال وانحراف، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾[٤].
- كما أنه يمنع من العدل في الحُكم، ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾[٥].
- وهو أيضاً مصدر الفساد، ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[٦].
- وأحياناً هو مصدر الأحزان.
- إنّ متّبعَ الهوى لا إيمان له وكذلك لا عقل له.
- بداية الفتن هي اتّباع الأهواء والشهوات والإتيان بالبدع.
- أهواء الإنسان وشهواته تصمّه وتعميه، وتسلبه قوة تمييز الحق من الباطل.
- أشجع الناس هو من يتغلب على أهوائه وشهواته.

---

(١) تفسير القرطبي، ج ١٣، ص ٣٥.
(٢) سورة الكهف: الآية ٢٨.
(٣) سورة طه: الآية ١٦.
(٤) سورة القصص: الآية ٥٠.
(٥) سورة ص: الآية ٢٦.
(٦) سورة المؤمنون: الآية ٧١.

- وورد عن رسول الله ﷺ أنَّ الهوى سُمي بهذا الاسم؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار[١].

التعاليم:

١ ـ اتّباع الهوى من أُسس عبادة الأصنام، ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا... ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾..

٢ ـ التدين موجود في فطرة الناس جميعاً غير أن الإنسان يقع في الخطأ حينما يلتمس الأدلة ويحاول الوصول إلى الحق، ﴿ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾.

٣ ـ ليس للأنبياء أن يجبروا أتباع الهوى على الهداية، ، ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾.

٤ ـ الإنسان مُخير، ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾.

٥ ـ يجب أن تكون التربية والإيمان بعيدة عن أي إجبار أو إكراه، ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾.

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ
إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾

إشارات:

❑ يستخدم القرآن الكريم كلمة «أكثر» عند انتقاد الكفار حتى يُفرّق بين المهتدين وغيرهم.

❑ **سؤال**: لماذا يكون الإنسان الضال أسوأ من الأنعام؟

الجواب:

١ ـ لا يستطيع الحيوان الرشد أكثر مما هو عليه؛ لكن الإنسان يستطيع ذلك، وتتوفر له مجالات الرشد وإمكانياته كاملة.

---

(١) وردت في هذا المضمون أحاديث عدّة، يمكن الاطلاع عليها في مادة «هوى» من ميزان الحكمة.

٢ ـ الحيوان ليس له عقل حتى يعرف الخير والشر، ويُميزَ الحقَّ من الباطل، لكن الإنسان الضال لا يتبع الحق والخير على الرغم من امتلاكه العقل، وتصدر منه الأعمال على أساس الشهوة.

٣ ـ يتبع الحيوان غريزة ثابتة، أمَّا الإنسان الضال فإنه يتبع مئات الأهواء والشهوات.

٤ ـ ينحرف الإنسان الضال عن الطريق، ويُبرر ضلاله وانحرافه أيضاً.

٥ ـ يألف الحيوان من يُحبه، أمَّا الإنسان الضال فإنه يكفر بالله الرحيم، ويجحده جحوداً كبيراً.

٦ ـ الحيوانات تُسبّح الله عن وعي، ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾[1]؛ أمَّا البشر الضالون فإنهم ليسوا من أهل الذكر والتسبيح، ويغفلون عن الله.

٧ ـ الحيوانات لا يحق عليها العذاب الإلٰهيّ، لكن الإنسان الضال سوف يغضب عليه الله ويعذبه.

يقول الشاعر مولانا جلال الدين الرومي ما ترجمته:

ورد في الحديث أن الله المجيد قد خلق الخلق في العالم على ثلاثة أنواع.
فريقٌ له كل العقل والعلم والجود، وهم الملائكة، ولا يعرفون غير السجود
وليس في عنصره الحرص والهوى، فهو نور مطلق يحيا بعشق الله.
وهناك فريقٌ آخر يخلو من العلم، وهو الحيوان الذي يسمن على العلف.
والفريق الثالث هو فريق الإنسان الآدمي، فنصفه ملاك ونصفه حمار.
والصنفان الأوّلان في راحة من الحرب والخراب، وهذا الإنسان في العذاب على خلافهما،
أمة صارت مستغرقة في المطلق، فألحقت بالملائكة كعيسى بن مريم
على صورة آدم لكن المضمون مضمون جبريل، خُلصٌ من الغضب والهوى والقال والقيل.
وأمةٌ أخرى ألحقت بالحمير بعد أن صاروا غضباً محضاً وشهوة مطلقة[2].

---

(١) سورة النور: الآية ٤١.
(٢) مولانا جلال الدين الرومي.

ويقول شاعر آخر ما معناه:

ابن آدم عجيبة من العجائب، فهو خليط من طينة الملائكة وطينة الحيوان فإذا ما ذهب إلى هذه يكون أفضل منها، وإذا ذهب إلى تلك صار أكثر منها انحطاطاً.

التعاليم:

١ ـ يجب أن يُنصت الإنسان إلى إرشادات الرسول الداخليّ (العقل) والرسول الخارجيّ (النبيّ) من أجل الهداية، ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾.

٢ ـ الكفر وعدم قبول دعوة الأنبياء جهالة، ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾.

٣ ـ يصبح الإنسان الذي هو خليفة الله أكثر انحطاطاً من الحيوان عندما يغضّ الطرف عن فطرته، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (٤٥) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (٤٦)﴾

إشارات:

❑ عن الإمام الباقر عليه السلام عن الظل في هذه الآية: «**الظل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس**»(١). وذلك على الرغم من أن البعض قد قال إن المراد بالظل هو ظل الليل أو ما بعد الظهر، ولكن كلام الإمام يُقبل إذا نظرنا إلى الجُملة التالية التي يقول فيها تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾.

❑ قال جلال الدين الرومي:

والآية «كيف مدَّ الظل» مصداقٌ على صورة الأولياء؛ لأنها دليل على نور شمس الله(٢).

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٢٢.

(٢) ويقول شهريار أيضاً: عرفت نفسي بعليٍّ، وبالله أقسمت على الله.

لا تذهب إلى هذا الوادي بلا سبب، وقل ما قاله الخليل: لا أحب الآفلين.

التعاليم:

١ ـ أفضل طريق لمعرفة الله بالنسبة للجميع هو التفكر في ظواهر الكون التي خُلقت على أساس الحكمة الإلٰهيّة، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

٢ ـ إنّ دوران الأرض حول نفسها ثم حول الشمس ليس من قبيل المصادفة، بل هو أمر حكيم مدبر، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾.

٣ ـ الإنسان غارقٌ في النِّعم، ولكنه لا ينظر إليها بعين الاعتبار، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾.

٤ ـ يفيد اتساع الظل وطول مدته في الرعاية والنمو والتفتح، ﴿رَبِّكَ... مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾، (لو كان النور مباشراً أو الظل دائماً لاحترقنا جميعاً أو تجمدنا).

٥ ـ على الرغم من أنَّ الله قادرٌ على أن يُحدث التغيير القوي والتحول الشديد فإنه سبحانه لا يترك سُنَّته، ﴿وَلَوْ شَآءَ﴾.

٦ ـ دوام حركة الوجود في يد الله تعالى، ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾.

٧ ـ يُمكن معرفة الظل بوجود الشمس والنور؛ لأن كل شئ يُعرف بوجود نقيضه، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾.

٨ ـ حركة الكون وما يظهر في الطبيعة من عمل الله تعالى، ﴿مَدَّ... جَعَلْنَا... قَبَضْنَٰهُ﴾.

٩ ـ كما أن خلق العالم قد تم تدريجياً وبهدوء وفي ستة مراحل فإن تغييره سوف يكون تدريجيًا أيضاً، ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾.

١٠ ـ ليس من الصعب على الله تعالى أن يقبض أي شيء أو يأخذه، ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾

إشارات:

❏ ذُكرت أشياء عدة بوصفها لباساً في القرآن الكريم، منها ما يلي:

- الليل: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾[1].
- الزوج: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[2].
- التقوى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[3].

❏ كلمة «سَبت» تعني قطع العمل وتعطيله. وتُطلق هذه الكلمة أيضاً على الاستراحة بعد السعي والمجهود[4]. أمَّا كلمة «نشور» فهي من «نَشر» التي تعني انتشار الناس وتفرقهم في النهار من أجل العمل والسعي على الرزق.

التعاليم:

١ ـ إن تعاقب الليل والنهار ليس من قبيل المصادفة، وإنما تكمن فيه أهداف وتدابير حكيمة، ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾.

٢ ـ ظاهرة الليل نعمة إلَهية أنعم الله بها على البشر، ﴿لَكُمُ﴾.

٣ ـ يتوافق النوم والصحو مع الطبيعة، ﴿ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾، وتؤثر الظلمة والسكون في إيجاد الراحة، كما يؤثر وجود النور في سعي الإنسان وحركته.

٤ ـ يُحافظ الليل على الجسم والصحة، كما يُحافظ اللباس على البدن، ﴿ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾.

٥ ـ يُعتبر تحولُ الليل والنهار والراحة في الليل والسعي في النهار علامة من علامات ربوبيّة الله تعالى، ﴿رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ... وَهُوَ ٱلَّذِى...﴾.

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٤٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٧.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٢٦.

(٤) التحقيق في كلمات القرآن، ج ٥، ص ١٧ وما بعدها، مادة: «سبت».

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾

إشارات:

- تُطلق كلمة «طَهور» على الشيء الذي يكون في غاية الطهارة، ويكون مُطهِّراً لغيره أيضاً. وكلمة «بلد» تعني الأرض، سواء قُصد بها المدينة أو القرية أو المزرعة، والدليل على ذلك ما في الآية ٥٨ من سورة الأعراف: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾، أي أنَّ الأرض الطيبة تُخرج نباتاتها بإذن ربها، ومن الواضح أن نمو النبات أمرٌ لا يختص بالمدن وإنما بالأرض الزراعية. وكلمة «أناسي» جمع «إنسي» التي هي مرادف لكلمة «إنسان».
- وصف الله تعالى كلمتي «بَلَد» و«بَلدة» بقوله «ميتاً» ولم يقل «ميتة»؛ لأن معنى الكلمتين واحد[1].
- للرياح فوائد كثيرة، منها أنها تلطف الجو، وتنقل السحب وتحركها، وتقلل الحرارة، وتُلقح النباتات.

التعاليم:

١ ـ تتحرك الرياح بإرادة الله تعالى، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾.

٢ ـ هناك أنواع مختلفة من الرياح، ويقترن بعضها بالمطر أحياناً، ﴿أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ... وَأَنزَلْنَا﴾.

٣ ـ تهطل الأمطار من السُحب بإرادة الله تعالى، ﴿أَنزَلْنَا﴾.

٤ ـ الماء طاهر في ذاته ومُطهّر لغيره أيضاً، فهو يُطهر جسم الإنسان وسواه من الأشياء، وهو أساس طهارة روح الإنسان في الوضوء والغُسل أيضاً، ﴿طَهُورًا﴾.

---

(١) تفسير القرطبي، ج ١٣، ص ٥٦.

٥ ـ حياة الإنسان ترتبط بوجود النباتات والحيوانات (جاءت حياة الأرض وسقي الحيوانات قبل شُرب الإنسان من الماء)..

٦ ـ تجري أعمال الله تعالى عن طريق الأسباب الطبيعية، ﴿أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ... وَأَنزَلْنَا... لِّنُحْـِۧيَ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾

إشارات:

□ من الممكن أن تكون كلمة «تصريف» بمعنى نقل الأمطار وانتقالها، أي أننا أرسلنا لكم الأمطار بصورة مكررة ومتفرقة، فكانت خفيفة دقيقة حيناً وغزيرة حيناً آخر، وسريعة حيناً وبطيئة حيناً آخر، وكل هذا التغيير والتنوع من أجل التذكر والشكر، (لكن واحسرتاه...)

ومن المُمكن أن يكون المقصود من جُملة «صرفناه بينهم» هو تكرار آيات القرآن الكريم وبيان الروايات المتنوّعة لها، وقد ورد هذا المعنى كثيراً في القرآن الكريم، (والله العالم).

التعاليم:

١ ـ يجب أن يكون التذكير مُكرراً ومتنوعاً، ﴿صَرَّفْنَٰهُ﴾.

٢ ـ القرآن هو كتاب الهداية، والتكرار والتذكر من لوازم الهداية، ﴿صَرَّفْنَٰهُ... لِيَذَّكَّرُوا۟﴾.

٣ ـ تذكّر النعمة شكرٌ، والغفلة عنها كفران وجحود، ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟... كُفُورًا﴾.

٤ ـ قلة هم الذين يشكرون النعمة، ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾﴾

إشارات:

□ هذه الآية تُبين بشكل من الأشكال خاتمية رسول الإسلام وشمولّية منهجه؛ لأن

الله تعالى يقول: لم يُبعث رسول إلى جوارك في أي مكان على الأرض، لأن في منهجك وشخصيتك القدرة على إدارة المجتمع كله، وليست هناك حاجة إلى رسول آخر. ولأنك تمتلك مثل هذا المقام الذي يُغلِق في وجوده ملفَّ النبوة.

التعاليم:

١ ـ الرسالة أمرٌ توقيفي، وليست بالتوافق أو الانتخاب، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا...﴾.

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾

إشارات:

- هناك مرحلتان للتعامل مع الكفار، وهما:

الأولى: عدم إطاعتهم، ﴿فَلَا تُطِعِ﴾.

الثانية: الجهاد والكفاح، ﴿وَجَٰهِدْهُم﴾.

والجهاد والكفاح أقسام عدة أيضاً: الجهاد بالسيف وهو الجهاد الأصغر، والجهاد العلمي بمنطق القرآن الكريم والرد على شبهات الأعداء، وهو الجهاد الأكبر.

التعاليم:

١ ـ مهادنة الكفار لا تجوز، ﴿فَلَا تُطِعِ﴾؛ (ارفض بحزم أي طلب من طلبات الكفار الضالة).

٢ ـ يمكن الوقوف بوجه الكافرين بالمقاومة والصلابة استناداً إلى أرضية صلبة، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا... فَلَا تُطِعِ﴾، أي أنكم منصورون حينما تتمركز القيادة في رسول من الرسل، فلا تهادنوا الأعداء.

٣ ـ لا يكفي عدم اتّباع الكفار، بل ينبغي مجاهدتهم، وأن يكون الجهاد جهاداً كبيراً شاملاً، ﴿فَلَا تُطِعِ... وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾.

٤ ـ الكفاح السلبي هو أحد أساليب الكفاح (جاهدوا الكفار بترك طاعتهم)، ﴿فَلَا تُطِعِ... وَجَٰهِدْهُم﴾.

٥ ـ القرآن الكريم هو أفضل وسيلة من أجل الجهاد العلمي والثقافي، وأقوى وسيلة من أجل مجادلة أعداء الإسلام ومحاجّتهم، ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾.

٦ ـ يسعى الأعداء للنيل من الثقافة والفكر، لذا يجب عدم التخاذل أمامهم ﴿وَجَٰهِدْهُم﴾، ويوجد دائماً طرفان للصراع.

٧ ـ الجهاد العلمي والمنطقي ضد الكفر والشِرك هو أعظم أنواع الجهاد، ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾.

﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ
وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾

إشارات:

❑ كلمة «مَرَج» تعني الخلط وإرسال كل بحر منهما في مجراه حتى يصل كل منهما إلى الآخر[1]. وكلمة «عذب» تعني السائغ الشراب. أمَّا كلمة «فرات» فإنها تُطلق على الماء الكثير الذي يميل طعمه إلى الحلاوة. ومعنى «أجاج» هو الماء الكثير المالح الذي يميل إلى المرارة.

التعاليم:

١ ـ لا يسمح بأن يختلط الماء العذب بالماء المالح على الرغم من تجاورهما، فكيف يأذن بأن يختلط الحق بالباطل والإيمان بالكفر؟ ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا... مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ...﴾.

٢ ـ لا تختلط السوائل أحدها بالآخر ولو كانت متجاورة بإرادة الله تعالى، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾.

---

(١) كما نقرأ في الآية ١٩ من سورة الرحمن: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾

إشارات:

- المقصود بالماء في هذه الآية هو مَني الإنسان، والدليل على ذلك الآية: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾[1]، والآية: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾[2].
- كلمة «نَسَب» تعني العلاقة التي تنشأ عن طريق الولادة، كعلاقة الأب بابنه والإخوة بإخوتهم. أمَّا كلمة «صِهر» فإنها تعني القريب بالزواج، والمُصاهرة هي العلاقة التي تنشأ بالزواج بين رجل وأسرة أخرى، كعلاقة العريس بأقارب زوجته، وهو ما يُسمى اصطلاحاً بالقرابة السببية.

التعاليم:

١ ـ الإنسان من الماء ﴿خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾، والحيوان أيضاً من الماء ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾[3]، وكذلك باقي الكائنات الحية، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[4].

٢ ـ خُلق البشر جميعاً من مادة واحدة ﴿خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾، ولهذا فإن الامتيازات والأولويات العرقية باطلة.

٣ ـ الإنسان مخلوقٌ عظيمٌ، ﴿بَشَرًا﴾، (التنوين للدلالة على العظمة).

٤ ـ تتكون حياة الإنسان على أساس علاقات المُصاهرة والنسب، ﴿نَسَبًا وَصِهْرًا﴾.

٥ ـ سبق الحديث في هذه الآية عن القربى بالنسب قبل المصاهرة، وذلك يُشير إلى أنَّ الأولوية لقرابة النسب، ﴿نَسَبًا وَصِهْرًا﴾.

---

(١) سورة المرسلات: الآية ٢٠.
(٢) سورة الطارق: الآية ٦.
(٣) سورة النور: الآية ٤٥.
(٤) سورة الأنبياء: الآية ٣٠.

﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ۝٥٥﴾

التعاليم:

١ ـ يكون العمل قيّماً حينما ينتج عنه جلبُ منفعة أو دفع ضرر، لذا فإنّ عبادة معبود غير الله لا قيمة لها، ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ﴾.

٢ ـ ليس للمشركين أي دليل أو منطق في عبادتهم للأوثان والأصنام، ﴿لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ﴾.

٣ ـ النفع والضرّ بيد الله تعالى وحده، وليس للآخرين شيء في ذلك، ﴿لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ﴾.

٤ ـ يعين المشركون والكفار بعضهم بعضاً، ﴿وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٥٦﴾

إشارات:

- وردت الإشارة إلى التوحيد في هذه الآية القصيرة. «أرسلنا» وإلى النبوة أيضاً «ك»، وكذلك إلى المعاد «مبشراً ونذيراً».
- ربما كانت هذه الآية من أجل مواساة الرسول ﷺ والشد من أزره، لأنَّ الحديث دار في الآية السابقة عن الكفار والمشركين ومساعدة كل واحد منهم للآخر. وهنا تقول له الآية: لا تقلق، لأنه ليس عليك غير البشارة والإنذار.

التعاليم:

١ ـ الأنبياء مسؤولون عن وظيفتهم، وليس عن نتائجها، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

٢ ـ الإنذار والبشرى يصلحان معاً في الدعوة والإرشاد، ﴿مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

٣ ـ ليس للأنبياء الحق في إجبار الناس أو السيطرة عليهم، ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

٤ ـ يحتاج الإنسان إلى الإنذار والتحذير أكثر من البشارة (كلمة «نذير» صيغة مبالغة وتدل على التأكيد)، ﴿نَذِيرًا﴾.

﴿قُلْ مَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾﴾

إشارات:

❑ يُعبّر القرآن الكريم عن أجر نبي الإسلام ﷺ بأشكال عديدة، وقد وردت آيات هذا الموضوع كلها في دعاء الندبة:

- الأجر على الله، ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾[1].
- وهو محبة أهل البيت، ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[2].
- وكذلك وضع المؤمنين على طريق الله، ﴿يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾[3].
- كما أنه مطلبٌ لمصلحة الناس، ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾[4]؛ لأن مودة القادة والزعماء المعصومين هي مفتاح الدخول على الله والسير في طريقه، والاستفادة من اختيار مثل هذا الطريق لمصلحة الناس أنفسهم، فالفائدة المادّية ليست واردة بالنسبة للرسول ﷺ.

التعاليم:

١ ـ الزعيم الناجح هو الذي يُعلن على الناس استغناءه، ﴿قُلْ مَآ أَسْئَلُكُمْ﴾.

٢ ـ يصل الإنسان إلى الإخلاص حينما لا يطلب لنفسه أجراً مادّياً أو اعتبارياً أو قولياً، ﴿مَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾.

٣ ـ الإنسان حر في اختيار طريقه وعقيدته، ﴿مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ﴾.

٤ ـ أجر الأنبياء هو أن يعبدَ الناسُ الله تعالى، ﴿إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾.

---

(١) سورة سبأ: الآية ٤٧.
(٢) سورة الشورى: الآية ٢٣.
(٣) سورة الفرقان: ٥٧.
(٤) سورة سبأ: الآية ٤٧.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ
وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾

إشارات:

- ❑ جاءت كلمة «توكل» مع مشتقاتها في القرآن الكريم سبعين مرة، والتوكل بمعنى الاعتماد على الله واتخاذه وكيلاً في جميع الأمور.
- ❑ قال الله تعالى للرسول في الآية السابقة: قل للناس: أنا لا أريد منكم أجراً، وكأني به يقول في هذه الآية: يجب على الزعماء الدينيين الذين لا ينظرون إلى أموال الناس أن يتوكلوا على الله وحده في حياتهم.
- ❑ التوكل على الله لا يعني التخلي عن السعي وترك الاجتهاد، وذلك كما قال مولانا جلال الدين الرومي:

قال الرسول بأعلى صوته: اعقل ركبة البعير وتوكل واستمع إلى ما يُقال من أنَّ الكاسب حبيب الله، ولا تجعل من التوكل سبباً لكسلك.

اذهب أيها العم وتوكل على الله مع التكسُّب، واجتهد وداوم على الكسب.

التعاليم:

١ ـ اعتماد الفاني على الفاني خطأ، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾.

٢ ـ اعتماد الضعيف على الضعيف كذلك، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى... ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

٣ ـ اعتماد الجاهل على الجاهل لا يفيد شيئاً، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى...﴾.

٤ ـ يحتاج الأنبياء أيضاً إلى الموعظة والتذكير من الله، ﴿وَتَوَكَّلْ﴾.

٥ ـ الخلود المطلق لله تعالى وحده، ﴿ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾.

٦ ـ يجب اتخاذ الله وكيلاً، فهو الحيُّ حياة أبدية، وإذا أُمهل العدو اليوم فربما يُقلع عن بهتانه ويترك الكفر، وهناك فرصة ومهلة حتى يُنتقم منه في الغد، ﴿لَا يَمُوتُ﴾.

٧ ـ يجب أن يقترن التوكل القلبي بالتسبيح والحمد العمليين، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾.

٨ ـ يعلم الله تعالى تفاصيل أعمال العباد علماً دقيقاً، ﴿بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ﴾.

٩ ـ يصنّفُ المُجرمون أيضاً من عباد الله، ﴿بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ﴾.

١٠ ـ إيمان الإنسان بأن الله تعالى مُطلع على ذنوبه وآثامه هو أفضل مؤشر على ظهور التقوى، ﴿بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ﴾.

١١ ـ إطلاع الله على ذنوب الناس، مواساةٌ وتشجيعٌ للرسول أيضاً بالإضافة إلى أنه تهديدٌ للكفار. أي لا تقلق، فنحن على علم ببهتانهم وعراقيلهم، وسوف نُحاسب الكفار المعاندين، ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾

إشارات:

□ ورد الحديث في القرآن الكريم عن خلق العالم في ستة أيام ست مرات. والمقصود بالأيام الستة قد يكون ست فترات أو مراحل أو مُدد في مقابل الأيام الستة الطبيعية. يقول جلال الدين الرومي:

«خُلق العالم بالتأني، وظهرت الأرض والأفلاك في ستة أيام
وإلا فإنه كان قادراً على خلق مائة أرض وفلك بقوله كن فيكون
وهذا التأني لتعظيمك، فاصبر وتمهل في أمورك».

□ كلمة «عرش» تعني في الثقافة الإسلاميّة مركز حكم العالم وتدبيره شؤونه، والمراد من قوله تعالى «استوى على العرش» هو السيطرة والتدبير الإلٰهيّ، والدليل على ذلك ما ورد في الآية ٣ من سورة يونس التي تقول: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ﴾

□ تمتدُّ الرحمة الإلٰهيّة لتشمل كل شيء:

١ ـ يقوم نظام تكوين العالم وخلقه على أساس الرحمة، ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ... ٱلرَّحْمَٰنُ﴾.

٢ ـ كما يقوم نظام خلق الإنسان على أساس الرحمة، ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[١].

٣ ـ ويستند كذلك النظام التشريعي والقانوني على أساس الرحمة، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[٢].

٤ ـ ويقوم نظام القيامة والحساب أيضاً على أساس الرحمة، ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾[٣].

التعاليم:

١ ـ كان خلق الكون تدريجيّاً، ﴿خَلَقَ... فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾.

٢ ـ الله هو الذي خلق الكون، وله السلطة الكاملة فيه، ﴿خَلَقَ... ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾.

٣ ـ يقوم تدبير شؤون الكون على أساس الرحمة الإلٰهيّة، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾.

٤ ـ يجب السؤال عمّن هو أهل للرحمة، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ﴾.

٥ ـ لا عيب في السؤال، بل العيب هو الجهل وعدم المعرفة، ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾.

٦ ـ لا بد من الرجوع إلى الخبير بالمعارف الإلٰهيّة، ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾﴾

إشارات:

❑ كلمة «الرحمن» ترمز إلى الرحمة الدائمة التي لا تنتهي، وهي من الصفات الخاصة بالله تعالى[٤].

---

(١) سورة هود: الآية ١١٩.

(٢) سورة الرحمن: الآيتان ١ ـ ٢.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٢.

(٤) تفسير أطيب البيان، عند تفسير الآية.

التعاليم:

١ ـ السجود هو مظهر التوحيد وروح الأديان التوحيدية، ﴿ٱسْجُدُواْ﴾، (جاء الحديث عن السجود فقط من بين كل التكاليف الأخرى).

٢ ـ يجب معرفة أسباب التعاليم عند الأمر بالمعروف، ﴿ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ﴾، (سبب سجودكم هو رحمة الله الواسعة).

٣ ـ لا يتسبّب الكفر والعناد في إفساد دعوة الأنبياء فقط، وإنما يتسبّبان في عزوف الكفار عن كلام الحق ونفورهم منه، ﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا
وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾

إشارات:

- استُخدمت كلمة «تبارك» في صيغة الماضي فقط (في الآيتين الأولى والعاشرة، وفي هذه الآية)، وكما قلنا من قبل فإنها من «بَرَك» التي تعني الثبات والصمود، أو من «بَركة» التي تعني الخير الكثير.
- الـ «بروج» في هذه الآية كما في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام الكواكب[1].
- كلمة «سراج» تعني الشمس التي تُنير إنارة ذاتية، وهو ما نراه في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[2]، ولو كان نورها من خارجها لوصفت بالمنيرة[3].

التعاليم:

١ ـ من مظاهر البركات الإلٰهيّة خلقُ النجوم والكواكب، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى...﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٢٦.
(٢) سورة نوح: الآية ١٦.
(٣) تفسير نمونه.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً
لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾

إشارات:

- كلمة «خلفة» تعني توالي شيئين يخلف أحدهما الآخر ويتعاقبان[١].
- قال رجلٌ للإمام الصادق عليه السلام: جُعلت فداك يا ابن رسول الله، ربما فاتتني صلاة الليل الشهر والشهرين والثلاثة فأقضيها بالنهار أيجوز ذلك؟ قال: «**قرة عين لك والله، قرة عين لك والله**، قالها ثلاثاً، **إن الله يقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً﴾ فهو قضاء صلاة النهار بالليل، وقضاء صلاة الليل بالنهار**»[٢].
- يرتبط تعلم التوحيد من النظام المهيمن على الكون بإرادتنا نحن، فما أكثر أولئك الذين يقضون عمرهم في دراسة ظاهرة من الظواهر، ولكنهم لا يستخلصون منها العبر لأنهم لا يملكون إرادة الاعتبار. وهذا الصنف من الناس يُشبه بائع المرايا الذي ينظر إلى المرآة باستمرار ولكنه لا يرتِّب مظهره، في حين أنه من الممكن أن يضبط أحد المارة ياقته العوجاء بنظرة واحدة يلقيها على المرآة باهتمام. لا يكفي النظر وحده إذن، وإنما لا بدّ من توفر إرادة الإصلاح أيضاً. ويمكن معرفة الرد على السؤال الذي يقول: لماذا لا يعرِف بعض العلماء في العلوم الطبيعية الله على الرغم من أنهم يقضون عمرهم في البحث في ظواهر الطبيعة؟.. لأن هؤلاء لم يُقْدِموا على البحث بهدف التعرف على الخالق. كالنجارْ الذي صنع الكثير من السلالم، لكنه ليست لديه إرادة الصعود عليها.

التعاليم:

١ ـ إرادة الإنسان ومشيئته هما خلفية وعيه ورشده، ﴿لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾.

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة: «خلف».

(٢) تفسير كنز الدقائق.

٢ ـ الإنسان مخلوق مُخيّر، ﴿لِمَنْ أَرَادَ﴾.

٣ ـ لدى الإنسان الفطرة التي تستيقظ بالتذكر، ﴿يَذَّكَّرَ﴾، (يُستخدم التذكر إذا عرف الإنسان مضمون موضوع ثم نسيه).

٤ ـ تحتاج المعرفة إلى إرادة، وكذلك العمل والشكر، (تكررت كلمة «أراد»).

٥ ـ الليل والنهار نعمة تستحق الحمد والشكر، ﴿أَرَادَ شُكُورًا﴾.

٦ ـ تزداد أهميّة ذكر الله حينما يكون على أساس من العلم والبصيرة، ﴿أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾.

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾

إشارات:

❏ ذُكرت في هذه الآيات اثنتا عشرة صفة من الصفات الخاصة بعباد الرحمن، بعضها عقائدي، وبعضها اجتماعي، وبعضها أخلاقي.

❏ ربما لا يكون المقصود بكلمة «مَشي» والحركة الهادئة على الأرض هو شكل المشية وطريقتها، وإنما يشتمل المعنى أيضاً على أسلوب الحياة المتزنة.

❏ كلمة «هون» تعني التواضع والمداراة ولين الطباع، كما أنها تعني السكينة والوقار. وقد رُوِي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**هو الرجل يمشي بسجيّته التي جبل عليها لا يتكلّف ولا يتبختر**»[1].

❏ كلمة «سلام» هنا بمعنى سلام الوداع للسفهاء الذين يلغون في القول، والتعامل المُسالم معهم. مثلما نقرأ عن نبي الله إبراهيم عليه السلام أن عمّه طرده، وقال له: ابتعد عني، فقال إبراهيم: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ﴾[2]، أي: وداعاً، وسوف أدعو الله لك بالمغفرة.

---

(١) مجمع البيان، مج ٧ ـ ٨، ص ٢٧٩.
(٢) سورة مريم: الآيتان ٤٦ ـ ٤٧.

❑ «البيات» تعني إحياء الليل.

❑ يقول الإمام علي عليه السلام في وصف المتقين: **«أمّا الليل فصافون أقدامهم»**، أي أن هؤلاء يحيون الليل بالقيام، فهم عباد في الليل وأسود في النهار[1].

التعاليم:

١ ـ أعظم تكريم للإنسان هو وسام العبودية لله، ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾؛ لأن الانتساب إلى الأبدي الذي لا نهاية له يرفع من مقام الإنسان.

٢ ـ يُشير سلوك كل إنسان إلى شخصيته، ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ... يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنًا﴾، (العباد المنتسبون إلى الله هم مظهر التواضع).

٣ ـ الإسلام هو الدين الشامل الذي يُخطط لكل شيء، حتى طريقة المشي، ﴿يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنًا﴾.

٤ ـ إيمان الإنسان واعتقاده يؤثر في سلوكه الشخصي، ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ... يَمۡشُونَ﴾.

٥ ـ التواضع هو ثمرة العبودية وأول علاماتها، ﴿هَوۡنًا﴾.

٦ ـ الإيمان هو منبع المداراة ولين الطباع عند عباد الله، وليس الخوف أو الضعف، ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ﴾.

٧ ـ الوقار واللين من أبرز صفات المؤمن، ﴿يَمۡشُونَ... هَوۡنًا﴾.

٨ ـ لا بد من التواضع لكل الناس، ﴿يَمۡشُونَ... هَوۡنًا... قَالُواْ سَلَٰمًا﴾.

٩ ـ لا يحبّذ مقابلة جهلِ الجاهلين بالمثل، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾.

١٠ ـ المداراة والحلم والصبر من صفات المؤمنين البارزة، ﴿قَالُواْ سَلَٰمًا﴾.

١١ ـ يجب أن يكون التواضع في الفعل ﴿يَمۡشُونَ... هَوۡنًا﴾، وفي القول ﴿قَالُواْ سَلَٰمًا﴾، وفي العبادة كذلك، ﴿سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾.

١٢ ـ لا يُستحسن مجادلة الجاهلين والسفهاء، ﴿قَالُواْ سَلَٰمًا﴾، (هؤلاء يقولون ما يليق بهم، فقولوا أنتم قولاً حكيماً كريماً).

---

(١) نهج البلاغة، خطبة المتّقين.

١٣ ـ أفضل أوقات العبادة هو الليل، وما بين الليل والصلاة والمناجاة علاقة وثيقة، ﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ﴾، (السكون والبُعد عن الرياء والتركيز في التفكير من بركات الليل).

١٤ ـ قيام الليل والاستمرار على العبادة والمداومة عليها من سمات العباد المُخلصين لله، (الفعل المضارع «يبيتون» يدل على الاستمرار).

١٥ ـ الإخلاص هو الذي يُكسب العبادة قيمتها، ﴿لِرَبِّهِمْ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾

إشارات:

- كلمة «غَرام» تعني في الأصل المصيبة التي لا يجد الإنسان مفرّاً منها، وترتب عليه نوعاً من الالتزام والمسؤولية، وهو ما يُعرف بالغرامة[1].
- يجب أن يكون التفكير في النجاة من النار من طريق العبادة، ومن طريق الأعمال الطيبة الأخرى أيضاً. فقد كان الإمام علي عليه السلام حينما يحبس أموالاً للوقف في سبيل الله يكتب في حجة الوقف أنه أوقف هذه الأموال حتى يأمن بها نيران الجحيم، ويبعد الله عنه نار جهنم[2].

التعاليم:

١ ـ ليس لمن يقوم الليل أن يصاب بالغرور، ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ...﴾.

٢ ـ تذكُّر المَعاد من خصائص عباد الله، ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾.

٣ ـ يخاف عباد الله من نار جهنم أكثر من طمعهم في الجنّة، ﴿يَبِيتُونَ... يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾.

(١) التحقيق في كلمات القرآن، مادة: «غرم». (٢) تفسير الصافي، ج ٢، ص ١٠٤.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾

إشارات:

❑ كلمة «قَوام» تعني الاعتدال والوسطية، أمّا كلمة «قِوام» فإنها تعني عنصر القيام وعماده.

❑ عن الإمام الرضا عليه السلام أن مقدار الإنفاق المعتدل هو المقدار المعروف في سورة البقرة: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[1]، أي على الغني أن ينفق بقدر ثروته، وعلى الفقير أن يُنفق على قدر ما يملكه، وذلك طبقاً للعرف المقبول وبما يليق بكل منهما.

❑ عن الإمام الصادق عليه السلام إن البذل والعطاء في طريق الباطل إسراف (ولو كان قليلاً) والبخل في طريق الحق إقتار[2].

❑ ونقرأ في موضع آخر من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[3]، أي لا تُمسكْ يدك عن الإنفاق وكأنك غللتها إلى عنقك بالأغلال فتكون بخيلاً، ولا تبسطها بالإسراف فتقعد ملوماً من الناس على إسرافك، ومتحسراً على تبذيرك.

❑ أخذ الإمام الصادق عليه السلام قبضة من حصى الأرض وقبضها بيده، وقال: هذا هو الإقتار (البخل) الذي ذكره الله في كتابه، ثم قبض قبضة أخرى بيده فأرخى كفه كلها حتى سقط ما فيها، ثم قال هذا هو الإسراف، ثم أخذ قبضة أخرى فأرخى بعضها وأمسك بعضها، فسقط بعض الحصى وبقي بعضه، فقال هذا هو القوام. ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[4].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣٦.

(٢) تفسير نمونه.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٢٩.

(٤) تفسير كنز الدقائق.

التعاليم:

١ ـ الإنفاق بالنسبة لعباد الرحمن تكليف ومسألة حتميّة، ﴿إِذَآ أَنفَقُواْ﴾.

٢ ـ يجب أن تكون صلاة الليل والخوف من جهنم والخوف من الله متلازمين مع تفقد شؤون المحرومين في المجتمع، ﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ... أَنفَقُواْ﴾.

٣ ـ الإنسان يملك، ولكنه مُقيد في أمور الإنفاق، ﴿لَمْ يُسْرِفُواْ﴾.

٤ ـ لا يجوز الإسراف، حتى في الإنفاق في سبيل الله، ﴿إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ﴾.

٥ ـ عباد الله المنتمون إليه بعيدون عن البخل، ﴿وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾.

٦ ـ يجب أن يكون للأمة الوسط مناهج معتدلة، ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾.

٧ ـ الاعتدال في العبادة والإنفاق قيمة من القيم، ﴿قَوَامًا﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾

إشارات:

❑ «الإثم» هو الذنب، أمّا كلمة «آثام» فتعني «أوزار»، وهي عقاب الذنب.

❑ ذُكرت في هذه الآيات الأعمال السلبية التي يبتعد عنها عباد الله بجانب أعمالهم الإيجابية.

❑ ذُكر الشرك والقتل والزنا في هذه الآية، وقد عدَّت هذه الأعمال من الكبائر في الأحاديث[١].

❑ قتل النفس من كبائر الذنوب، ولكن جُملة «إلا بالحق» تقول إن القتل ضروري بحق بعض الجُناة وفي بعض المواضع، ومنها:

١ ـ الاقتصاص من القاتل.

---

(١) تفسير كنز الدقائق، وتفسير نمونه.

٢ ـ الزنا بالمحارم.

٣ ـ زنا الكافر بالمرأة المسلمة.

٤ ـ الزاني الذي يُجبر المرأة على الزنا.

٥ ـ الزاني المحصن.

٦ ـ مُدعي النبوة.

٧ ـ سابُّ النبي ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام.

٨ ـ المسلم الساحر.

٩ ـ المفسد والمحارب.

١٠ ـ المرتد.

١١ ـ الذي يخرج على إمام الزمان العادل.

١٢ ـ المُشرك المحارب[١].

التعاليم:

١ ـ أخطر ما يدفع الإنسان إلى الذنب والمعصية هما غريزتا الغضب والشهوة، فيجب على المؤمن أن يتحكم بغرائزه، ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ... وَلَا يَزْنُونَ﴾.

٢ ـ يجيز الله تعالى قتل بعض الناس في مواضع محددة ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾؛ ولكنه لا يجيز الزنا والشرك لأي سبب وتحت أية ظروف، ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾

٣ ـ أمرُ القرآن بالبُعد عن الشِرك والزنا والقتل لم يكن على سبيل الموعظة، وإنما هو قانون يُعَاقب مَن ينتهكه عقاباً شديداً، ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾.

٤ ـ لا استثناء لأحد من العقاب الإلٰهيّ، فكل مَن يُخالِف يُعاقَب، ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾.

---

(١) كريمي جهرمي، سمات عباد الرحمن في القرآن.

﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٧٠﴾.

إشارات:

- مُضاعفة العذاب للمجرمين التي وردت في جملة «يُضاعف» لا تتعارض مع العدل الإلٰهيّ؛ لأن العذاب المُشدّد إنما يكون في ظروف يرتبط فيها الذنب بآثار مشؤومة وتبعاتٍ إضافية. فالزاني على سبيل المثال يُذنب ويدفع غيره أيضاً إلى الذنب، وما أكثر ما يأتي اللقطاء إلى المجتمع على أثر هذه الجريمة، وتكون لهم انحرافات. والأمر نفسه في قتل النفس، فالقاتل يقتل فرداً، لكنه يوغر صدور أفراد، ويهدد الشريد واليتيم والمجتمع كله. ولا يمكن المعاقبة في كل من هذين المثالين فقط. وكذلك عندما يسن أحدهم سُنَّة سيئة في المجتمع فإنه يتحمل أوزار من يعمل بهذه السُنَّة على مرِّ التاريخ.

- لما كان اتفاق العلماء والمفسرين جميعاً على أن الزّنا وحده لا يتسبّب في الخلود في الجحيم فإن الخلود والبقاء الأبدي في جهنم هو للمشركين الذين يزنون فقط. نعم، فعقيدة التمييز بين الحق والباطل ورؤية الكفر والشرك يؤثران في العقوبات.

- عن الإمام الرضا ﷺ: قيل لرسول الله ﷺ: يارسول الله هلك فلان، يعمل من الذنوب كيت وكيت، فقال رسول الله ﷺ. بل قد نجا، ولا يختم الله تعالى عمله إلا بالحُسنى، وسيمحو الله عنه السيئات، ويُبدلها له حسنات، إنه كان مرة يمر في طريق عرض له مؤمن قد انكشفت عورته وهو لا يشعر (ربما كان نائماً) فسترها عليه، ولم يخبره بها مخافة أن يخجل، ثم إن ذلك المؤمن عرفه في مهواه فقال له: أجزل الله لك الثواب، وأكرم لك المآب، ولا ناقشك الحساب. فاستجاب الله له فيه، فهذا العبد لا يُختم له إلا بخير بدعاء ذلك المؤمن. فاتصل قول رسول الله ﷺ بهذا الرجل فتاب وأناب وأقبل إلى طاعة

الله ﷺ، فلم يأت عليه سبعة أيام حتى أُغير على سرح المدينة، فوجه رسول الله ﷺ في أثرهم جماعةً وذلك الرجل أحدهم فاستشهد فيهم[١].

❑ هناك عوامل تُضاعف العقاب، وفي ما يلي بعض منها:

١ ـ يُضاعف عقاب المجرم أحياناً إذا ما كانت له شخصيّة اجتماعية، فالله تعالى يقول لنساء الرسول ﷺ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾[٢]، أي أنَّ التي تُقدم على فعل قبيح منكن يا نساء النبي يُضاعف لها العقاب.

٢ ـ والوقت كذلك يُضاعِف الذنب أحياناً، كالذنب في يوم الجمعة، فقد ورد في الأحاديث أن فعل الخيرات يوم الجمعة يُضاعَف لصاحبه الأجر، ويُضاعَف العقاب لمن يفعل الشر في هذا اليوم[٣].

٣ ـ يكون الذنب أحياناً كالمفتاح، أي أنه ينحرف بالآخرين مضافاً إلى انحراف الشخص الذي ارتكبه، ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ... يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾[٤].

التعاليم:

١ ـ عقوبات يوم القيامة كمِّية ﴿وَيَخْلُدْ﴾ وكيفية أيضاً، ﴿مُهَانًا﴾.

٢ ـ ليس هناك طريق مسدود في الإسلام، فالمذنب أمامه طريق للعودة والتوبة أيضاً، ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾.

٣ ـ يغيب الإيمان عند ارتكاب الذنب، ثم يعود عند التوبة، ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾.

٤ ـ التوبة ثورة شاملة، وليست حركة سطحية ولفظية، والعمل الصالح هو علامة التوبة الحقيقيّة، ﴿تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ﴾.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٥، ص ١٥٥.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٠.
(٣) بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٢٨٣.
(٤) سورة هود: الآيتان ١٩ ـ ٢٠.

٥ ـ التوبة والإيمان الحقيقي يُغيّران أعمال الإنسان، ويُصلحان السلوك السيّئ المرفوض، ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾.

٦ ـ يُبدل الله تعالى سيئات الإنسان إلى حسنات كما يُخرج الوردة من الطين والسماد، ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾.

﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾

التعاليم:

١ ـ التوبة الحقيقيّة هي تلك التي تقترن بالعمل الصالح، ﴿تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾.

٢ ـ التائب ضيف الله تعالى، ﴿يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾

إشارات:

- لكلمة «شَهِد» معنيان، الأول هو الحضور، والآخر هو الحصول على الخبر والاطلاع عليه. ويمكن استخلاص كلا المعنيين من هذه الآية. أي: أولئك الذين لا يحضرون مجالس السوء، ولا يشهدون على الباطل. وكلمة «زور» تعني العمل الباطل الذي يكون في قالب الحق، وقيل في كتب التفسير إنه يعني الشهادة الباطلة والكذب والغناء.
- وورد في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أن المقصود بالزور في قوله عزّ وجلّ: «﴿لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ **هو الغناء**»[1].
- ونقرأ في تفسير «مجمع البيان» أن المقصود بقوله تعالى «مروا كراماً» هو أنهم يستخدمون الكناية دون التصريح عندما يضطرون إلى ذكر شئ قبيح. وهكذا نقرأ في رواية عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: «**هم الذين إذا أرادوا ذكر الفرج كنوا عنه**». وهذا يصدق بالتأكيد على السلوك الكريم.

(١) الكافي، ج ٦، ص ٤٣٣.

□ وعن الإمام الصادق عليه السلام: **«فرض الله على السمع أن يتنزه عن الاستماع إلى ما حرم الله، وأن يُعرض عما لا يحل له مما نهى الله عزّ وجلّ عنه والإصغاء إلى ما أسخط الله»**. ثم تلا هذه الآية: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾[1].

التعاليم:

١ ـ ليس اقتراف الذنب هو الممنوع فقط، وإنما الاشتراك في جلسة الذنب ومشاهدة ما يقع فيها ممنوعان أيضاً، ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾.

٢ ـ بعض الأحيان يكون العلم والاطلاع والتواجد في المشهد لا قيمة له، ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾، (أحياناً يكون الانزواء والانعزال عن المجتمع ذا قيمة).

٣ ـ وأحياناً يكون عدم حضور مجلس الذنب وتجاهل المذنبين نوعاً من أنواع النهي عن المنكر، ﴿لَا يَشْهَدُونَ... مَرُّواْ كِرَامًا﴾.

٤ ـ المشاركة في مجالس الفساد تؤثر حتى في عباد الله الحقيقيين، ﴿لَا يَشْهَدُونَ﴾.

٥ ـ لا مبرّر لأي شكل من أشكال اللغو في الكلام والعمل والأماني، ﴿مَرُّواْ بِاللَّغْوِ﴾، (عباد الله لديهم هدف معقول ومفيد، ولا يهدرون عمرهم في الأمور التي لا طائل من ورائها).

٦ ـ العنف ليس ضرورياً دائماً في أسلوب النهي عن المنكر، ﴿لَا يَشْهَدُونَ... مَرُّواْ﴾.

٧ ـ علينا ألا ندع الفكر السيّئ يتغلغل إلى أرواحنا ويستقر فيها، ﴿مَرُّواْ كِرَامًا﴾.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾.

إشارات:

□ يجب أن يكون الإيمان مستنداً إلى العلم والبصيرة، فنحن نقرأ في القرآن

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٤٢.

الكريم قوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾[1]، أي أن المؤمنين العقلاء يتفكرون أولاً في خلق السماوات والأرض، ثم يُقرون بأن الله لم يخلقها عبثاً أو بلا جدوى. ويقول تعالى في هذه الآية إن المؤمنين لا يعبدون الله بأعين عمياء وآذان صماء.

التعاليم:

١ ـ التعبد والبصيرة من صفات عباد الرحمن، ﴿إِذَا ذُكِّرُواْ... لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾، فعباد الرحمن يسيرون على طريق الدين بوعي.

٢ ـ الإنسان مسؤول عن الزوجة والولد، وعن نسله من بعده، ويجب عليه أن يسعى ويدعو الله من أجل أن يختم له بحسنِ العاقبة، ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا﴾.

٣ ـ يجب أن نطلب العون من الله تعالى في التربية بالإضافة إلى العلم والسعي والاجتهاد، ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا...﴾.

٤ ـ الولد الصالح قرة عين لأبويه، ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾.

٥ ـ يهتم الإسلام بتكوين الأسرة واتخاذ الزوجة وإنجاب الأبناء والدعاء من أجل تحقق هذه الأمور، ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ...﴾.

٦ ـ أمنية عباد الرحمن هي الوصول إلى إدارة المجتمع، لأن القيام بدور الإمامة وزعامة المتقين أمر رفيع الشأن، ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

٧ ـ يجب عدم الاكتفاء بالحد الأدنى في الدعاء، وإنما السعي كأصحاب الهمم العالية، ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾، (إلهي! اجعلنا أئمة للمتقين في طريق الوصول إلى الكمال، لا أن نكون فقط من المتقين).

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩١.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٧٦﴾

إشارات:

❑ تُطلق كلمة «غرفة» على الحجرة التي تعلو عن سطح الأرض، وتكون على مرأى من العين.

التعاليم:

١ ـ الجنَّة تُعطى بمقابلها، وليس بالحجج والمعاذير، ﴿يُجۡزَوۡنَ... بِمَا صَبَرُواْ﴾.

٢ ـ يحتاج الإنسان إلى الصبر والمثابرة لكي يصبح من عباد الله، ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾.

﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ٧٧﴾

إشارات:

❑ كلمة «عَبأ» بمعنى وزن وثقل، وجملة ﴿مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي﴾ تعني أن الله تعالى لا يُقيم لكم وزناً ولا يعترف لكم بقيمة إلا في ظل دعائكم وعبادتكم.

❑ ولكلمة «دعاؤكم» معنيان:

أ ـ دعاؤكم إلى الله ﷻ، فهذا التضرع والدعاء سببٌ من أسباب رحمة الله لكم وعنايته بكم.

ونحن نقرأ في الحديث: «الدعاء مخ العبادة ولا يهلك مع الدعاء أحد»[١].

بعد ذلك يشكو الله تعالى الفريق المقابل ممن ليسوا من أهل الدعاء: لقد كذبتم الحق وذهبتم وراء الأصنام والأهواء والطواغيت بدلاً من التضرع والدعاء، وكذبتم بالحق فسوف ترون عقابكم.

---

(١) الكافي، ج ٤، ص ٢٢٨.

ب ـ دعوة الله للناس، لأن سُنَّة الله جرت على دعوتهم من أجل قبول الحق وإقامة الحجَّة عليهم، ولولا وجود هذه الدعوة ﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ لما كان للناس قيمة. وقبول دعوة الله هذه هو الذي يسمو بالمخلوق ويرفع من قدره، وفي حال لم يقبل دعوة الله أو كذب بها، فلا أمل في وجود الخير فيه، وسوف يعاقب على آثامه.

❑ يقول الله تعالى في موضع آخر: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، أي: لقد خلقت البشر من أجل العبادة. ويقول في هذه الآية: لولا ما كان من دعاء الإنسان لما كانت له قيمة، وبناءً على هذا فإن الدعاء هو روح العبادة ومخها كما ورد في الحديث القائل: «**الدعاء مُخ العبادة**»[2].

التعاليم:

١ ـ يتسبّب تكذيب الدين في سقوط قيمة الإنسان، ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ... فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾.

٢ ـ الدعاء وسيلة من وسائل اكتساب الأهميّة، ﴿مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ... لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾.

٣ ـ الإنسان لا شئ بدون الهداية والعبادة، ﴿مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ... لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾.

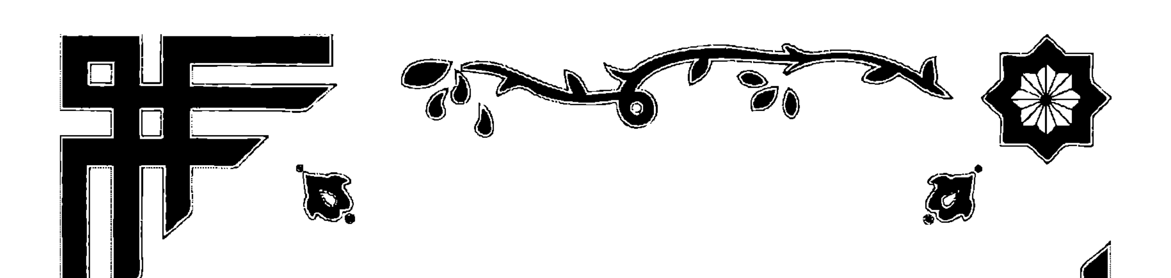
٤ ـ الدعوة إلى الحق من شؤون ربوبيّة الله تعالى، ﴿رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾.

٥ ـ المعنويات هي محور الكون ﴿مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ... لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾، لأن الكون خُلق من أجل الإنسان، المخلوق من أجل قبول الحق وعبادة الله تعالى.

٦ ـ يُكَذِّب الإنسان الأنبياءَ وأوامرهم في الحقيقة حينما يفتقر للهداية والعبادة، ﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

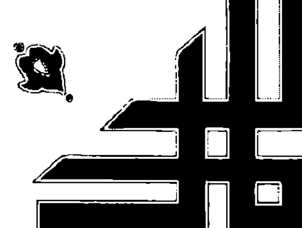
(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦. (٢) غرر الحكم ودرر الكلم.



سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

السورة: ٢٦ الجزء: ١٩

عدد الآيات: ٢٢٧

ملامح سورة الشعراء

تشتمل هذه السورة على مائتين وسبع وعشرين آية، وقد نزلت في مكة، وتحتوي أكبر عدد من الآيات بعد سورة البقرة.

سُميت هذه السورة «الشعراء» بسبب ما جاء فيها من حديث عن الشعراء في الآيات الأربع الأخيرة منها.

وقد ذُكرت في هذه السورة سِيَرُ أنبياء من قبيل موسى وإبراهيم ونوح ولوط وصالح وهود وشعيب عليهم السلام، واستعرضت السورة ردود أقوامهم ومواجهاتهم المُعاندة. ويقول الله تعالى في نهاية كل قصة من قصص هؤلاء الأنبياء: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾، ولهذا تكررت هذه الآية ثماني مرات حتى تكون مواساة للنبي وتشجيعاً له، ولتقول له: لا تقلق من عناد أهل مكة ولا تخشَهم؛ لأن الأنبياء جميعاً واجهوا أناساً كهؤلاء.

نعم، إنَّ التاريخ أفضل وسيلة من أجل تقوية روح المؤمنين ومعنوياتهم ورفع بصيرتهم وسعة صدرهم وتطلعهم للمستقبل في مواجهة تهديد الأعداء.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾

إشارات:

- هناك أقوال كثيرة قيلت بشأن الحروف المقطعة، ولعل أفضل ما قيل هو أن الله تعالى يريد بذكره هذه الحروف في بداية بعض سور القرآن الكريم (٢٩ سورة) أن يُبين للمشركين أن القرآن معجزة خالدة من جنس هذه الحروف، فإن كنتم تستطيعون فأتوا من حروف الأبجدية العربيّة هذه بكتاب مثله. وتؤيد الآية الأولى من سورة الشورى التي تأتي بعد الحروف المقطعة هذا القول: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.
- كلمة «باخع» تعني مُهلك وقاتل.

التعاليم:

١ ـ يجب أن يكون للمنهج الشامل منطق قوي وقاطع ومكتوب وواضح، بحيث يُتاح للجميع الوصول إليه، ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾.

٢ ـ للقرآن مقام عالٍ جداً، ﴿تِلْكَ﴾، (تُستخدم كلمة «تلك» للإشارة إلى البعيد، وتدل هنا على المقام العالي جداً للقرآن).

٣ ـ القرآن نبراس منيرٌ وهو يرشدكم كلما وصلتم إلى طريق مسدود، ﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾.

٤ ـ التكرار أصل من أصول التربية، (تكررت آية «تلك آيات الكتاب المبين» بعد الحروف المقطعة في بداية سور: يوسف والقصص والشعراء).

٥ ـ التأسف والتحسّر والحُرقة لا ينفعان في كل الظروف، ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ...﴾.

٦ ـ مواساة المحزونين عمل إلَهي، ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ... لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ﴾.

٧ ـ الأنبياء يجتهدون في القيام بواجبهم أكثر مما يجب عليهم، ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ﴾.

٨ ـ التحسّر صفة بارزة من صفات الأنبياء، ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ﴾، (الحُرقة دليل على عشق المنهج والأمة).

٩ ـ لا يمكن تحصيل أي نتيجة أو أثر حتى من أفضل الكتب ما لم تكن هناك أرضية للتأثير، ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾﴾

التعاليم:

١ ـ جرت سُنَّة الله وقانونه على تخيير الناس وإمهالهم، ﴿إِن نَّشَأْ﴾.

٢ ـ الاهتمام بالقدرة الإلٰهيّة وملاحظتها هو أفضل وسيلة من أجل اطمئنان الروح، ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ... إِن نَّشَأْ﴾.

٣ ـ يجب أن يكون الإيمان اختيارياً وليس إجبارياً، ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾
فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾﴾

إشارات:

❑ ذُكرت ثلاث خصال للكفار في هذه الآية، وهي: الإعراض والتكذيب والاستهزاء. نعم، إن الإنسان ينقاد إلى السقوط تدريجياً وخطوة بخطوة، عندما يتجاهل الحق في البداية ويُعرض عنه، ثم يُكذبه، وبعدئذ يسخر منه. ولكن أسوأ حالة يكون عليها الإنسان أو صفة يتصف بها هي السخرية من الحق، ولهذا يقول تعالى في هذه الآية: سوف يأتيهم في المستقبل عقاب سخريتهم هذه. ولا يقول: سيأتيهم جزاء إعراضهم وتكذيبهم.

التعاليم:

١ ـ نزل القرآن تدريجياً، ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٍ... مُّحۡدَثٍ﴾.

٢ ـ تذكير القرآن فضل من أفضال الله الدائمة، ﴿ذِكۡرٍ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾.

٣ ـ لا يُجدي أي تذكير نفعاً مع القاسية قلوبهم، ﴿مِّن ذِكۡرٍ﴾.

٤ ـ يُقيم الله الحجَّة على الكفار بتذكيرهم وفي تكرار وتجديد هذا التذكير، ﴿ذِكۡرٍ... مُّحۡدَثٍ﴾.

٥ ـ يجب على الإنسان ألّا يُعلّق قلبه بالتقاليد القديمة إلى حد أن يُكذب كل كلام جديد يسمعه، إذا كان حقّاً، ﴿ذِكۡرٍ... مُّحۡدَثٍ... عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ﴾.

٦ ـ الدين وسيلة للوعي، وليس أداة للتخدير، ﴿مِّن ذِكۡرٍ﴾.

٧ ـ يختار فريق من الناس طريق العناد مُسبقاً بدلاً من قبول الحق والإيمان به (الإعراض والبُعد عن الحق أسلوب دائم لفريق من الناس)، ﴿كَانُواْ﴾.

٨ ـ الإعراض الناشيء عن الاستكبار والتكذيب أمر خُطير، ﴿مُعۡرِضِينَ... كَذَّبُواْ﴾.

٩ ـ تجاهل أخطار المستقبل وعقوباته دليل على الغضب الإلٰهيّ، ﴿أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ﴾.

١٠ ـ أولئك الذين يسخرون من الحق وأتباعه لن يظل عملهم بلا تبعات، ﴿مَا كَانُواْ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾، (سوف يرون الرد على أعمالهم القبيحة في الدنيا أو عند الموت أو في البرزخ أو عند البعث أو يوم القيامة).

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ۝٧
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾

إشارات:

□ نجح عالم النباتات السويدي المعروف «كارل لينيوس» في اكتشاف مسألة التزاوج في بعض النباتات لأول مرة في أواسط القرن الثامن عشر الميلادي،

وقال إن الذكر والأنثى يتوفران في النبات أيضاً، وأن ذلك ضروري من أجل تلقيح الزروع والنباتات. ويُقرر القرآن قبل ذلك بزمنٍ طويل أن قانون التزاوج يشمل النباتات وغيرها أيضاً[١].

التعاليم:

١ ـ الاطلاع على مخلوقات الكون وروعته أفضل طريق لمعرفة الله تعالى، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾.

٢ ـ يوبخ القرآن الكريم أولئك الذين لا ينظرون إلى الدنيا نظرة عميقة، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾.

٣ ـ وجود الذكر والأنثى في النباتات علامة من علامات قدرة الله، ﴿أَنۢبَتْنَا... زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾.

٤ ـ توجد فوائد في النباتات كلها، رغم أنه من الممكن ألا تُكتشف فوائد بعضها بالنسبة لنا[٢]، ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾.

٥ ـ إذا لم يتوفر في الإنسان الاستعداد لقبول الحق، فإنه لن يستفيد درساً واحداً من الكون كله ولن يجد فيه عِبرة، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا... وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

٦ ـ ليست الأكثريّة العددية دليلاً على الحق في الأحيان كلها، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

٧ ـ يحظى الرسول الأكرم ﷺ برعاية خاصة من الله، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

٨ ـ إنّ رحمة الله ليست من باب العجز، فهو رحيم رغم أنه عزيز لا يُغلب، ويُمهل المخالفين لعلهم يعودوا ويتوبوا إليه، ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

---

(١) تفسير نمونه.

(٢) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ٢٤، ص ١٢٠.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾﴾

إشارات:

❑ تكرر في هذه السورة قوله تعالى: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ و﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ سبع مرات. نعم، لن يؤثر كلام الرسول في الناس إذا لم تكن هناك تقوى عند المخاطبين.

التعاليم:

١ ـ يجب عدم نسيان تاريخ الأنبياء، (كلمة «إذ» ظرف لما مضى من الزمان).

٢ ـ تتشابه أهداف الأنبياء وسيرتهم، كما أنَّ ردود فعل المخالفين لهم والمعارضين واحدة. وبناءً على هذا، فإن التعرف على تاريخهم يُمكن أن يفتح الطريق في وجه رسول الإسلام، ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ﴾.

٣ ـ إرسال الأنبياء إلى الناس شأن من شؤون الربوبيّة، ﴿نَادَىٰ رَبُّكَ﴾.

٤ ـ مواجهة الطاغوت هي من أولويات مهام الأنبياء وتدابيرهم، ﴿ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

٥ ـ يجب المبادرة أحياناً والاستعداد لاحتواء الخطر عند النهي عن المنكر، ﴿أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

٦ ـ تستند حركة الأنبياء إلى معايير مثالية، ولا تقوم على أساس العداوة والانتقام، ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

٧ ـ نسيان الله تعالى واتّباع الطاغوت أعظم أنواع الظلم، ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

٨ ـ يجب التصدي لمنابع الفساد ومصادرها عند النهي عن المنكر، ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَۚ﴾.

٩ ـ لا حول ولا قوة للطواغيت بلا عون من الناس، ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَۚ﴾.

١٠ ـ يشتد نفوذ الطواغيت مع انعدام التقوى عند الناس، ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾.

١١ ـ مهمة هداية الناس عبء ثقيل، وتحتاج إلى المدد الإلٰهيّ، ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ...﴾.

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ۝١٣ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝١٤ قَالَ كَلَّا ۖ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ۝١٥ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ۝١٧﴾

إشارات:

□ المُراد بذنب نبي الله موسى عليه السلام الذي ذُكر في الآية الرابعة عشرة هو الحادثة التي ورد ذكرها في الآية الثالثة والثلاثين من سورة القصص، وفيها أن موسى دخل مدينة قبل النبوة، ورأى فيها أحد أتباعه يقتتل مع أحد الأقباط من أعوان الفرعون، فاستنجد به تابعه، فوكز موسى القبطي بقبضة يده فلقي مصرعه.

ذاع خبر هذه الحادثة في المنطقة، فاضطر موسى إلى الفرار، وتسبّب عمله هذا بظهوره في مظهر القاتل عند الفراعنة، على الرغم من أنه لم يكن يقصد قتل القبطي وإنما أقدم على ذلك من أجل الدفاع عن المظلوم. وعندما وصل موسى إلى مقام النبوة وكُلف بالرسالة قال لربه: أخشى أن يمنعني ما كان من قتل القبطي من دعوة القوم، (يُستفاد من كلمة «كلا» أن ما قام به موسى لم يكن عن عمد، وإلا فإن الله تعالى لا يقول لمن يقتل عمداً: كلا، أنا أطمئنك بحمايتي لك).

التعاليم:

١ ـ قدرات الأفراد محدودة، حتى الأنبياء منهم (لكل إنسان قيود ولكل شيء حدود، ما خلا الله تعالى، لا تقيده قيود ولا تحده حدود)، ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾.

٢ ـ لا بدّ أن يُبيّن الإنسان نقاط ضعفه عند قبول المسؤولية، ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾.

٣ ـ الصراحة والصدق من صفات الأنبياء البارزة، ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾.

٤ ـ تحتاج الزعامة والهداية والدعوة والإرشاد إلى سعة الصدر، ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾.

٥ ـ ينبغي أن تكون الحركة جماعية أحياناً عند النهي عن المنكر والتصدي له، ﴿فَاذْهَبَا﴾.

٦ ـ يجب معالجة نقاط الضعف، وعدم التخلي عن المسؤوليات، ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ﴾، ولا يوجد ما يمنع قبول المسؤوليات الكبرى أو تكليف الآخرين بها رغم وجود نقاط الضعف والنقائص القابلة للإصلاح.

٧ ـ يقدّم أصحاب النفوس السليمة المنزهون عن الغرض على أنفسهم أصحابَ الجدارة واللياقة من أجل تحمل المسؤوليات الكبرى، ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ﴾.

٨ ـ يؤثر ماضي الأفراد في نجاحهم وتوفيقهم، ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ﴾.

٩ ـ قانون الجزاء له تاريخ قديم جداً، ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾، و(الشهادة هي أمنية الرُسل، ولعل مصدر خوفهم وقلقهم هو خشيتهم من عدم الوصول إلى أهدافهم المقدّسة).

١٠ ـ تحتاج إدارة ونشر الدعوة إلى عدة مسائل مهمة، منها: دراسة الأوضاع الاجتماعية، واستشراف المستقبل، وتمهيد البيئة المؤثرة للدعوة، ﴿أَخَافُ... وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ... فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ﴾.

١١ ـ يجب عدم الخوف في بيان الحق من قلة أنصاره، ولا من زيادة مخالفيه، ﴿فَاذْهَبَا﴾.

١٢ ـ يقبل الله تعالى الاقتراح المفيد والمناسب، ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ... فَاذْهَبَا﴾.

١٣ ـ إنّ مواساة أولئك الذين يصيبهم القلق وتشجيعهم عمل إلَهي، ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾.

١٤ ـ إنّ الله تعالى هو نصير الأنبياء وظهيرهم، ﴿إِنَّا مَعَكُم﴾.

١٥ ـ العلم الدقيق والمتجدد تباعاً ضرورة من ضروريات المسؤوليات المهمة، ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾.

١٦ ـ معجزات الرُسل هي أدواتهم في إرشاد الناس وهدايتهم، وهي الزاد الذي يحملونه إليهم، ﴿بِآيَاتِنَا﴾.

١٧ ـ الله تعالى خبير بتفاصيل أعمالنا، ﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾ وهو يوجد في كل الوجود ويحيط بكل شيء..

١٨ ـ يجب العودة إلى المصادر والمنابع من أجل مكافحة الأنظمة المؤسسية الفاسدة، ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ﴾.

١٩ ـ يجب التحلّي بالصراحة والصلابة في دعوة الآخرين إلى الحق، ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٢٠ ـ يعتبر بعث الرسول إلى الناس شأناً من شؤون ربوبيّة الله تعالى، ﴿رَسُولُ رَبِّ﴾.

٢١ ـ للكون كله نوع من الرشد والنمو، ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٢٢ ـ يخضع الكون كله لتدبير الله، ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٢٣ ـ للأنبياء جميعاً هدف واحد، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُ﴾، ولم يقل سبحانه: «إنَّا رسولا»..

٢٤ ـ يجب الرد بقول: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في مواجهة من يقول: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[1].

٢٥ ـ إذا بعث الله رسولين في فترة زمنية واحدة فإن القيادة تكون لواحد منهما، ﴿إِنَّا رَسُولُ﴾.

٢٦ ـ تحرير الناس من أسر الطواغيت هو على رأس خطط الرُسل وتدابيرهم، ﴿أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾

إشارات:

❑ شكك فرعون في نبوة موسى عليه السلام بجملتين:

---

(١) سورة النازعات: الآية ٢٤.

أ ـ أنت لدينا قاتل، والقاتل لا يكون نبيّاً.

ب ـ لقد ربيناك حتى كبرت، فكيف تكفر بنعمتنا عليك وتجحد فضلنا.

وقد بيَّنت الآيات التالية ردَّ موسى على فرعون وقومه.

التعاليم:

١ ـ المنُّ والتباهي من خصائص المستكبرين، ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا﴾.

٢ ـ الإرادة الإلٰهيّة هي التي تحفظ موسى وترعاه في كنف فرعون، ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ﴾.

٣ ـ إذا ربينا أحداً أو علمناه حرفة أو ساعدناه في أمور الزواج والمسكن وغير ذلك فلا ينبغي أن نرفض كلامه الحق لهذا السبب أو بتلك الحجَّة، ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾.

٤ ـ أولياء الله لا يغدرون، كما لا يغرّهم مسايرة نمط ومنهج البيئة أو المجتمع الذي يعيشون فيه، ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾، (لم يقل موسى: علينا أن نُحجم عن الرد قليلاً ونؤثر الصمت لأننا أكلنا على مائدة فرعون زمناً طويلاً، أو لأننا جميعاً خاضعون له الآن، أو لأنه المحور الذي يدور حوله المجتمع).

٥ ـ يجب عدم مراعاة فضل المستكبرين، فالجُحُود ليس قبيحاً عند مواجهة المستكبرين، ﴿وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠)
فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢١)﴾

إشارات:

❑ المقصود بكلمة «حُكم» في هذه الآية هو حُكم بني إسرائيل وتولي مسؤوليتهم، أو الحكمة والعلم.

❑ يرد نبي الله موسى عليه السلام في هاتين الآيتين على اعتراضات فرعون التي ذكرناها في الآية السابقة.

□ كما ذكرنا من قبل فإن النبي موسى عليه السلام ضرب أحد المخالفين له بقبضته نصرةً لأحد أتباعه فأرداه قتيلاً. ولم يكن هذا القتل عن عمد، ولم يتم بآلة قتل، بل كان حادثة غير مقصودة، وكان ردة فعل فورية ليس فيها سوء نية، ووقع هذا الحادث قبل نبوة موسى بداعي نصرة المظلوم. وبناءً على هذا فإن كلمة «ضَال» في الآية المذكورة تعني الانحراف العملي غير المقصود، وهو ما لا ينقض عصمته. أو تعني الحيرة، كما في الآية السابعة من سورة الضحى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾.

□ احتج البعض في مسجد الكوفة فقالوا: ما بال أمير المؤمنين علي عليه السلام لم ينازع الثلاثة كما نازع طلحة والزبير وعائشة ومعاوية، فبلغ ذلك علياً عليه السلام، فأمر أن يُنادى بالصلاة جامعة، فلما اجتمع الناس اعتلى المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: معاشر الناس إنه بلغني عنكم كذا وكذا، قالوا صدق أمير المؤمنين، قد قلنا ذلك. قال: فإن لي بسُنَّة الأنبياء أسوة في ما فعلت، قال الله عز وجل في كتابه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1]. قالوا ومن هم يا أمير المؤمنين؟ قال أولهم إبراهيم عليه السلام إذ قال لقومه: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[2]. فإن قلتم إن إبراهيم اعتزل قومه لغير مكروه أصابه منهم فقد كفرتم، وإن قلتم اعتزلهم لمكروه رآه منهم فالوصي أعذر. ولي بابن خالته لوط عليه السلام أسوة إذ قال لقومه: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[3]. فإن قلتم إن لوطاً كانت له بهم قوة فقد كفرتم، وإن قلتم لم يكن له قوة فالوصي أعذر. ولي بيوسف عليه السلام أسوة إذ قال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾[4]. فإن قلتم إن يوسف دعا ربه وسأله السجن لسخط ربه فقد كفرتم، وإن قلتم إنه أراد بذلك لئلا يسخط ربه عليه فاختار السجن فالوصي أعذر. ولي بموسى عليه السلام أسوة إذ قال: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾[5]. فإن قلتم إن

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢١.
(٢) سورة مريم: الآية ٤٨.
(٣) سورة هود: الآية ٨٠.
(٤) سورة يوسف: الآية ٣٣.
(٥) سورة الشعراء: الآية ٢١.

موسى فرَّ من قومه بلا خوف كان له منهم فقد كفرتم، وإن قلتم إن موسى خاف منهم فالوصي أعذر. ولي بأخيه هارون عليه السلام أسوة إذ قال لأخيه: ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِي﴾[1]. فإن قلتم لم يستضعفوه ولم يشرفوا على قتله فقد كفرتم، وإن قلتم استضعفوه وأشرفوا على قتله فلذلك سكت عنهم فالوصي أعذر». ولي بمحمد صلى الله عليه وآله أسوة حين فرَّ من قومه ولحق بالغار من خوفهم وأنامني على فراشه، فإن قلتم فرَّ من قومه لغير خوف منهم فقد كفرتم، وإن قلتم خافهم وأنامني على فراشه ولحق هو بالغار من خوفهم فالوصي أعذر[2]. وبناءً على هذا، فإن أولياء الله تعالى يُجبرون أحياناً على الصمت والانكفاء في ظروف معيّنة.

التعاليم:

١ ـ قد يكون الاعتراف بالغ القيمة في بعض الأحيان، ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ﴾.

٢ ـ الفرار من الطاغوت مُقدمة لتلقي الدعم الإلٰهيّ، ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ... فَوَهَبَ﴾.

٣ ـ يحظى الأنبياء بفضل خاص من الله تعالى، ﴿فَوَهَبَ لِي... وَجَعَلَنِي﴾.

٤ ـ النبوة تيار مستمر عبر التاريخ، وقد كان هناك أنبياء كثيرون قبل موسى عليه السلام. فتعجبُ فرعون لا محل له هنا، ﴿مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٢٢)
قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢٣)﴾

إشارات:

❏ قال موسى عليه السلام لفرعون: الأصل أن أنشأ في بيت أبي، فلماذا تستعبده وتجبرني على أن أتربى في بيتك؟ هل هذه هي النعمة التي أشكرك عليها أم أنَّ

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٠. (٢) تفسير نور الثقلين، ج ٢، ص ٢٢١.

هذا أسرٌ واستعباد؟! لقد كنتُ حزيناً لأن بني إسرائيل كانوا في الأسر على الرغم من أنني كنت أعيش في قصرك الزاخر بكل وسائل الرفاهية.

□ يُستفاد من القرآن الكريم أن فرعون كان يعرف الله في أعماق نفسه ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1]، ولكن يبدو أنه كان يعُدُّ نفسه ربّاً أعلى للناس، كالمدير الذي يتحكم في مجموعة من الأفراد، ولكنه يعرف في الوقت نفسه أنه يخضع لإمرة غيره[2].

التعاليم:

١ ـ التكبر يُزيّن قبائح صاحبه في مظهر جميل، ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾.

٢ ـ يجب الردّ على استكبار المستكبرين ومَنِّهم بقوة وصلابة، ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ...﴾.

٣ ـ يدّعي المستكبر الجهل أحياناً من أجل المحافظة على التاج والعرش، ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾﴾

إشارات:

□ يقول القرآن الكريم إن الصراع بين الأنبياء ومعارضيهم يدور على موضوع ربوبيّة الله، أي إدارة الله لشؤون خلقه وتشريعه وضرورة إطاعة أوامره، وإلا فإنَّ مخالفيهم كانوا يقبلون بأن الله هو خالق العالم. لكنهم يريدون الحفاظ على مصالحهم وإدارتها بأنفسهم.

وما كلام أولئك الذين يقولون اليوم إنَّ الدين لا علاقة له بالسياسة إلّا ككلام أولئك الذين ينادون بالفصل بين خلق العالم بإرادة الله ومشيئته، وإدارته سبحانه لهذا العالم، (الله يخلق ولا يحكم).

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١٠٢.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٦، ص ٣٧.

والقرآن والعقل يعطيان حق الربوبيّة والتكليف والطاعة لمَن يُعرف أنه الخالق وحده، وليس للآخرين. فالذي يخلق هو الذي يعلم ماهيّة القانون الذي يضعه، والتشريع الذي يُنزله، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾[1].

□ قال بعض المفسّرين إن معنى جملة ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ هو أن موسى عليه السلام قال: أنا أعرف أن سؤالكم ليس من أجل الفهم، بل من أجل التهرب، ولكن إذا كنتم تبحثون عن الحقيقة فتفكروا في نظام الكون، وسوف تفهمون حقيقة وحدانية الله تعالى.

التعاليم:

١ ـ للكون كله إلَه واحد هو، ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، (على خلاف ما اعتقده المشركون من وجود آلهة عديدة).

٢ ـ يخضع الكون كله لتدبير وإشراف وحركة متكاملة من، ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

٣ ـ لا يُمكن التعرف إلى ذات الله سبحانه، بل يجب التعرف عليه عن طريق مخلوقاته، ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، (لقد سأل فرعون عن ماهيّة الله وطبيعته، ولكن النبي موسى أجابه بالكلام عن مخلوقات الله، لأن ذات الله لا يمكن معرفتها).

٤ ـ لا يستطيع كل إنسان أن يدرك وحدة تدبير الكون كله ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾، فأهل اليقين يدركون ربوبيّة الله كلما نظروا بتعمق في خلق السماوات والأرض.

٥ ـ استخدم الطواغيت الجدل وإخفاءَ الحق وقطعَ كلام الآخرين المنطقي كوسيلة من وسائل إنكار النبوة ومواجهة الدعوة أمام الملأ، ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾، (كانت مناظرة موسى وفرعون علنية).

---

(١) سورة الملك: الآية ١٤.

٦ ـ لا تختلف ربوبيّة الله على البشر الموجودين الآن ومَن رحل منهم عن هذه الدنيا، وهي متساوية في السماء والأرض، ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ... ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ...﴾ (يتساوى تدبير الله وإشرافه وإدارته لآيات الآفاق «السماء والأرض» مع آيات الأنفس «البشر»).

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾

إشارات:

- نرى في الآية السابعة والعشرين أنَّ فرعون يستخدم أعنف الأساليب مع أقبح النعوت والصفات في حديثه عن موسى من أجل تعويض نقصه وحقارته. وهناك حروف وكلمات تُستخدم في الأدب العربي من أجل التأكيد على موضوع من الموضوعات، فكلمة «إنَّ» وحرف «اللام» في كلمة «لمجنون» والإتيان بالجملة الإسمية علامات على تأكيد الصفة المرفوضة المُلصقة به.

التعاليم:

١ ـ يتهرب الطواغيت عند مواجهة الحق ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ... قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ﴾، (يتوجّه فرعون بكلامه إلى المحيطين به كلما استدل موسى على شيء أو بيَّنه بدلاً من الرد عليه لأنه كان يخشى أن يفقد الناس).

٢ ـ لا يقبل المُستكبر الحقَّ أبداً، ويميّز نفسه عن الناس، ﴿رَسُولَكُمُ... أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ﴾، أي رسولكم أنتم لا رسولي أنا.

٣ ـ نعت الأنبياء بصفة الجنون المرفوضة من أقوى أساليب ردّ المخالفين، ﴿لَمَجْنُونٌ﴾ نعم، فمن يعجز عن الاستدلال يتجه إلى الاتهام والسب واللعن.

٤ ـ يدلُّ توافق القوانين والنظام الثابت الذي يسيطر على السماء والأرض

والمشرق والمغرب ومخلوقات الكون كلها على أنّ عالم الوجود تسيّره إدارة واحدة، ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ...﴾.

٥ ـ يجب على الداعية والمُربي ألا يكلّ من النقاش أو يمل، ويجب أن يكرر براهينه، وأن تكون لديه سعة صدر، ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ﴾، ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾.

٦ ـ لا تحرِفُ الاتهامات أولياء الله عن أهدافهم، ﴿رَسُولَكُمُ... لَمَجْنُونٌ﴾.

٧ ـ يحتاج الوصول إلى التوحيد للتبصر والتعقل (الكفر والشِرك ثمرة من ثمرات الجهالة)، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾، (تفكير الناس هو أكبر خطر يهدد المستكبرين).

٨ ـ يتحدث الأنبياء بأدب (قال فرعون لموسى عليه السلام: «لمجنون» أمَّا موسى فقال له: ستفهمون كلامي إن كنتم تعقلون)، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

٩ ـ التهديد هو السلاح الآخر للطواغيت، ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾، (يجب على الزعماء الدينيين أن يستعدوا للشدائد).

١٠ ـ يسيطر الكبتُ والقمع والعنفُ على النظام الطاغوتي، وهناك كثير من الناس يُلقون في السجون، ﴿مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾.

١١ ـ لا بدّ من ظهور المعجزات حينما لا يكون للمنطق تأثير، ﴿بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾.

١٢ ـ لا بد من الاستعداد المُسبق كشرط من شروط النجاح والانتصار على العدو، فقد كان موسى يعرف أن العصا ستتحول إلى ثعبان، وأن يدهُ سوف تبيضّ وتلمع، ولهذا قال بقوة: ﴿جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾.

١٣ ـ معجزات الأنبياء حقيقيّة، ويُدركها الناس جيداً، ﴿مُّبِينٍ﴾.

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾

إشارات:

❑ المُراد من كلمة «نَزع» هنا هو إخراج اليد من الجيب أو طوق القميص.

❑ ذكر الله تحول العصا إلى أفعى عشر مرات، وابيضاض يد موسى عليه السلام خمس مرات في القرآن.

❑ تحولت العصا حينما ألقاها موسى في المرحلة الأولى إلى ثعبان صغير، وهو ما جاء في الآية العاشرة من سورة النمل: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾، ولكنها تحولت إلى أفعى كبيرة عند مواجهة الطاغوت العاصي، وربما كان السبب في هذا هو أنه يجب أن يكون لكل حادث حديث.

التعاليم:

١ ـ لا تحتاج معجزات الأنبياء إلى تدريب لأنها ترتبط بالقدرة الإلٰهيّة، ولا يلزم أن تكون تدريجية، ﴿فَإِذَا هِىَ﴾، (أي أن العصا صارت ثعباناً فجأة).

٢ ـ يجب القيام بعمل لافت للنظر وصادم في مواجهة العُصاة المتمردين، ﴿ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾.

٣ ـ تتجلّى معجزات الأنبياء واضحة مُبينة، وليست وهماً وخيالاً، ﴿مُّبِينٌ﴾.

٤ ـ اليد البيضاء النورانية رمزٌ للصفاء والمحبة إلى جوار المعجزة المُخيفة، ﴿ثُعْبَانٌ... بَيْضَآءُ﴾.

٥ ـ يجب الاستفادة من أساليب الخوف والرجاء الصحيحة كلها كي يؤثر كلام الحق في الناس. ﴿ثُعْبَانٌ... بَيْضَآءُ﴾.

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾﴾

إشارات:

❑ تعاملَ فرعون مع موسى بأشكال عديدة من الإساءة وذلك في ما يلي:

أ ـ التحقير: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾، أي: ألم نقم بتربيتك. المنّ عليه بتربيته صغيراً.

ب ـ الاستهزاء: ﴿لَمَجْنُونٌ﴾، أي: وصمه بالجنون.

ج ـ التهديد: ﴿مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾، أي: توعده بالسجن.

د ـ الاتهام بالسحر: ﴿لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾، أي: إلصاق تهمة الشعوذة به.

هـ ـ الاتهام بالمؤامرة: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم﴾، أي: الادعاء بتنظيمه حركة شغب وتمرّد.

- لا يوجد كلام عن هارون ﷺ في الآيات المتعلقة بحوار موسى مع فرعون، وهذا لأن الموقفَ الرسمي يجب أن يُحدده القائد.
- المقصود بجملة «فماذا تأمرون» هو الأمر بالمشورة. لأنَّ المستشارين كانوا ينقلون وجهة نظرهم في صورة الأمر، كقولهم: «أرجه وأخاه»، أي أمهل موسى وأخاه ولا تُلقه في السجن.
- اتفق نبيُّ الله موسى مع فرعون في تحديد زمان مواجهته للسحرة والمكان الذي جرت فيه المواجهة، ﴿لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾.
- جرى حشدُ الناس في المكان المحدد والزمان الموعود، لأن حضورهم بكثافة سوف يتسبّبان في دفع موسى وهارون إلى الشعور بالوحدة، وهنا يقوى السحرة، وتنطلق عندها الدعاية الغوغائية.
- يقلّد الأتباع ومسلوبي الإرادة والمتملقون أسيادَهم حتى في الكلمات، فقد جاءت الجُمل من قبيل: ﴿لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ و﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ على لسان فرعون في هاتين الآيتين، ولكن هذه الكلمات وردت بعينها في الآيتين ١٠٩ و١١٠ من سورة الأعراف على لسان المحيطين بفرعون، وتطابقت مع أقواله، حتى إنها لم تُنقص منها حرفاً ولم تزد عليه.

التعاليم:

١ ـ ينشرُ الطواغيت دعاياتهم الشيطانية بتأكيد وحسم، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾، (كلمة «إنَّ» وحرف اللام والجملة الاسمية علامة على التأكيد).

٢ ـ وصف فرعون موسى ﷺ بأنه «ساحر عليم» من أجل أن يُشجع السحرة ويُحمسهم في مواجهتهم للنبيّ، ﴿لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾.

٣ ـ الكذاب ضعيف الذاكرة، فقد وصف الفراعنة موسى بالجنون تارةً،

﴿لَمَجْنُونٌ﴾، والآن يصفونه تارةً أخرى بالمشعوذ الماهر العليم بالسحر، ﴿لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾.

٤ ـ الوطنية وحُب الملكية من الغرائز البشرية، وقد جعل فرعون من هذين الأمرين حجَّة من أجل إثارة الناس ضد موسى، فقال لهم: سوف يُشردكم من بلادكم ويقضي على ما تملكون، ﴿يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾.

٥ ـ الكذب والتزوير والغوغائية من أساليب الطاغوت، (كانت كلمة «أرضكم» من أجل خداع العوام، وكلمة «بسحره» افتراء واضح).

٦ ـ يدّعي الطواغيت وهم في أوج قوتهم وسلطتهم أنَّ كل شيء مِلكٌ لهم، ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾[1]، ولكن عندما يشعرون بالخطر يدخلون الناس إلى الميدان، ﴿أَرْضِكُم﴾.

٧ ـ يحتاج الطواغيت إلى أتباعهم ويطلبون منهم الحُلول والتدابير، ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾، فالفرعون الذي يقول لموسى: سأسجنك إذا اتخذت معبوداً غيري، يحتاج اليوم إلى أنصاره وأتباعه ليشيروا عليه بما يجب فعله..

٨ ـ كان زمن فرعون زمنَ رواج السحر والشعوذة، ﴿سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾.

٩ ـ إذا كان المتخصصون غير مؤمنين فإنهم سينخرطون في خدمة الفراعنة، ﴿يَأْتُوكَ﴾.

١٠ ـ كان لتنظيم الندوات والمؤتمرات تاريخ طويل، ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾.

١١ ـ يستفيد الطواغيت من الخبراء أسوأ استفادة من أجل الوصول إلى أهدافهم، (فلماذا لا نستفيد نحن منهم أحسن استفادة؟) ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾.

١٢ ـ استخدم فرعون قوته كلها، ﴿بِكُلِّ سَحَّارٍ﴾.

١٣ ـ يؤثّر الزمان والمكان في الحركات الدعوية، ﴿يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾.

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٥١.

١٤ ـ من أساليب المستكبرين المهمة اجتذابُ الرأي العام وحضورُ الناس في ميدان الصراع، ﴿هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾.

﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾

إشارات:

- وقف موسى وهارون وحيديْن في جانب لأنهما كانا يملكان الإيمان وتطمئن نفسهما به، أمَّا فرعون فقد وقف في الجانب المقابل مع حاشيته من الأشراف والسحرة في قلق واضطراب. وهنا يتضح دور الإيمان وقوته. ويُستفاد من سؤال السحرة لفرعون: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ أن الشك كان يملأ نفوسهم. كما يتضح من تشجيع فرعون ووعده لهم بالجائزة الكبرى أن الخوف أيضاً، قد أصابه وتمكن القلق من نفسه، ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾.
- ربما كان شرط الحصول على الأجر دليلاً على ضيق أفق فرعون وبخله وخسّته، لأن الناس عادةً لا يشترطون على الأسخياء الكرماء أن يحصلوا منهم على المال أولاً، لأنهم يعلمون أنهم يأخذون في حسبانهم كل شيء بما لديهم من معرفة وسخاء على عكس الحال مع فرعون.

التعاليم:

١ ـ كان فرعون يدّعي الألوهيّة، فانكفأت ألوهيته مع معجزة موسى حيث اتّبع الجميعُ السحرة، ورأوا أن الكلمة الأولى والأخيرة هي كلمة السحرة المنتصرين، ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾.

٢ ـ لم يطمئن فرعون إلى انتصار السحرة حينما رأى معجزة موسى، ﴿إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾، («إنْ» حرف شرط، ويفيد الشك).

٣ ـ كان السحرة يُفكرون في أنفسهم، وفي الأجر الذي سيأخذونه، ولم يكن لهم

شأن بكونهم على حق أو على باطل، ﴿أَإِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾، أمّا الشِّعار الذي رفعه الأنبياء في أعمالهم كلها فكان: ﴿مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾[1]، لكن السحرة كانوا ينتظرون الأجر حتى على الحركة، ﴿لَنَا لَأَجْرًا﴾.

٤ ـ التابع الذي لا يؤمن بالله يتوق إلى مال فرعون، ﴿لَنَا لَأَجْرًا﴾، ولكن الكون كله يصغر في عينيه حينما يؤمن بالله، ويُضحّي بروحه بسهولة، وهو ما نقرأه في الآية الخمسين: ﴿لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾.

٥ ـ يُعَدُّ المقام والاعتبار أهمّ من المال أحياناً، ﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾
فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾

التعاليم:

١ ـ يؤمن رجال الله بانتصار الحق وبطلان السحر، ويتحدثون من منطلق القوة والاطمئنان، وليس من منطلق الضعف والخوف، ﴿أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾.

٢ ـ يجب إمهال المخالفين ومنحهم الفرصة حتى يسيروا في طريق العقيدة ويسعوا في سبيل تحقيق أهدافهم، ﴿أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم﴾؛ وبعدئذ الردّ عليهم بردود قوية منطقية.

٣ ـ يرتعش الكافر من داخله، ويُطلق الشعارات في الظاهر، فقد شكَّ السحرة في انتصارهم، وكانوا يقولون في الآيات السابقة: ﴿إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾، لكنهم تملقوا الفرعون وتظاهروا بالولاء له وقالوا في حضوره: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾، وكانوا يتظاهرون بالانتصار، وكانوا يمارسون ما يُعرف اصطلاحاً بالحرب النفسية، ﴿إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

(١) سورة الشعراء: الآيات ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠.

﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

إشارات:

❑ آمن السحرة على الفور بمجرد أن شاهدوا تحول العصا إلى ثعبان. وجاء في الروايات أنَّه عندما يظهر إمام الزمان عليه السلام فإن أصحاب الشأن من الشرق والغرب سوف يؤمنون به، لأنهم سوف يدركون أنَّ عظمة ما يقوم به خيرٌ مما يأتي به الآخرون.

التعاليم:

١ ـ لا يستطيع الباطل الصمود في مواجهة الحق، ﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾.

٢ ـ السحر والدجل نوع من الكذب العملي البعيد عن الحقيقة، («يأفكون» من كلمة «إفك» التي تعني الاختلاق والكذب).

٣ ـ إن من لديهم الأرضية والاستعداد لا يتهربون من مواجهة الحق، ويستسلمون له، ﴿فَأُلْقِىَ﴾.

٤ ـ يعلم الصائغ قدر الذهب، والجوهر يعرف قيمته الجواهري (عرف السحرة الذين كانوا خبراء في مجالهم المعجزة من السحر، وخروا سجداً مذعنين بعد أن وقعوا تحت تأثيرها، على الرغم من أنَّ فرعون وأتباعه كانوا حاضرين أيضاً ولم يؤمنوا)، ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ﴾.

٥ ـ يتميّز الإنسان بقدرته على تغيير موقفه الفكري في لحظة واحدة، ﴿فَأُلْقِىَ﴾.

٦ ـ السجود مظهر من مظاهر عبادة الحق والتسليم له، وكان معروفاً في التاريخ، ﴿سَٰجِدِينَ﴾.

٧ ـ يخضع الكون كله لتدبير الله في حركة تكاملية، ﴿بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٨ ـ أقرّ السحرة بأصول الدين، التوحيد: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، النبوة: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾، المَعاد: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾.

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾

إشارات:

- خرَّ السحرة إلى الأرض ساجدين بمجرد أن شهدوا معجزة موسى عليه السلام، وهنا قال لهم فرعون لكي يُضل الناس ويخدعهم: هذه مؤامرة سبق تدبيرها، فقد كنتم تلاميذاً لموسى، وقمتم بأداء هذه المسرحية من أجل إسقاطي. متجاهلاً أن السحرة كانوا متفرقين في أنحاء البلاد، وما كانوا يستطيعون الوصول إلى موسى حتى يكونوا تلاميذ له، مضافاً إلى أنهم كانوا قد أقسموا بعزة فرعون أنهم سيغلبون موسى.
- وجاء في بعض التفاسير أن فرعون قد قطع أيدي السحرة وأرجلهم وصلبهم على جذوع النخيل العالية، وأنَّ موسى عليه السلام كان يبكي عليهم.

التعاليم:

١ ـ لا يملك الناس حرّية العقيدة في النظام الطاغوتي، ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾.

٢ ـ يريد الطواغيت أن يسيطروا على كل شيء، حتى على أفكار الناس، ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾.

٣ ـ الكذاب ضعيف الذاكرة، ﴿لَمَجْنُونٌ... عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾.

٤ ـ قطع اليد والرجل من خِلاف هو أسوأ أنواع العذاب الذي يسلب الإنسان قوته وكفاءته وتوازنه، ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾.

٥ ـ يجب عدم الركون والأمان إلى الطواغيت أو الاطمئنان إليهم، فهم يريدون كل شيء لأنفسهم (فرعون الذي كان قد وعدهم قبل ساعة بأنه سيجعلهم من المُقربين، هو نفسه الذي يهددهم جميعاً الآن بالقتل)، ﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾.

٦ ـ تعتبر الشجاعة في مواجهة الطواغيت ثمرة من ثمار الإيمان بالمَعاد، ﴿لَا ضَيْرَ﴾.

٧ ـ يبشّر الإيمان بالمَعاد بأفق منير من أجل المستقبل، ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾.

٨ ـ الاستشهاد في سبيل الله ليس ضرراً أو هلاكاً، ﴿لَا ضَيْرَ﴾.

٩ ـ مَن آمن على أساس العلم والمعرفة فإن إيمانه راسخ لا يتزحزح، ﴿لَا ضَيْرَ﴾، (لقد ثبت السحرة الذين عرفوا المعجزة في مواجهة تهديدات فرعون).

١٠ ـ يصنّف السحر بأنه من الآثام، ودخوله في استخدام الفراعنة إثم أيضاً، ﴿خَطَٰيَٰنَآ﴾.

١١ ـ الطمع في المادّيات أمرٌ سلبي، لكنه إيجابي في المعنويات، ﴿نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا﴾.

١٢ ـ المغفرة شأن من شؤون ربوبيّة الله، ﴿يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا﴾.

١٣ ـ يجب أن يقترن الأمل في العفو بالتوبة الحقيقيّة والعودة إلى الله، ﴿ءَامَنَّا... نَطْمَعُ﴾.

١٤ ـ الأقدمية والسبق في الإيمان فضيلة، ﴿أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

١٥ ـ حسن العاقبة أعظم أنواع السعادة. فها هم أولئك الذين كانوا في الضلال طوال عمرهم قد تغيروا في لحظة واحدة عندما انطلقت الشرارة ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ وصاروا من أوائل المؤمنين، ﴿كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

١٦ ـ تفضح المؤامرة أصحابها ومدبريها (دعا فرعون السحرة حتى يكشفوا موسى ويفضحوه، ولكن فرعون نفسه فُضِح بإيمان هؤلاء السحرة)، ﴿كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

إشارات:

❑ ينقسم عمل النبي موسى عليه السلام إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول، وهو دعوة فرعون وإظهار المعجزة تأكيداً للدعوة.

القسم الثاني، وهو إيمان السحرة بموسى وانقلابهم إلى جانبه.

القسم الثالث، وهو تحريك الأتباع والمؤمنين وتعقّب فرعون والكفار لهم، وينتهي هذا القسم بعبور المؤمنين البحر وغرق الكفار.

❑ تتضمن كلمة «حشر» معاني الحث والدفع والجمع.

❑ مثّل بنو إسرائيل منافع بالنسبة للفراعنة، ولهذا كان فرعون يمنعهم من الهجرة، وكان النبي موسى مكلفاً بأن يخرج بهم من مصر ليلاً.

التعاليم:

١ ـ بعد رفض دلالات الدعوة النبوية يحلّ تباعاً العذاب الإلٰهيّ الذي يبدأ بإصدار الأمر لموسى بإخراج بني إسرائيل، وينتهي بغرق الفراعنة وهلاكهم بعد أن تعقبوا موسى ومن معه، ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ﴾.

٢ ـ تجري تحركات الأنبياء كلها وتصرفاتهم عن طريق الوحي، حتى في وقت الهجرة، ﴿أَوْحَيْنَآ...﴾.

٣ ـ يجب الاستفادة من حلول الليل في مواجهة الفرعون والنضال ضده، ﴿أَسْرِ﴾.

٤ ـ يجب إصلاح المجتمع الفاسد أو الانفصال عنه والهجرة، ﴿أَسْرِ﴾ في حالة اليأس من الإصلاح.

٥ ـ لا يقتصر دور الأنبياء على النصح والموعظة فقط، بل يتولون المسؤولية والتحرك إضافة لأعمالهم الأخرى، ﴿أَسْرِ بِعِبَادِىٓ﴾.

٦ ـ الهجرة من المجتمع الفاسد مرحلة من مراحل النهي عن المنكر، ﴿أَسْرِ بِعِبَادِيٓ﴾.

٧ ـ لا بدّ يُنجي الله تعالى عباده من الهلاك، ﴿أَسْرِ بِعِبَادِيٓ﴾.

٨ ـ يعمل الطواغيت على نشر الشائعات والدعايات السلبية في المدن، ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾

إشارات:

- كلمة «شرذمة» تعني طائفة قليلة العدد انفصلت عن المجموعة الأصلية الكبيرة، وقد وصف فرعون مخالفيه في دعايته بالطائفة القليلة، لكن قيل في كتب التفاسير عن ابن عباس[1] إن الذين تحركوا مع موسى عليه السلام كانوا في حدود ٦٠٠٠٠٠ فرد، ومع ذلك يقول فرعون عن هذا العدد الكبير من الناس: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾.
- «حاذرون» من «حذر» التي تعني وسيلة الدفاع، وبناءً على هذا فإن قول فرعون «إنَّا لجميع حاذرون» يعني أننا جميعاً جاهزون ومسلحون من أجل الانتقام.
- كان الفراعنة يرون أنفسهم جماعة كبيرة في دعاياتهم ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾، وكانوا يصفون بني إسرائيل بالقلة ﴿قَلِيلُونَ﴾. وكانوا يقولون: سرعان ما نسحقهم ونقتلع شأفتهم، غافلين عن أن تضامنهم قد وصل إلى حد أنهم جميعاً قد هاجروا ليلاً بإشارة واحدة من موسى عليه السلام وطاعةً لأمره.

التعاليم:

١ ـ يستصغر الطواغيت الحركات الشعبيّة ويرون أن لا قيمة لها، ﴿لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾.

(١) تفسير مجمع البيان؛ والتفسير الكبير للرازي.

٢ ـ يتعمد فرعون الانحراف بأفكار الناس وإضلالهم، وذلك أسلوب طاغوتي، ﴿لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾.

٣ ـ يعلم الطواغيت أنهم محل كراهية ونفور، ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾.

٤ ـ من مقومات الإيمان بالله تعالى كراهية الطواغيت والغضب عليهم والبراءة منهم، ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾.

٥ ـ لا تدوم حياة البذخ والإقامة في القصور، والظلم هو مفتاح زوال القوة، ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم﴾.

٦ ـ كان الفراعنة في مصر أصحاب حضارة، ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾.

٧ ـ من السنن الإلٰهيّة إحلال المستضعفين محل المستكبرين واستخلافهم بدلاً من الظالمين، ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

٨ ـ آلت ثروات الفراعنة وقصورهم وبساتينهم إلى بني إسرائيل، ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا﴾.

٩ ـ كان خروج الفراعنة في أعقاب بني إسرائيل تدبيراً إلهيّاً من أجل إغراقهم، ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم... فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾

إشارات:

❑ كلمة «تراءى» تعني رؤية كل منهما الآخر، و«الجَمعان» هما الفريقان.

❑ ربما جاءت عبارة «أصحاب موسى» بدلاً من «بني إسرائيل» لتُشير إلى أنَّه حتى أقرب المقربين من موسى قد أصابهم القلق بعد أن صار البحر أمامهم وجيش فرعون من ورائهم.

❑ على الرغم من أنَّه لا بدّ من العلم والبصيرة لأي حركة أو ثورة أو قرار فإنه ليس من الضروري أن يدرك الإنسان الخطوة الأولى بالنسبة لكل المراحل. وهكذا لم يكن عند موسى عليه السلام علم بما سيحدث حتى اللحظة التي رأى فيها

البحر أمامه والعدو من خلفه، لكنه كان يؤمن دائماً بالهداية الإلٰهيّة، ولهذا قال: ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾.

التعاليم:

١ ـ للزعماء السماويين قلوب مطمئنة هادئة عند الأزمات، وهم مصدر هدوء الآخرين أيضاً، ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى﴾.

٢ ـ التشديد على اليقين من تحقق وعود الله (قال الله تعالى في الآية الخامسة عشرة من هذه السورة: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾، ويقول موسى للناس في هذه الآية: إن الله قد وعدنا، وهو معنا)، ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى﴾.

٣ ـ يجب عدم اليأس بل التوكل على الله عند مواجهة العدو (حتى عندما يكون البحر في ناحية وجيش العدو في الناحية الأخرى)، ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى﴾.

٤ ـ الرسل هم سبب كرم الله ورحمته، ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾، (مع ملاحظة أنَّ هداية الرسول سبب في هداية الناس).

٥ ـ يحظى الأنبياء بحماية خاصة من الله تعالى، ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى﴾.

٦ ـ الهداية شأن من شؤون الربوبيّة، ﴿رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾.

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾

إشارات:

❑ كلمة «انفلاق» تعني التشقق والانشطار، وكلمة «فِرق» تعني القطعة، و«الطود» هو الجبل. وكأنَّ المياه التي كانت قد تجمعت في الناحيتين الجافتين صارت كالجبلين العاليين على أثر انشقاق نهر النيل الكبير الذي يشبه البحر.

التعاليم:

١ ـ تخضع أعمال الأنبياء لإرادة الله، وتسير على هَدي الوحي الإلٰهيّ، ﴿فَأَوْحَيْنَآ...﴾.

٢ ـ يُجري الله الأحداث والمعجزات على يد أوليائه، حتى يلتفت الناس إليهم ويطيعونهم، ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب﴾، (نعم، الطبيعة ومظاهرها تحت تصرف الخاصَّة من عباد الله، ومُسخرة لهم بإرادة الله تعالى).

٣ ـ يمكن أن تتحول العصا إلى ثعبان بإرادة الله، وتُلقي الرعب في نفوس الأعداء، ثم تُصبح مفتاحاً للرحمة، وتفتح الطريق للمؤمنين.

٤ ـ يمكن أن تتسبّب العصا حيناً في تفجر الماء من قلب الحجر بإرادة الله: ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾[1]، وتؤدي إلى جفاف البحر حيناً آخر، ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾.

٥ ـ يترافق الكون كله بأفعاله وانفعالاته مع إرادة الله تعالى، ﴿فَأَوْحَيْنَآ... وَأَزْلَفْنَا... أَنجَيْنَا... أَغْرَقْنَا﴾.

٦ ـ يجني الأنصار النجاةَ والفلاحَ في ظل صحبة الأنبياء، ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾.

٧ ـ يُنجي الله أحباءه من المشاكل المعقدة في أصعب الظروف، ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾.

٨ ـ معجزتا انشقاق البحر وغرق الفراعنة دليل على قدرة الله وغضبه، كما أنهما وسيلة للنصح والوعظ، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾.

٩ ـ جرت سُنَّة الله طوال التاريخ على مبدأ نُصرة الحق وسحق الباطل، ﴿لَءَايَةً﴾ كما أن الحادثة تكون آية وعِبرة حينما لا يمكن تكرارها أو وقوع حادثة تشبهها على مرِّ التاريخ.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٦٠.

١٠ ـ يواسي الله تعالى رسولَ الإسلام ويعلمه درس الصبر باستعراض تاريخ السابقين، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

١١ ـ قليلون هم الذين يقبلون النصيحة، ﴿لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

١٢ ـ يتمتع رسول الإسلام بحماية خاصة من الله تعالى، ﴿رَبَّكَ﴾ (الخطاب إلى الرسول هو أننا نستطيع أن نُهلك من خالفوك أيضاً بهذه العزة والقوة كما أهلكنا من خالفوا موسى من قبل).

١٣ ـ لا يُلحق كُفر الناس أي ضرر أو أذى بعزة الله، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ... وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

١٤ ـ يجب على المُربي أن يكون قويّاً، كما عليه أن يكون رحيماً أيضاً، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

١٥ ـ المُهلة التي يمنحها الله تعالى للكفار ليست من قبيل الضعف والعجز، وإنما هي من باب المحبة والرحمة لعلهم يتوبون إليه، ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾﴾

إشارات:

- النبي إبراهيم ﷺ هو أكثر نبي ذُكر اسمه في القرآن الكريم بعد موسى ﷺ الذي ذُكر اسمه أكثر من ١٣٠ مرة.

- ورد في الروايات أن المقصود بكلمة «أب» في هذه الآية هو «آزر» عم إبراهيم؛ لأنه لا يمكن أن يكون والد رسول كإبراهيم ﷺ كافراً. وتُطلق كلمة «أب» من الناحية اللغوية على المُربي والجد ووالد الزوجة أيضاً. ونحن نقرأ في الآية ١٣٣ من سورة البقرة أن أبناء يعقوب ﷺ قد قالوا لأبيهم: ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ على

الرغم من أن يعقوب هو ابن إسحاق، وقد أطلقت كلمة أب في هذه الآية على الجد «إبراهيم» وعلى العم «إسماعيل» أيضاً.

❑ يؤدّي تقليد أهل العلم والعلماء للكمال والرشد والرقي ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾[1] و﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ...﴾[2]، أمَّا تقليد العوام فإنه يؤدي إلى التحجر والجمود ﴿بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾؛ لأن الثبات على التقاليد والآداب القوميّة والمحلية بلا نقاش أو سؤال يُفضي إلى تخدير المجتمع وسدّ طريق الفكر والتحديث ويحول دون معرفة الحقيقة.

❑ إن استعراض تاريخ نبي الله إبراهيم سيكون درساً لأهل الكتاب في زمن رسول الإسلام ﷺ، وللمسلمين كذلك؛ لأن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يحظى بالثناء والمدح من كل الفرق اليهودية والنصرانية.

❑ كلمة «رأيتم» من الجذر «رأى» و«رؤية»، وبناءً على هذا فإن هذه الكلمة تشتمل في معناها على الرؤية بالعين والنظر بالعقل وتكوين استنتاج.

التعاليم:

١ ـ كُلّف رسول الإسلام بالمحافظة على تاريخ الأنبياء الذين سبقوه، ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾.

٢ ـ تتجلّى الفائدة والأهميّة في سيرة نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، (تُطلق كلمة «نبأ» على الخبر المهم).

٣ ـ تترسخ فائدة السُّنن والقوانين المسيطرة على التاريخ، وبناءً على هذا فإن تاريخ الأمس يمكن أن يكون درساً لأبناء اليوم، ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾.

٤ ـ الأولى أن نبدأ بالأهل والأقارب عند النهي عن المنكر، ﴿لِأَبِيهِ﴾.

٥ ـ ليس العمر شرطاً من شروط النهي عن المنكر، ﴿قَالَ لِأَبِيهِ﴾.

---

(١) سورة النحل: الآية ٤٣؛ وسورة الأنبياء: الآية ٧.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٩٠.

٦ ـ لا تعدّ السلطة شرطاً من شروط النهي عن المنكر، ﴿قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾، (مع ملاحظة أنَّ إبراهيم عليه السلام كان في ذلك الوقت مطروداً من عمه).

٧ ـ يجب عدم الخوف من القلّة والوحدة عند النهي عن المنكر، ﴿قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾.

٨ ـ يجب عدم أخذ أواصر القربى في الحسبان عند الدفاع عن الحق، ﴿قَالَ لِأَبِيهِ﴾.

٩ ـ يواسي الله تعالى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بحديثه عن أقرب أقارب إبراهيم وكيف أنهم كانوا يعبدون الأصنام ولم يطيعوه في دعوته، ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ... نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾.

١٠ ـ يجب إيقاظ الوجدان بالسؤال في الأسلوب الدعوي، ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾، (على الرغم من أن إبراهيم عليه السلام كان يرى ماذا كان يعبد هؤلاء القوم فإنه يسألهم عن معبوداتهم من أجل أن يدفعهم إلى التفكر لكي يوقظ وجدانهم).

١١ ـ بما أنّ الإنسان هو المخلوق العابد، فإذا لم يعبد الحق فإنه سوف يتجه إلى الباطل، ﴿مَا تَعْبُدُونَ... نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾.

١٢ ـ يطرح القرآن الكريم نقاطاً حساسة وفعَّالة عند سرده للتاريخ، ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾، (لا يشير القرآن إلى العدد والاسم والزمان والمكان في الموضوعات التي يرويها من الماضي، وإنما يعرض الرسالة والمحتوى الذي يدفع إلى الاعتبار).

١٣ ـ يجب البدء بالتصدي للمنكرات المهمة عند النهي عن المنكر، ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾، (نعم، أقبح مُنكَر هو الشرك بالله تعالى).

١٤ ـ ليست كل عبادة مهمة، بل المهم هو نوع المعبود ومقدار إدراكه وتعقله، ﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾.

١٥ ـ ليست العبادة مطلباً عابراً، بل لها جذور في أعماق الروح، ﴿عَٰكِفِينَ﴾.

١٦ ـ الإصرار والفخر بالانحراف أسوأ من الانحراف نفسه، ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾، (كلمة «نظل» تعني أننا نعبد الأصنام باستمرار، وكلمة «عاكفين» تعني أننا نلزم القيام على عبادتها).

١٧ ـ الحوار والمنطق هما أول خطوة في الدعوة، ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ... أَوْ يَنفَعُونَكُمْ﴾.

١٨ ـ إذا كان الدافع إلى العبادة هو جلب المنفعة أو دفع الضرر، فالأصنام لا تملك هذا أو ذاك، ﴿يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾.

١٩ ـ يجب أن يكون أسلوب الاستدلال مع العوام واضحاً يمكن فهمه، ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾.

٢٠ ـ لا يجوز التقليد في العقائد، ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾.

٢١ ـ قد تضرّ أحياناً بعض آداب الآباء والأجداد وتقاليدهم فتقطع الطريق على العقل والمنطق، ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾.

٢٢ ـ لا تُعدُّ الأقدمية أو السبق دليلاً على الحق، ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾.

٢٣ ـ يؤمن عبدة الأصنام أيضاً بعدم تأثيرها؛ ولكنهم يقتدون بآبائهم وأجدادهم فقط، ﴿بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾.

٢٤ ـ يجب الابتعاد عن التعصب والقومية، ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا﴾.

٢٥ ـ الجهل والسذاجة هما مهد الانحراف وأرضية الضلال، ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾، (ليس للشرك أساس علمي أو استدلالي).

٢٦ ـ التدبر والتعقل ضروريان من أجل الإنسان، ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾.

٢٧ ـ لا بدّ من المناظرة والنقاش والاحتجاج بين الأفكار المختلفة، ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ...﴾.

﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾

إشارات:

- كل المعبودات تغدو أعداء لنا إلا الله رب العالمين، لأنَّ الأصنام والأوثان تنطق يوم القيامة وتتكلم، وسوف تشكو عُبَّادها كما يقول القرآن الكريم: ﴿كَلَّاۚ

سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾[١]، فالأصنام تُبدي كراهيتها يوم القيامة لمَن عبدها من الكفار والمشركين، وتقف ضدهم في خصومة، وهكذا تُظهر عداوتها لهم[٢].

- ينحصر خطأ الأنبياء في ترك الأَوْلى، وإلا فإنَّ إبراهيم عليه السلام قد وُصف بصفات من قبيل المُختار للمدح والثناء، ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾[٣].

التعاليم:

١ ـ تعادي المعبودات الخيالية والكاذبة فكرَ البشرية وسعادتها وتكاملها، ﴿عَدُوٌّ لِّيٓ...﴾.

٢ ـ يضع الداعي نفسه مكان الآخرين أحياناً عند دعوتهم، فقد قال تعالى: ﴿عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ ولم يقل سبحانه: «عدو لكم».

٣ ـ إنّ خَلْق الإنسان فضلٌ من أعظم الأفضال الإلٰهيّة، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى﴾.

٤ ـ من يخلُق هو الذي يملك حق الهداية، ﴿خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾، لأن تدبير أمور الخلق لا ينفصل عن هدايتهم.

٥ ـ الدليل على حب الله لعباده أنه خلقهم وهداهم وهذا ما تعجز عنه الأصنام، ﴿عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾.

٦ ـ تعتبر الهداية شأناً من شؤون الربوبيّة، ﴿رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ... فَهُوَ يَهْدِينِ﴾.

٧ ـ نعمة الهداية هي أعظم النِّعم بعد نعمة الخلق، ﴿خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾.

٨ ـ يحصل الخلق مرة واحدة، أمّا الهداية فإنها مستمرة في كل لحظة، (الفعل «خَلَقَنِي» في صيغة الماضي، أمّا الفعل «يَهْدِينِ» فهو في صيغة المضارع الذي يفيد الاستمرار).

---

(١) سورة مريم: الآية ٨٢.

(٢) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ٢٤، ص ١٤٢ وما بعدها.

(٣) سورة ص: الآية ٤٦.

٩ ـ يكون شبع الإنسان وارتوائه من فضل الله تعالى، وإنما الخبز والماء وسيلة فقط، ﴿يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾.

١٠ ـ يقدم الله الاهتمامَ بالنِّعم المعنوية على الاهتمام بالنِّعم المادّية، ولهذا قال تعالى: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾، ثم قال: ﴿يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾.

١١ ـ الناس لهم دورٌ في ظهور المرض، فقد قال تعالى: ﴿مَرِضْتُ﴾، ولم يقل سبحانه: «أمرضني».

١٢ ـ يحصل الشفاء من عند الله، وما الدواء إلا وسيلة، وتأثيره مرهونٌ بإرادة الله أيضاً، ﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾.

١٣ ـ من الضروري أن يتلازم شفاء الروح مع شفاء البدن، ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ... فَهُوَ يَشْفِينِ﴾.

١٤ ـ تتجلّى قيمة السجع بين الكلمات في الحديث والخطابة، ﴿يَهْدِينِ... وَيَسْقِينِ... يَشْفِينِ... يُحْيِينِ﴾.

١٥ ـ في المنظور الإلٰهيّ الموت ليس نهاية الأمر، وإنما هو مرحلة من مراحل الحياة، ﴿يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾.

١٦ ـ يعود إلى الله تعالى صنع كل شيء في الكون (التوحيد في الأفعال)، ﴿يَهْدِينِ... وَيَسْقِينِ... يَشْفِينِ... يُحْيِينِ﴾.

١٧ ـ يجب إزالة الشرك في كل مجال وأرضية أو ميدان (استخدمت كلمة «هو» ثلاث مرات عند الحديث عن نعم الهداية والإطعام والشفاء، ولكنها لم تُستخدم في الحديث عن الخلق والموت والحياة، وربما كان السبب في ذلك هو أن الجميع ينسب الخلق والموت لله تعالى، ولا مجال هنا للشرك، ولكن الإرشاد والإطعام والشفاء أمور تُنسب إلى الناس والدواء والطبيب والغذاء، ولهذا يستخدم القرآن الكريم كلمة «هو» من أجل الإبقاء على روح التوحيد حيَّة، أي أن كل الأمور في يد الله تعالى وحده).

١٨ ـ إن شكر الله هو من فلسفات العبادة (قال إبراهيم عليه السلام لعمّه وقومه: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي شئ تعبدون؟ قالوا: الأصنام. فبيَّن لهم إبراهيم فلسفة عبادة الله

في هذه الآيات)، ﴿خَلَقَنِي... يَهْدِينِ... يُطْعِمُنِي... وَيَسْقِينِ... يَشْفِينِ... يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾

١٩ ـ لا يمكن لأحد أن يستغني عن فضل الله، ﴿أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ...﴾، وإذا كان خليل الله إبراهيم نفسه يرى أنه في حاجة إلى المغفرة الإلٰهيّة، فما بالنا نحن؟

٢٠ ـ العفو الإلٰهيّ فضل من الله وليس استحقاقاً لنا، ﴿أَطْمَعُ﴾، نعم، علينا ألا نعتمد على أعمالنا؛ لأن إبراهيم عليه السلام كان يرنو إلى عفو الله، ولا ينظر إلى جزاء عمله.

٢١ ـ الأمل والرجاء هما قيمة من القيم، ﴿أَطْمَعُ﴾.

٢٢ ـ تتعلّق القلوب بعفو الله ومغفرته إيماناً بربوبيته تعالى، ﴿رَبَّ الْعَالَمِينَ... أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي﴾.

٢٣ ـ طلب المغفرة من سلوك الأنبياء، ﴿يَغْفِرَ لِي﴾.

٢٤ ـ لولا فضل الله لكان الإنسان عُرضة للخطأ في أي مرحلة من مراحل حياته، ﴿خَطِيئَتِي﴾.

٢٥ ـ يتجلى المبدأ والمَعاد بوضوح في كلام الأنبياء، ﴿خَلَقَنِي... يَوْمَ الدِّينِ﴾.

٢٦ ـ يملك الله تعالى احتياجاتِ الإنسان المادّية والمعنوية من بداية حياته إلى نهايتها، ﴿خَلَقَنِي... يَوْمَ الدِّينِ﴾.

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «حُكم» يمكن أن تكون بمعنى الحُكم والإشراف وتدبير الأمور، أو بمعنى العلم والمعرفة، ولا شك أن كلمة «حُكم» لها معنى أرفع من الحكمة، لأن الحكمة هي القدرة على تمييز الحق من الباطل فقط، أمَّا كلمة حُكم فهي المعرفة المصحوبة بالاستعداد لتطبيق هذا الحق.

□ تتلخص سعادة الإنسان في عدة موارد، وقد وردت في دعاء إبراهيم عليه السلام:

أ ـ معرفة الله والعلم العميق به، ﴿هَبْ لِي حُكْمًا﴾.

ب ـ العيش في المجتمع الصالح، ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

ج ـ تحصيل الذكر الطيب على امتداد التاريخ، ﴿لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾.

د ـ الوصول إلى جنة الخلد، ﴿وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾.

التعاليم:

١ ـ يجب على الإنسان أن يستعين بالله تعالى للوصول إلى الكمال، ﴿رَبِّ هَبْ لِي...﴾.

٢ ـ مناجاة الله بكلمة «رب» أمر مؤثّر في الاستجابة للدعاء، ﴿رَبِّ﴾.

٣ ـ من أفضال الله وهباته الحكمة والرؤية المصحوبة بالعمل، ﴿هَبْ لِي حُكْمًا﴾.

٤ ـ يجب ذكر نِعم الله وشكره عليها قبل طلب المزيد منها، ﴿خَلَقَنِي... يَهْدِينِ... يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ... يَشْفِينِ... رَبِّ هَبْ لِي﴾.

٥ ـ لا تجدي الحكمة نفعاً إذا كانت البيئة بيئة سوء، ﴿هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي﴾.

٦ ـ إذا صحَّت الرؤية والفكر، صحَّ السلوك والقول أيضاً، (الحكمة تعني صحة الرؤية والفهم والنظر)، ﴿حُكْمًا﴾.

٧ ـ ليست الحكمة النظريّة وحدها التي تفيد وتنجي، بل يجب أن تقترن الحكمة بالعمل، ﴿هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

٨ ـ أعلى درجات السعادة هي التمتع بالحكمة والمعرفة في النفس، ومخالطة الصالحين في المجتمع الصالح، ﴿حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

٩ ـ تتقدم الحكمة والمعرفة والبصيرة على العمل، ﴿هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي﴾.

١٠ ـ يجب تعلّم أفضل الدعاء من خير الناس، (خيرُ الناس هم الأنبياء، ونبي الله إبراهيم عليه السلام واحد من أعظم الأنبياء، وهو يطلب من الله في الدعاء، المغفرةَ

والحكمة والذكر الحسن وحسن العاقبة، ويطلب من الله في الآيات الأخرى، الأبناء الصالحين والأتباع المسلمين).

١١ ـ طلب الحُكم من أجل تنفيذ الأحكام الإلٰهيّة وليس من أجل السلطة أو الجاه، ﴿هَبْ لِى حُكْمًا﴾.

١٢ ـ يجب عدم الانزواء، ولا الانجذاب إلى الفاسدين المنحرفين، ﴿وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ﴾.

١٣ ـ تزداد رفعة المجتمع قيمة حينما يكون أفراده صالحين، ﴿وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ﴾.

١٤ ـ يحتاج الإنسان إلى الرفقة الصالحة، ﴿وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَاجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾

إشارات:

❑ وردت حادثة ذبح إسماعيل في الآية ١٠٨ من سورة الصافَّات، حيث يقول تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الْآخِرِينَ﴾، أي أننا جعلنا التضحية في مراسم الحج سُنَّة واجبة، وتركنا الذِّكر الجميل والثناء الحسن لإبراهيم بسبب تسليمه لله، وهكذا استجبنا دعاءه الذي قال فيه: ﴿وَاجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى الْآخِرِينَ﴾.

ويقول الله تعالى أيضاً في الآية ٥٠ من سورة مريم بعد ذكره أسماء إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾، أي أننا جعلنا لهم ذكراً حسناً وثناءً جميلاً.

❑ وعن الإمام علي عليه السلام: «**ولسان الصدق للمرء يجعله الله في الناس خيراً من المال يأكله ويورثه**»[1].

❑ فُسّر الذكر الحسن والثناء الجميل في الروايات بأن المقصود به هو النبي محمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام[2]. ورأى البعض أن الدليل على هذا هو أن الرسول

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٣٤.
(٢) تفسير كنز الدقائق.

الأكرم ﷺ قد قال: «**أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ**»[1]، أي أنني أثرُ دعاءِ أبي إبراهيم. وبناءً على هذا فإن المُراد من قوله لسان صدق في الآخرين هو الأنبياء من نسله الذين حافظوا على مدرسة التوحيد حيَّة، وهذه الأمنية تتناسب مع مقام رسول كإبراهيم عليه السلام.

- ورد في الروايات أن الإنسان عندما يموت يُغلق ملف أعماله، إلا إذا ترك صدقة جارية كالوقف، أو عِلماً مفيداً يبقى من بعده، أو ولداً صالحاً يدعو له بالخير[2]، وعن النبيّ ﷺ: «**إِذَا مَاتَ الْمُؤْمِنُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»[3].
- وجاء في الروايات أن المؤمن يدخل الجنَّة بعدما يرى مقعده من النار ليزداد شكراً، والكافر يدخل النار بعدما يرى مقعده من الجنَّة لتكون عليه حسرة، فكأنَّ الكافر يرث عن المؤمن مقعده في الجنَّة، والمؤمن يرث عن الكافر مقعده في النار[4].

التعاليم:

١ ـ علينا أن نطلب من الله الإبقاء على هدايته ونهجه وأن يظل ذكرهما حسناً، ﴿وَٱجۡعَل لِّي﴾.

٢ ـ أهميّة المدح أن يكون صادقاً وليس من باب التملق، ﴿لِسَانَ صِدۡقٍ﴾.

٣ ـ يجب مراعاة أجيال المستقبل والتحسب لأحكامهم، ﴿لِسَانَ صِدۡقٍ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾.

٤ ـ اتفق رأي اليهود والنصارى والمسلمين على عظمة إبراهيم وهذا دليل على استجابة الله دعاءه، ﴿لِسَانَ صِدۡقٍ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾.

٥ ـ من صفات الإنسان الجيد والمؤمن أنه يطلب المحبة الدنيوية والسعادة الأخروية، ﴿لِسَانَ صِدۡقٍ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾.

---

(١) تفسير القمي، ج١، ص ٦٢.
(٢) وسائل الشيعة، ج ٦، ص ٢٩٣.
(٣) بحار الأنوار، ج٢، ص٢٢.
(٤) تفسير نور الثقلين، ج ٢، ص ٣١.

٦ ـ يستفيد الإنسان بعد الموت من دعاء الآخرين له بالخير والسُنن الحسنة التي كان قد سنَّها قبل موته، ﴿لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾.

٧ ـ يجب التأمّل البعيد بالمستقبل وعدم الاكتفاء بالخطط قصيرة المدى، ﴿لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾.

٨ ـ ينال المؤمن الجنّةَ هبة بلا معاناة في الحصول عليها إذا قيس بأعماله المطلوبة منه، ﴿وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾، لأن الإرث كلمة تُطلق على المال الذي يحصل عليه الإنسان بلا تعب أو بذل جهد.

﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾

إشارات:

❑ الشائع هو أن المقصود بالأب هنا هو عم إبراهيم، فلا يجوز الدعاء للكافر كما قال القرآن الكريم. وبناءً على هذا فإن إبراهيم عليه السلام دعا من أجل عمه الكافر بسبب أنه كان قد وعده بالدعاء، وذلك لأنه كان ما يزال يرجو إيمانه، ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾[1]، لكنه تبرّأ من عمه بمجرد أن أيقن أنّه لن يؤمن، ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾[2].

❑ الروح الطاهرة هي التي تتطهر من التعلق بالدنيا والتلوث بالشِرك والكفر والنفاق والتكبر والأمراض القلبية كلها، والقلب السليم هو القلب المؤمن، لأن الله تعالى يقول في شأن المنافقين: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾.

وقد ورد في الحديث أن القلب السليم هو القلب الذي يلقى ربه وليس فيه أحد سواه. وأن كل قلب فيه شِرك أو شك فهو ساقط[3].

---

(١) سورة مريم: الآية ٤٧.

(٢) سورة التوبة: الآية ١١٤.

(٣) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٥٨.

❑ كان الرسول الأكرم ﷺ يدعو في صلاته بهذا الدعاء: «**اللهم لا تُخزني يوم القيامة**»، أي لا تذلّني يوم القيامة ولا تفضحني[1].

❑ **سؤال**: نقرأ في الروايات أن هناك ما يفيد الإنسان يوم القيامة، من قبيل إنفاق المال والصدقة الجارية والأولاد الصالحين الذين يدعون من أجل آبائهم، فما هي إذن العلاقة التي تربط بين الآية التي تقول: ﴿لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ وبين هذه الروايات؟

الجواب: المقصود بهذه الآية هو المال الذي لا يأتي من حلال، والابن الذي لا يلتزم بالخط الإلٰهيّ.

وبناءً على هذا، فإن الدنيا كالمفتاح الذي يُغلق الباب بحركة ويفتحه بحركة أخرى، فالمال الحلال في يد الإنسان الصالح سببٌ للقرب، وفي يد الطالح وسيلة للذنب.

وقديماً قيل في الشعر ما ترجمته:

فلتحمل المال إذا كان للدين، فقد قال الرسول «نِعم المال الصالح».

ما الذي يشغل الناس عن الله؟ أليس الحرير والفضة والزوجة والولد.

إنَّ الماء في السفينة هلاك لها، والماء خارجها مدد لها وحماية[2].

التعاليم:

١ ـ يجب أن تقترن محبة الأقارب والدعاء لهم بنهيهم عن المنكر وانتقاد أخطائهم، ﴿قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ... وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ﴾.

٢ ـ المقدّمات الدنيوية لا أثر لها يوم القيامة، ولا شيء يُجدي نفعاً غير القلب الطاهر، ﴿خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ... بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

٣ ـ يجب أن يتلازم الخوف مع الرجاء، ﴿أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى... وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾.

٤ ـ يجب ألّا يغفل الإنسان عن القيامة في أي مرحلة من مراحل حياته، ﴿وَلَا تُخْزِنِى...﴾.

---

(١) تفسير الفرقان.

(٢) بيان السعادة.

٥ ـ يطلع بعض الناس على عيوب بعضهم الآخر يوم القيامة أيضاً، ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾، لأن الفضيحة تقع عندما يطلع الآخرون على خصوصيات وسلوك وأقوال المنحرفين.

٦ ـ الذل والفضيحة من أشد الحالات قسوة يوم القيامة، ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾، ولهذا يسأل إبراهيم عليه السلام عدمَ الفضيحة من بين كل أهوال يوم القيامة.

٧ ـ التعرض للازدراء والذل والخزي أسوأ من عذاب الجحيم يوم القيامة، ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾، ونحن نقرأ في موضع آخر من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾(١).

٨ ـ كل ما له قيمة مادّية في الدنيا يفقد قيمته في الآخرة، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾، فالمال يرمز إلى المسائل المادّية، والبنون أو الأبناء يُمثلون القضايا العاطفية، أي أن المال والولد والمقام والشهرة والمؤهِل و... أمور لا تُشرّف صاحبها يوم القيامة.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾

إشارات:

❑ كلمة «أزلفت» تعني قُرّبت وأُدنيت، وكلمة «بُرّزت» من «بروز» التي تعني الظهور البيِّن. أمَّا كلمة «غاوين» فإنها من «غواء» التي تُطلق على الشر والجهل اللذين ينشآن عن فساد العقيدة. وتعني كلمة «كُب» أُسقِط بالوجه على الأرض، و«كبكب» تعني تكرار الفعل مرات متتالية، وكأنّ أهل الجحيم يسقطون مرة بعد مرة ويُلقون في جهنم كما يسقط الشيء على درج السلم، فيتدحرج على كل درجة من درجاته.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩٢.

❏ عن الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام إنَّ الذين يَصدق عليهم قوله عزّ وجلّ: ﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ «هم قوم وصفوا عدلاً بألسنتهم ثم خالفوه إلى غيره»[1].

❏ ويرى صاحب تفسير أطيب البيان أن المراد من اقتراب الجنَّة ودنوّها وبروز الجحيم هو انفتاح باب للجنَّة على قبر المؤمن، وانفتاح باب من الجحيم على قبر الكافر.

التعاليم:

١ ـ مقام المؤمن التقي أعلى من الجنّة، ولهذا فالجنَّة هي التي تأتي إليه، ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، نعم، فالذي يهجر الذنوب في الدنيا تستقبله الجنَّة يوم القيامة بكل ما تمتلكه من العظمة.

٢ ـ يقدم الله وعده على وعيده، ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ... وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾.

٣ ـ تُتاح رؤية الجحيم ووسائل العذاب كنوعٍ من أنواع العذاب لأهل النار الذين سيلقونه، ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾.

٤ ـ يستخدم التوبيخ كنوعٍ من العذاب الروحي يوم القيامة، ﴿قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ...﴾.

٥ ـ تلعب اعتقادات الإنسان دوراً مهماً في مصيره، ﴿قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾.

٦ ـ يُطرح السؤال يوم القيامة عن العقائد والأفكار، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾.

٧ ـ توجد روح العبادة في البشر أجمعين، على الرغم من أنها تنحرف وتضل لدى البعض منهم، ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾.

٨ ـ تذهب المعبودات الخيالية إلى الجحيم، وكذلك عُبَّادها الضالون، ﴿هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٥٩.

﴿قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ۝٩٦ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٨ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٩٩﴾

إشارات:

❑ يسود أجواء جهنم اللوم والتنازع واللعن، وذلك على خلاف أجواء الجنَّة التي يشيع فيها السلم والسلامة: (لعن الأتباع لمن تبعوهم من الزعماء الفاسدين، ولوم المجرمين للشيطان، وكراهية المعبودات للمشركين الذين عبدوها، وبراءة المجرمين أحدهم من الآخر)، وتوجد الكثير من الآيات في القرآن الكريم حول هذا الشأن.

التعاليم:

١ ـ ينشأ بين أهل الجحيم جدال وحوار ونقاش وتخاصم (المشركون يشتبكون مع آلهتهم التي عبدوها دائماً)، ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾.

٢ ـ يتحول كل حُب غير مقدّس وغير إلَهي إلى عداوة يوم القيامة، ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾، ونقرأ في الآية السابعة والستين من سورة الزخرف قوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

٣ ـ يستيقظ الوجدان يوم القيامة، ﴿إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

٤ ـ يكون الشرك بالله حينما يوضع أحد بموازاته أو يُتخذ معه شيء كسند، ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم﴾، ويَصْدق قوله تعالى ﴿نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على قول الناس: «بسم الله وباسم الشعب».

٥ ـ يُلقي كل مقصّر تبعات تقصيره على عاتق الآخرين يوم القيامة، ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

٦ ـ يشكو المشركون من زعمائهم وقادتهم يوم القيامة، ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾

إشارات:

- وردت في تفسير مجمع البيان روايات عن أنَّ الأئمة المعصومين عليهم السلام قد أقسموا بأن يشفعوا للشيعة.
- عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إن المؤمن ليشفع يوم القيامة لأهل بيته فيشفع فيهم حتى يبقى خادمه، فيقول ويرفع سبابتيه: خُويدِمي كان يقيني الحر والبرد فيُشفع فيه**»[1].
- كما قال أيضاً: «**والله لنشفعن لشيعتنا ثلاث مرات حتى يقول الناس: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾**»[2].
- وورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنَّ القرآن والبيت المؤمن والرسول وأهل بيته عليهم السلام يشفعون يوم القيامة[3].

التعاليم:

١ ـ الشفاعة يوم القيامة أمر قطعي، لكن فريقاً من الناس لا يستفيد منها، (بينهم المشركون)، ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ... فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾.

٢ ـ لا جدوى من وراء محبة المجرمين يوم القيامة، ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾.

٣ ـ يحتاج الإنسان إلى الصديق الحميم حتى في يوم القيامة، ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾.

٤ ـ الإيمان هو شرط الحصول على الشفاعة، ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ... فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٥ ـ تتجلّى الحسرة والندامة في يوم القيامة، ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾.

---

(١) مجمع البيان، مج ٧ ـ ٨، ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦.
(٢) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ٢٩٠.
(٣) كنز العمال، ج ١٤، ص ٤٠٧.

٦ ـ لا تجدي الآيات الإلٰهيّة الكبرى نفعاً في هداية الناس إذا لم يرغبوا في ذلك وأظهروا العناد، ﴿لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

٧ ـ من الصفات الإلٰهيّة الرحمة مع العزة، ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

٨ ـ يخاطب الله نبيّه بما معناه: «أيها الرسول! لا تقلق من ضلال الأغلبية وانحرافها، لأنك تتمتع بحماية خاصّة منّا، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

٩ ـ يمنح الله المُهلةَ للمنحرفين الضالين ليس عن ضعفٍ وعجز، وإنما من قبيل الرحمة واللطف، ولعلهم يتوبون إلى الله، ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١١٠) ۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ (١١١)﴾

إشارات:

□ ورد اسم نوح عليه السلام ٤٣ مرة في القرآن الكريم، وقال الله تعالى إنَّ إبراهيم عليه السلام من شيعته ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾[1]، وهناك «سورة نوح» في القرآن. وسلامُ الله على نوح سلامٌ خاص، فقد قال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾[2]، علماً أنه سَلَّم أيضاً على موسى وهارون وإبراهيم عليهم السلام، ولكن جملة «في العالمين» لم ترد في السلام عليهم.

□ الاطلاع على تاريخ الأنبياء يزيد شغف الإنسان بهم، ويُحيي فيه روح الصبر والاستقامة.

التعاليم:

١ ـ يلتقي جميع الأنبياء على هدفٍ واحدٍ، ولهذا فإنَّ تكذيب نبي واحد هو بمثابة

(١) سورة الصافات: الآية ٨٣. (٢) سورة الصافات: الآية ٧٩.

تكذيب للأنبياء جميعاً، ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، (لم يُكذب قوم نوح عليه السلام رسولهم فقط، وإنما كذبوا الرسل جميعاً، ولذلك يقول القرآن: «المرسلين»).

٢ ـ تُعرف القبائل والأمم باسم قادتها وزعمائها والشخصيات المعروفة فيها، ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾.

٣ ـ سبق أن جاء أنبياءٌ عديدون قبل نوح عليه السلام، ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

٤ ـ يجب الإفادة من العواطف في الدعوة للدين، ﴿أَخُوهُمْ﴾.

٥ ـ كانت أخلاق الأنبياء وتصرفاتهم مع أهل زمانهم أخوية، ﴿أَخُوهُمْ﴾.

٦ ـ من الضروري أن يطّلع صاحب الدعوة على ثقافة الناس ولغتهم وآدابهم وتقاليدهم ونقاط الضعف والقوة فيهم، ﴿أَخُوهُمْ﴾ فالذي يكون أخاً للناس يعرف أفكارهم وآدابهم ونقاط ضعفهم وقوتهم.

٧ ـ يجب إيقاظ وجدان الناس بالسؤال، ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾.

٨ ـ تعتبرُ حالة التقوى من لوازم قبول دعوة الأنبياء وإظهار الطاعة، ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾.

٩ ـ تسعى النبوة لمصلحة البشرية ومن أجل نجاة الإنسان، ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

١٠ ـ تُعدُّ الأمانة، والماضي الطيب، والشفقة، من شروط تأثير الكلام في الآخرين، ﴿لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

١١ ـ توفر صفة الأمانة شرط أصلي في الرسول الذي يحمل الدعوة، ﴿رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

١٢ ـ يجب ذكر محاسن الصفات في بعض المواضع، ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

١٣ ـ لا ينفصل التدين عن طاعة رسول الله، ﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾، نعم، فاتّباع الأنبياء بلْوَرَةٌ للتقوى.

١٤ ـ دعوة النبي الناس إلى طاعته لا تمنع إحياء أمر الله تعالى، فقد جاءت كلمة ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ إلى جوار قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾.

١٥ ـ لا يجب على من يدعو إلى الله أن ينتظر شيئاً من الناس أو أن يطلب منهم أجراً (الإخلاص شرط من أجل تأثير الكلام في الناس)، ﴿مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾.

١٦ ـ مَن يتوكلْ على الله يستغنِ عن الناس، ﴿مَآ أَسْئَلُكُمْ... إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

١٧ ـ ألزم الله تعالى نفسه بالأجر للداعين إلى سبيله، ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ...﴾.

١٨ ـ لا يجوز أن يُتهم الزعيم الدينيّ بحب الدنيا، ﴿وَمَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾.

١٩ ـ وردت الدعوة إلى سدّ طرق الحجج والذرائع، وعدم القيام بالأعمال المعنوية بنيّة الأجر ورغبةً في المقابل الماديّ، ﴿مَآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾، وقد ورد في الآية ٤٦ من سورة القلم قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾.

٢٠ ـ الإيمان بالله والتقوى الإلٰهيّة هما خلفية الإيمان بالرسول وطاعته، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

٢١ ـ لا بدّ من التكرار في مجال التربية والكمال، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ...﴾.

٢٢ ـ يمكن أن يمنع الاستكبار الإيمان؛ لأن المؤمنين في نظر المستكبرين أراذل وأسافل، ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾.

٢٣ ـ كان أكثر أتباع الأنبياء من الفقراء والمغمورين، ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾.

٢٤ ـ لا يجب ازدراء كلمة الحق ومدرسته بداعي أنَّ أنصاره وأتباعه من المغمورين، ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾.

٢٥ ـ تقضي تعاليم الأنبياء على التفرقة الاجتماعيّة الخاطئة وتزيلها، ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾.

﴿قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾
إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾

إشارات:

□ نحن مأمورون في الإسلام أنْ نأخذ بالظاهر، وإذا آمن أحدٌ بالإسلام فليس من

حقنا أن نقول له: ليس في قلبك إيمان، ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾[1].

□ ويأمر القرآن الكريم الرسول في آية أخرى فيقول له: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[2].

التعاليم:

١ ـ لا علم للرسل بما سلَف من أعمال الناس إلا بإرادة الله تعالى، ﴿وَمَا عِلْمِي﴾.

٢ ـ ليس من العيب أن تقول: «لا أعلم»، ﴿وَمَا عِلْمِي﴾ عندما لا يكون لديك علم.

٣ ـ يعرف الله عبده، وهو الذي يُحاسبه، ولا شأن لنا كي نقبل هذا أو نرفض ذاك، ﴿وَمَا عِلْمِي...﴾.

٤ ـ لا يجوز التجسس على حياة الناس الخاصة والبحث عن عيوبهم، ﴿وَمَا عِلْمِي...﴾.

٥ ـ يجب النظر عند الحُكم على الآخرين إلى إيمانهم الصادق وعملهم الصالح اليوم، ولا أهميّة لذكر ماضيهم، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

٦ ـ لا يمنع الماضي السيّئ تغيير الناس وتحولّهم وتوبتهم إلى الله، ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

٧ ـ وظيفة الأنبياء هي إصلاح الناس ودعوتهم إلى التوحيد، وهم ليسوا مسؤولين عن حسابهم، ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾.

---

(١) سورة النساء: الآية ٩٤.
(٢) سورة الأنعام: الآية ٥٢.

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾

إشارات:

❑ توقع المُستكبرون من الأنبياء طرد الفقراء المجهولين المؤمنين، وكان الأنبياء جميعاً يرفضون هذا الاقتراح.

يأمر الله تعالى الرسول الأكرم ﷺ في الآية ٢٨ من سورة الكهف فيقول: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾. أي اجعل نفسك مع المؤمنين الذين يدعون الله بإخلاص بالليل والنهار، ولا تغض الطرف عنهم رغبةً في التمتع بزينة الحياة الدنيا، ولا تتبع الغافلين وأهل الأهواء والشهوات والذين تجاوزوا الصواب.

❑ تُشير جُملة «من المرجومين» التي جاءت بدلاً من «لنرجمنك» إلى أنَّ هناك مَن كان يُرجم بالحجارة قبل عهد نوح عليه السلام.

التعاليم:

١ ـ يجب مواجهة اقتراحات المُتكبرين وتوقعاتهم غير المناسبة بحزم وصرامة، (لا يجوز طرد الفقراء المؤمنين حتى لو كان الثمن هو إيمان فريق آخر من الناس)، ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ...﴾.

٢ ـ معيار أهميّة الناس هو الإيمان، وليس الموقع الاجتماعي والاقتصادي، ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ...﴾.

٣ ـ يجب أن يصل الجذب إلى حده الأقصى، أمّا الدفع فيلزم أن يحصل إذا استدعت الضرورة فقط، ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ...﴾.

٤ ـ ورد التخويف والتحذير وإنذار الأنبياء للناس أكثر من البشارات على

ألسنتهم، فقد قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾، ولم يقل سبحانه: «إن أنا إلا بشير».

٥ ـ تحذير الغافل من الأخطار أفضل أسلوب من أجل الهداية والإرشاد، ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾.

٦ ـ التهديدُ واحدٌ من أهم أسلحة المخالفين للأنبياء، ﴿مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾.

٧ ـ استخدم الرجم بالحجارة كواحدٍ من أقدم أنواع التعذيب، ﴿مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾.

٨ ـ يجب أن نستعين بالله تعالى في مواجهة العدو، ﴿قَالَ رَبِّ﴾.

٩ ـ كان تضرع نوح عليه السلام من أجل تكذيبهم لمنهجه، وليس بسبب تهديدهم له بالرجم. فقد قال: ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ ولم يقل: «يرجمون».

١٠ ـ لا شك في أنّ الله تعالى هو حلّال العُقد والمشاكل، ﴿فَافْتَحْ﴾.

١١ ـ هناك فريق من الناس كان يؤمن بالأنبياء على الرغم من التهديد والاختناق، ﴿وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

١٢ ـ الشيء المهم هو المصاحبة العمليّة والمنهجية، وليست المرافقة المادّية والظاهرية، ﴿وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

١٣ ـ يشمل دعاء الأنبياء المؤمنين، ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

١٤ ـ الإيمان وحده لا يكفي، بل لا بدّ من الاتّباع والترافق، ﴿وَمَن مَّعِيَ﴾؛ وهكذا يقول القرآن الكريم في مواضع أخرى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾[1].

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾

إشارات:

☐ المقصود بكون السفينة مشحونة في قوله تعالى: ﴿الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ هو أنّ

(١) سورة هود: الآيات ٥٨، ٦٦، ٩٤.

نوحاً عليه السلام كان قد وضع في السفينة ما يحتاج إليه. وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**الفلك المشحون المجهز الذي قد فرغ منه ولم يبق إلا دفعه**». وعن الإمام علي عليه السلام: «**الفلك المشحون، اتخذ نوح عليه السلام فيه تسعين بيتاً للبهائم**»(١).

التعاليم:

١ ـ يجيبُ الله دعاء الأنبياء والمظلومين، ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾.

٢ ـ يأمن ويسلَم المؤمنون في ظل الأنبياء، ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ﴾.

٣ ـ يتسبّب الانفصال عن الأنبياء في الهلاك، ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ﴾.

٤ ـ وردت قصة نجاة نوح وأتباعه وغرق الكفار والمخالفين كنموذج لسُنَّة الله تعالى في مساعدة الحق وسحق الباطل، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾.

٥ ـ إذا أمهل الله الكفار فذلك من قبيل الرحمة وليس من باب العجز، ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾﴾

إشارات:

- «عاد» هو اسم الجد الأكبر لقوم هود عليه السلام، وقد اشتهر هؤلاء القوم باسم جدهم. وقد كانت عاد طائفة من العرب الذين كانوا يعيشون في أرض عذبة المياه عليلة الهواء بالقرب من البحر بمنطقة تُسمّى «الأحقاف» في اليمن. وكانت بلادهم هذه عامرة، وكانوا من سكان المدن، ونبيّهم كان هود عليه السلام. وقد تكرر ذكرهم ٢٤ مرة في القرآن الكريم، كما أنَّ في القرآن «سورة الأحقاف»، وسورة أخرى تُسمّى «سورة هود».

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٣٨٧.

التعاليم:

١ ـ تكذيب رسول واحد بمثابة تكذيب للأنبياء جميعاً؛ لأن هدف الدعوة عند الأنبياء كلهم ومحتواها واحد، ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

٢ ـ دعوة الرُسل أخوية في أسلوبها وطريقتها، ﴿أَخُوهُمْ﴾، (حتى كلمة «أبوهم» لم تأت بدلاً من «أخوهم» التي تُبيِّن عمق الصفاء والتواضع والصدق).

٣ ـ التقوى هي عنوان دعوة الأنبياء، ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾.

٤ ـ الدعوة إلى التقوى من لوازم الأخوّة والإخاء، ﴿أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾.

٥ ـ تهدف رسالة الأنبياء إلى نفع الناس وهدايتهم وليس من أجل الهيمنة عليهم، ﴿لَكُمْ﴾.

٦ ـ لم يكن كلام الأنبياء من عند أنفسهم، بل كان كل ما يقولونه رسالة إلَهية، ﴿رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

٧ ـ يشترك الأنبياء جميعاً في أسلوبهم وطريقتهم الدعوية ومحتوى موضوعاتهم وفي الخط الفكري الذي يصل بينهم، (تكرار الآيات شاهدٌ على ما نقول).

٨ ـ تمهّد التقوى الإلٰهيّة الساحةَ لطاعة القيادة، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾، (اتّباع الزعماء الإلٰهيّين هو بَلْوَرةٌ للتقوى الإلٰهيّة).

٩ ـ الإخلاص والاستغناء عن الناس دليل النجاح، ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ﴾.

١٠ ـ الإخلاص والتوكل على الله من عناصر الدعوة، ﴿إِنْ أَجْرِيَ...﴾.

١١ ـ إن من يخلُق ويدير الكون سوف يدير حياتنا الشخصية أيضاً، ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

١٢ ـ يتكون نظام الكون من عوامل مختلفة تخضع كلها لتدبير واحد، وتحظى بحالة من الرشد والهداية، ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾﴾

إشارات:

❑ كلمة «رِيع» تعني سفح الجبل والهضبة. وتُطلق كلمة «مصانع» على الحصون والقصور المنيعة العالية. أمَّا كلمة «بطش» فإنها تعني الأخذ بغضب وشدة وسطوة.

❑ لا ينتقد القرآن الكريم في هذه الآيات مبدأ البناء على سفح الجبل وإقامة الحصون المنيعة وامتلاك السلطة، وإنما الذي يُنتقد هنا هو الأهداف الدنيئة، ﴿تَعْبَثُونَ﴾ والخيالات الواهية ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ وتجاوُز حدّ الاعتدال، ﴿جَبَّارِينَ﴾.

❑ ورد في الروايات أن رسول الله ﷺ كان قد خرج فرأى قبةً فقال: ما هذه؟ فقال له أصحابه: هذه لرجل من الأنصار، فمكث حتى إذا جاء صاحبها فسلم في الناس، أعرض عنه، وصنع ذلك مراراً حتى عرف الرجل الغضب به والإعراض عنه، فشكى ذلك إلى أصحابه وقال: والله إني لأنكر نظر رسول الله ﷺ، ما أدري ما حدث فيَّ وما صنعت؟ قالوا: خرج رسول الله فرأى قبتك فقال: لمن هذه؟ فأخبرناه. فرجع إلى قبته فسواها بالأرض، فخرج رسول الله ﷺ ذات يوم فلم ير القبة فقال: ما فعلت القبة التي كانت ها هنا؟ قالوا: شكا إلينا صاحبها إعراضك عنه فأخبرناه فهدمها، فقال: إنَّ لكلِّ بناء يُبنى وبالٌ على صاحبه يوم القيامة إلا ما لا بدّ منه[1].

التعاليم:

١ ـ يصل تاريخ الأبنية الشاهقة إلى زمن هود عليه السلام، ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً﴾.

٢ ـ يُلازم الحرصُ الإنسان، ﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾.

---

(١) مجمع البيان، مج ٧ ـ ٨، ص ٣١٠.

٣ ـ ما يعظم في أعين عُبَّاد الدنيا يذل في أعين أولياء الله الذين يوبخون الناس عليه، ﴿أَتَبْنُونَ... تَعْبَثُونَ﴾.

٤ ـ تبعث المدنيّة الكاذبة والرفاهية الزائفة على الغرور وتمنعان قبول الحق، ﴿أَتَبْنُونَ﴾.

٥ ـ يبدأ عمل الأنبياء بانتقاد الوضع المُختلّ القائم، وإيقاظ الوجدان عن طريق السؤال، ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ...﴾.

٦ ـ تكون أعمال الظالمين من أجل إبراز أنفسهم ﴿ءَايَةً﴾ أو من أجل بقائهم ﴿تَخْلُدُونَ﴾، أو من أجل استغلال الناس واستعمارهم، ﴿جَبَّارِينَ﴾.

٧ ـ يجب أن يكون لكل عمل هدف عظيم، ﴿أَتَبْنُونَ... تَعْبَثُونَ﴾.

٨ ـ يستخدم أهل السوء الثروةَ والمالَ والممتلكات من أجل إرضاء الأهواء والشهوات، ﴿تَعْبَثُونَ﴾.

٩ ـ يتوجّه القرآن بالنقد إلى الحالة الروحية المسيطرة على عيش القصور وحياة اللهو، وليس إلى مبدأ البناء، ﴿تَعْبَثُونَ﴾، (يجب أن يكون الإنتاج والابتكار والفن وتوظيف الإمكانيات والطاقات البشرية و... في إطار الاحتياجات الحقيقيّة، يجب ألّا تُبدّد هذه الأمور عبثاً).

١٠ ـ لا يجعل اقتناء القصورِ والبيوت الحياةَ خالدة أبدية، ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾.

١١ ـ آفات البُنيان أربع:

أ ـ البخل والإسراف، ﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾.

ب ـ التفاخر والمباهاة، ﴿ءَايَةً﴾.

ج ـ العبث واتّباع النزوات، ﴿تَعْبَثُونَ﴾.

د ـ حب الدنيا والغفلة، ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾.

١٢ ـ يجب أن تكون قوانين العقوبة عادلة (ينتقد القرآن الكريم العقوبات الظالمة)، ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾.

١٣ ـ يحتاج التدين إلى محور يدور حوله وإلى قائد وقدوة، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

١٤ ـ التدين تَقوى قلبية وطاعة عملية، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

١٥ ـ يعتبر غياب التقوى أصل المفاسد كلها، وقد قال هود عليه السلام بعد انتقاد فكر الكافرين وعملهم: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ...﴾.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣٥﴾ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

إشارات:

- وجه هود عليه السلام أنظار القوم إلى الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، وإلى النبوة ﴿وَأَطِيعُونِ﴾، وإلى المَعاد كذلك، ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾
- المقصود باليوم العظيم هنا هو يوم القيامة، على الرغم من أنَّ اليوم العظيم أطلق على الدنيا أيضاً في قصة شعيب عليه السلام، ﴿فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾(١)، أي أصابهم العذاب يوم أظلتهم سحابة تلتهب ناراً، وكان ذلك عذاب يوم عظيم.

التعاليم:

١ ـ التقوى أفضل السُبل إلى شكر الله تعالى، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم﴾.

٢ ـ يعرفُ كل إنسان بنفسه كم من فضلٍ لله عليه، ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ﴾.

٣ ـ كانت قصور قوم عاد وأبنيتهم تحتوي على حظائر الدواب والحدائق وعيون الماء، ﴿بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ... بِأَنۡعَٰمٖ... جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ﴾.

٤ ـ لن يكون لموعظة الأنبياء أثر إذا لم يكن هناك استعداد وقبول لدى من يتوجهون إليهم، ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ﴾.

---

(١) سورة الشعراء: الآية ١٨٩.

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾

إشارات:

❑ هناك احتمالات في تفسير ما تُشير إليه كلمة «هذا» في الآية ١٣٧ من هذه السورة:

أ ـ هذا الادعاء بالنبوة ليس إلا تقليداً لمن ادّعوا النبوة من قبل.

ب ـ هذه البيوت العالية فوق الهضاب وسائر أعمالنا هي أسلوب أجدادنا.

ج ـ هذا التكذيب هو تكذيب الأقدمين، وعبادتنا للأصنام هي عبادة أجدادنا.

❑ انتقد القرآن الكريم أكثريّة الناس مرات عديدة، وقد جاءت الآية ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ مرات عدة في هذه السورة في نهاية استعراض تاريخ الأنبياء.

التعاليم:

١ ـ تاريخ الآباء والأجداد ليس دليلاً على الحق، ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، (في حين أنَّ المُراد من كلمة «هذا» هو سلوك المشركين).

٢ ـ يحولُ التقليد الأعمى والتعصب دون قبول النصيحة، ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ... إِنْ هَٰذَآ...﴾.

٣ ـ يمهّد انحراف الأجداد الأرضية لانحراف الأجيال التالية، ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

٤ ـ أحياناً تكون عبادة الأصنام وأي سلوك آخر جزءاً جوهرياً في الإنسان (كلمة «خُلق» تعني الحالة الراسخة في النفس).

٥ ـ يبرّر عبدة الأصنام انحرافَهم بما كان عليه أجدادهم، وينفون عن أنفسهم المسؤولية، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.

٦ ـ يكمن مصير الإنسان في يديه، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾.

٧ ـ يجب أخذ العِبرة من تكذيب الآخرين وهلاكهم، ﴿لَآيَةً﴾.

٨ ـ لا ينبغي أن تخدعكم الأكثرية، ولا تبحثوا عن الحق في زيادة عدد الناس، فالكَمُّ ليس معياراً لمعرفة الحق وتمييزه عن الباطل، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ۝١٤١ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٤٢ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٤٣ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٤٤ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٤٥﴾

إشارات:

- رُويت في هذه السورة قصة بعض الرُسل، ولكن أحداث قصصهم كلها تبدأ بكلمة «كذَّبت»[1]؛ وذلك لأن النقطة المهمة في هذه القصص هي قضيّة تكذيب الرُسل من الأقوام والأمم السابقة، وهلاك هذه الأمم لتكذيبها المرسلين. نعم، يجب أن توضع الموضوعات المهمة كعناوين عند الكتابة أو الحديث.
- يجب الاهتمام بالنقاط المُهمة عند استعراض التاريخ، وليس بالمسائل التي لا فائدة من العلم بها ولا ضرر من جهلها. لم يُذكر في هذه القصص شيء عن عدد القوم واسم المكان وتاريخ الحادثة وتفاصيلها الأخرى، وذلك لأن أساس العِبرة والدافع إليها هنا هو الإشارة إلى مظاهر الحق والباطل، وإعلان انتصار الحق على الباطل.

التعاليم:

١ ـ أسلوب الأنبياء كلهم في الدعوة واحد، فقد كان للجميع كلام واحد وشعار واحد في قصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ﷺ:

كانوا جميعاً يقولون: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾.

---

(١) قصة نوح، الآية ١٠٥؛ قصة عاد، الآية ١٢٣؛ قصة صالح، الآية ١٤١؛ قصة لوط، الآية ١٦٠؛ قصة شعيب، الآية ١٧٦.

كانوا جميعاً يقولون: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

كانوا جميعاً يقولون: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

كانوا جميعاً يقولون: ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾.

وكانت رسالة الرُسل جميعاً تتلخص في عدة أشياء: الأخوة والتقوى واتّباع أولي الأمر والاستغناء عن الناس والتوكل على الله وطمأنة الناس إلى أنَّنا جئنا لمصلحتكم وأنَّنا أمناء عليكم، (الرسائل في هذه الآيات أيضاً كالرسائل التي تضمنتها الآيات السابقة التي ذُكرت حول الرُسل الآخرين في هذه السورة)..

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾

إشارات:

- لو عمل أهل الدنيا بهذه الآية وحدها: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ لسقطت الحكومات الطاغوتية المُسرفة كلها.
- كانت لثمود زراعة طيبة، ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ﴾؛ وحضارة وعمران، ﴿مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾؛ ورفاهية وأمن، ﴿فَارِهِينَ... آمِنِينَ﴾.
- تُطلق كلمة «طلع» هنا على البرعم قبل تفتحه، وقبل أن تتكون منه الثمرة، وتُطلق أيضاً على باكورة الثمر وأول ما يظهر من بلح النخل.
- كلمة «هضيم» تعني التمر الرطب النضيج المتدلي لكثرته، أي البلح الرطب الذي تراكمت حبَّاته من كثرة محصوله.
- على الرغم من أن كلمة «جنّات» تشتمل على النخيل أيضاً فإن اسم النخيل قد ذُكر منفصلاً، وربما كانت هذه إشارة إلى أهميّة النخل والتمر في قوم ثمود.
- من الممكن أن تكون كلمة «فارهين» من كلمة «فره» التي تعني السعادة، فتكون عبارة «بيوتاً فارهين» بمعنى أنهم كانو سعداء في بيوتهم. ويمكن أن تكون هذه

الكلمة من جذر كلمة «فراهة» التي تعني المهارة، فتكون عبارة «بيوتاً فارهين» بمعنى أنهم كانوا ينحتون البيوت في الجبال بمهارة.

التعاليم:

١ ـ يجب عدم الانخداع بالحياة المُرفهة في الدنيا، ﴿أَتُتْرَكُونَ... ءَامِنِينَ﴾ فالرفاهية ليست علامة دائمة على رضا الله تعالى، (النِعم المادّية لا تدوم).

٢ ـ الانتباه إلى زوال الدنيا وسيلة إلى التقوى، ﴿أَتُتْرَكُونَ... فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

٣ ـ اتّباع الأنبياء والبُعد عن طاعة المُسرفين من لوازم التقوى، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾.

٤ ـ إذا لم يقترن الأمن والاقتصاد والرفاهية باتّباع الزعيم المعصوم فإنهم يتحولون إلى فساد، ﴿ءَامِنِينَ... جَنَّاتٍ... وَعُيُونٍ... وَزُرُوعٍ﴾، ﴿بُيُوتًا... فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

٥ ـ الإنسان ليس حراً في تصرّفه بالنِّعم، بل هو مسؤول عنها، ﴿جَنَّاتٍ... وَعُيُونٍ... وَزُرُوعٍ... بُيُوتًا وَتَنْحِتُونَ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾.

٦ ـ لا تتوفر في المُسرف صلاحية قيادة المجتمع، ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾

٧ ـ كان الأنبياء يُدركون النزعة الاستهلاكية عند الناس، ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾.

٨ ـ لا يجوز الخضوع والانقياد للأثرياء المُسرفين، ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾.

٩ ـ يجب أن يتلازم الولاء والبراء معاً، ﴿وَأَطِيعُونِ... وَلَا تُطِيعُوا﴾.

١٠ ـ الإسراف فساد، والمُسرفون مفسدون، ﴿الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ﴾.

١١ ـ يجب عدم توقع الإصلاح من المرفّهين المستهترين، فالإصلاح يتحقق في ظل منهج الأنبياء فقط، ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾.

١٢ ـ يبرّر المُسرفون أعمالهم، ويرون أنفسهم من الصالحين، ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾

التعاليم:

١ ـ كان الأنبياء يُتهمون بأحد أمرين: إما أنهم سحرةٌ ﴿سَٰحِرٌ﴾ أو مسحورون، ﴿ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾.

٢ ـ تبرير العصيان أسوأ من العصيان نفسه. لقد برروا عصيانهم في مقابل الأمر ﴿وَأَطِيعُونِ﴾، وكانوا يقولون: أنت مسحور ولست أهلاً للاتّباع، ﴿ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾.

٣ ـ تتلازم النبوة والمعجزة، ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ﴾، (المعجزة دليل على صدق الأنبياء).

﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾﴾

إشارات:

- يد القدرة الإلٰهيّة مطلقة في إظهار المعجزات، فسِيَّانٌ عند الله تعالى أن ينشقّ القمر ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ أو ينشق الماء ﴿فَٱنفَلَقَ﴾ أو ينشق الجبل وتخرج منه ناقة.
- على الرغم من أن رجلاً واحداً هو الذي قتل ناقة صالح عليه السلام فإن القرآن الكريم يقول: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾، أي أن جماعة هي التي قامت بذلك، لأنَّ هذه الجماعة كانت راضية بما فعله هذا الرجل الواحد. وهكذا يقول الإمام علي عليه السلام: «**إنما عقر ناقة ثمود رجلٌ واحدٌ فعمَّهم الله بالعذاب لمَّا عمُّوه بالرضا**»[1].

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٠١.

التعاليم:

١ ـ يجب أن تكون المعجزة واضحة بالقدر الذي يجعل إدراك إعجازها مُتاحاً للناس جميعاً من كل الطبقات والمستويات، ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ﴾.

٢ ـ يترتب على إهانة المقدّسات عقابٌ عظيمٌ، ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ﴾، وقد نسب الله تعالى هذه الناقة إلى نفسه في سورة الأعراف ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾[1].

٣ ـ تتقدّم الناقة التي لها شأن إلَهي على البشر العاديين، ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ...﴾.

٤ ـ الإنسان المتجبر لا يرحم حتى الحيوان المُسالم الذي يُحلب لبنه، ﴿فَعَقَرُوهَا﴾.

٥ ـ يجب أخذ تحذيرات الأنبياء بجدية، ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ...﴾.

٦ ـ كل مَن يرضى بعمل غيره فهو شريكٌ له في الأجر أو في الذنب المترتب على عمله، فقد قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ على الرغم من أنَّ فرداً واحداً فقط هو الذي قتل الناقة.

٧ ـ ليس كل ندم يُقبل، ولا كل توبة تنفع (التوبة والندم لا ينفعان صاحبهما عند رؤية العذاب)، ﴿نَٰدِمِينَ... فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾.

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾

التعاليم:

١ ـ تبلغ أهميّة إهانة المقدّسات الإلٰهيّة حداً أنَّ قوماً يهلكون من أجل قتلهم حيوان واحد، ﴿فَعَقَرُوهَا... فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾.

٢ ـ جاء وصف أفضال الله وهباته كآيات للعِبرة، وغضبه وعذابه كذلك، ﴿لَءَايَةً﴾.

٣ ـ من الممكن أن يُعاند الإنسان الحق ولا يؤمن به حتى مع رؤية أعظم المعجزات الإلٰهيّة، ﴿لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٧٣.

٤ ـ إرسال الأنبياء وإظهار المعجزات وتعذيب الكفار المعاندين شأنٌ من شؤون سلطان الله تعالى، ﴿رَبَّكَ﴾.

٥ ـ لا يؤثِّر إيمان الناس أو كفرهم على الله تعالى، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾.

٦ ـ يعود السبب في غضب الله إلى أعمالنا نحن، وإلا فإنه رحمن رحيم، ﴿لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾

التعاليم:

١ ـ يجب تقديم الموضوعات الأصلية في كل كلام، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾.

(ذُكرت كلمة «كذَّبت» في بداية تاريخ الأنبياء جميعاً في هذه السورة، والسبب في هذا هو أنَّ الهدف من سرد تاريخ هؤلاء العظماء في هذه الآيات هو عرض تكذيب الأمم المعاندة للرُسل وذكر العقاب الإلٰهيّ لهم).

٢ ـ يُعدُّ تكذيب رسول واحد بمثابة تكذيب للرُسل جميعاً، ﴿كَذَّبَتْ... ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، (على الرغم من أن كل قوم كانوا يكذبون رسولهم فإن هذا التكذيب كان بمثابة تكذيب لسائر الرسل والأنبياء؛ لأنَّ هدفهم جميعاً واحد ولهم منهج واحد).

٣ ـ علاقة النبي بالناس علاقة أخوية، ﴿أَخُوهُمْ﴾.

٤ ـ الذي لا يمتلك التقوى بداخله يتعرض للضرر من كل ناحية، ولا يقبل الحق، ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾.

٥ ـ يجب على الأنبياء أن يبحثوا عن الناس ويذهبوا إليهم، وأن يعرضوا أهدافهم عليهم، ﴿أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ...﴾.

٦ ـ التقوى هي مهد قبول الحق والأرضية الصالحة لطاعة الأنبياء، ﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

٧ ـ لا يكتمل التدين بدون طاعة القيادة والامتثال لأوامرها، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

٨ ـ لا يؤثر الكلام في الناس كثيراً في حال النظر إلى أموالهم، ﴿مَآ أَسْـَٔلُكُمْ﴾.

٩ ـ إنّ الذي يستطيع أن يستغني عن الناس هو مَن يكون توكله على الله كبيراً، ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾

إشارات:

- وُصف قوم لوط في هذه الآيات بالمتجاوزين المُعتدين ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾، لكن عبارات مختلفة استخدمت في مواضع أخرى من القرآن لوصف هؤلاء القوم، منها قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾[1]، وقوله: ﴿قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾[2]، وقوله: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[3].
- القتل هو عقاب مَن يرتكب جريمة اللواط، فهذا العمل قبيح إلى حد أنَّه إذا مارس الإنسان الجنس مع حيوان فإن لحم هذا الحيوان يَحرم، ويجب أن يُذبح ثم يحرق لحمه.

التعاليم:

١ ـ يجب التعرف على المنكرات الشائعة في كل قوم وفي كل زمان عند النهي عن المنكر، والإصرار على منع الناس من إتيانها، ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ﴾.

٢ ـ يقتضي عرض الطرق المعروفة عند النهي عن المنكر، ﴿أَتَأْتُونَ... وَتَذَرُونَ... أَزْوَٰجِكُم﴾.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٨١.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٧٤.
(٣) سورة النمل: الآية ٥٥.

٣ ـ لا يجوز ترك الزوجة وغض الطرف عن احتياجاتها، ﴿وَتَذَرُونَ... أَزْوَاجِكُم﴾.

٤ ـ جعل الله طريق الفطرة الطبيعي من أجل إشباع الإنسان لغرائزه، ﴿خَلَقَ لَكُم﴾.

٥ ـ تحث الأديان السماوية الإنسان على الزواج وتشجعه عليه، ﴿خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم﴾.

٦ ـ يصنّف الزواج كمظهر من مظاهر ربوبيّة الله، ولمصلحة الإنسان، ﴿خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم﴾.

٧ ـ الانحرافات الجنسيّة تجاوزٌ وطغيان، والمثلية الجنسيّة واللواط اعتداء على القيم، ﴿عَادُونَ﴾.

٨ ـ لا بدّ من تكرار النهي عن المنكر والحث على الاستقامة من أجل إزالة المنكرات، ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾.

٩ ـ يجب الاستعداد لمواجهة تهديدات الآخرين عند نهيهم عن المنكر، ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾.

١٠ ـ يستخدم النفي كواحدٍ من أساليب الظالمين، ﴿مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾.

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «قالين» تعني الاستنكار وإظهار البُغض الشديد الذي ينبع من أعماق الروح.

التعاليم:

١ ـ يجب معارضة العمل القبيح، وليس الشخص المخالف، ﴿لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾

٢ ـ لم يكن الأنبياء يخافون أمام التهديد، وكانوا يقولون كلمتهم، ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾، فقد قال لوط عند تهديده بالنفي والإخراج من بلده: أنا عدو لما تفعلون.

٣ ـ يجب استنكار الفعل السيء بالقول والفعل معاً، ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم... رَبِّ نَجِّنِي﴾، نعم، فالإنكار وحده لا يكفي، بل يجب التفكير في النجاة من بؤرة الفساد.

٤ ـ لا يمكن تحمّل رجال الله للبيئة المدنسة، وإذا يئسوا من إصلاح محيطهم فإنهم ينجون بأنفسهم من ذلك المكان على الأقل، ﴿نَجِّنِي﴾.

٥ ـ يجب على الكبار في المجتمع أن يفكروا في أُسرهم وأصدقائهم، ﴿نَجِّنِي وَأَهْلِي﴾.

٦ ـ دعاء الأنبياء مُستجاب، ﴿رَبِّ نَجِّنِي... فَنَجَّيْنَٰهُ﴾.

٧ ـ قد لا ترتبط المرأة بزوجها في اختيار الطريق، ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾، (اختارت زوجة لوط طريق الضلال).

٨ ـ تقوم القوانين والقيم كلها في الأديان السماوية على أساس الضوابط وليس على أساس العلاقات والروابط، ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾، (تهلك زوجة النبي إذا انحرفت عن الصراط المستقيم، لأن المعيار هو الكفر والإيمان، وليس العلاقات والأنساب).

٩ ـ يجب فصل حساب المحيطين بالشخصيات وأقاربها عن حساب تلك الشخصيات أنفسها، ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾، (من الممكن أن يكون الإنسان نبيّاً ورسولاً من عند الله ولا يكون أقرباؤه على طريق الحق. فقد كانت زوجة لوط في بيت النبوة، ولكن فكرها كان فكراً ضالاً).

١٠ ـ يتساوى الجميع في العقاب، فزوجة لوط من بين الهالكين، ولم يكن لها أي امتياز خاص، ﴿فِي ٱلْغَٰبِرِينَ﴾.

١١ ـ عقاب الذين ينحرفون بمسيرة الزواج إلى اللواط هو أن تتحول أمطار الرحمة من فوقهم إلى أمطار عذاب، وأن يلقوا حتفهم بهذا العذاب، ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾.

١٢ ـ يُحذر الله الناس ويقيم عليهم الحجّة قبل أن يُنزل بهم العذاب، ﴿ٱلْمُنذَرِينَ﴾.

١٣ ـ تصبح الساحة ممهدة لنزول العذاب الإلٰهيّ بمجرد أن يخلو المجتمع من الصالحين، ﴿فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ... ثُمَّ دَمَّرْنَا﴾.

١٤ ـ تخضع الطبيعة للقدرة الإلٰهيّة (وهي نفسها القدرة التي تُنزِّل المطر من السماء، كما أنها تستطيع أن تُمطر حجارة أيضاً)، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾.

١٥ ـ التاريخ أساسٌ للعِبرة، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾.

١٦ ـ لا بدّ من التكرار في التربية (جاءت جملة ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ بعد رواية أحداث كل واحد من الرُسل في هذه السورة).

١٧ ـ يتبيّن أن أكثر الناس لا يقبلون النصيحة، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

١٨ ـ تكتسب القوة أهميّة حينما تقترن بالرحمة، ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾﴾

إشارات:

❑ كلمة «أيكة» تعني الغيضة أو الغابة، ويرى البعض أنَّ «أصحاب الأيكة» الذين ذُكروا أربع مرات في القرآن الكريم هم أنفسهم أصحاب «مَدين»، في حين يرى آخرون أنَّهم القوم الذين كانوا يعيشون في منطقة بالقرب من مَدين، وهذان القومان هما اللذان خاطبهما شعيبٌ عليه السلام.

❑ شعيب عليه السلام هو سابع رسول وردت قصته في هذه السورة، وكانت جُملة «قال لهم أخوهم...» هي الجُملة التي تكررت في هذه القصص كلها، لكن كلمة «أخوهم» لم تأت عند الحديث عن شعيب. وربما كان السبب في ذلك هو أنَّ شعيباً كان غريباً عن هؤلاء القوم[1].

---

(١) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ٢٤، ص ١٦٣.

التعاليم:

١ ـ كان الأنبياء جميعاً مُتفقين في الفكر والقول والوجهة، فقد تكررت الآيتان: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ و﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ في قصص هذه السورة كلها، والرسالة التي تحملها هذه الآيات هي نفسها الرسائل التي تحملها الآيات من ١٦٠ إلى ١٦٤.

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾

إشارات:

- استخدمت كلمة «كَيل» من أجل السوائل، وكلمة «قِسطاس» من أجل الأوزان، وكلمة «أشياءهم» من أجل الأشياء المعدودة وغيرها.
- نرى في هذه الآيات أمرين ونَهيين، وكل منهما يُكمل الآخر، ﴿أَوْفُوا... وَلَا تَكُونُوا﴾ ﴿وَزِنُوا... وَلَا تَبْخَسُوا﴾.
- ورد في الروايات أنَّ «**من باع عيباً لم يبيّنه لم يزل في مقت الله ولم تزل الملائكة تلعنه**»، وأنَّ من يخدع الآخرين بالمكر والحيلة فهو أسوأ الناس[1].
- التطفيف (إنقاص الحقوق) من المنكرات الاقتصاديّة الكُبرى التي يترتيب عليها آفات اللقمة الحرام كلها. والتطفيف ليس في البيع والشراء فقط، وإنما من المُمكن أن يُطفف البعض في التدريس والطب والإشراف والهندسة وشؤون الحياة الأخرى، وعدم أداء حقوق الآخرين كما ينبغي.

التعاليم:

١ ـ يمتد استخدام المكيال والميزان إلى تاريخ طويل جداً، ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ...﴾.

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

٢ ـ التطفيفُ حرامٌ، ومراعاة حقوق الناس واجبة، ﴿أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ...﴾.

٣ ـ كان الأنبياء يُراقبون سلامة النظام الاقتصادي في المجتمع، ﴿أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾.

٤ ـ تؤكد الأديان السماوية على العدالة الاجتماعيّة والاقتصادية، ﴿أَوْفُوا۟... وَزِنُوا۟﴾.

٥ ـ يجب أن يكون معيار التقييم عادلاً وصحيحاً في كل الأمور، ﴿بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾.

٦ ـ لا بدّ من مراعاة حقوق الناس جميعاً، وليس المؤمنين فقط، ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ﴾.

٧ ـ لا يجوز التطفيف في كل شيء، وليس بالمكيال والميزان فقط، ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾.

٨ ـ التطفيف نوع من الفساد، والذين يُلحقون الضرر الاقتصادي بالمجتمع مُفسدون في الأرض، لأن الفوضى الاقتصاديّة هي مصدر تفسخ النظام الاجتماعي وانهياره، ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

٩ ـ معرفة الانحرافات الموجودة في المجتمع هي الخطوة الأولى في إصلاحه، (الآيات كلها).

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾﴾

إشارات:

- كلمة «جِبِل» تعني الأمة أو الجماعة من الناس، وهكذا تقول الآية الثانية والستين من سورة يس: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ﴾، أي أن الشيطان أضلَّ منكم أمة كبيرة أو جماعة كبيرة، لأن كلمة «جَبَل» تعني الكيان المرتفع الثابت، وتُطلق كلمة «جِبلي» التي تعني فِطري على الأمم والأجيال القديمة أو التي لها طابع فِطري، والتي تثبت مثل الجبل.

التعاليم:

١ ـ الله الذي خلق الإنسان هو الجدير بالاحترام، ويجب أن نخشاه ونتّقيه، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾.

٢ ـ تمنع التقوى والإيمان الفساد الاقتصادي، والرزق على رب العباد، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾، (لاحظ الآيات السابقة حول التطفيف).

٣ ـ يجب عدم الاعتماد على آداب الأجداد وتقاليدهم الفاسدة، فنحن جميعاً من خلق الله، ويجب علينا أن نطيعه، ﴿خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

٤ ـ تدلّ الاتهامات على فقدان أصحابها للمنطق، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾.

٥ ـ يبرّر المُخالف دائماً خلافه (يصف المُخالفون الأنبياء بالمسحورين بدلاً من الاعتراف بالخطأ والكفّ عن العناد)، ﴿أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾.

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾

إشارات:.

❑ كلمة «كِسَف» التي وردت في القرآن الكريم أربع مرات هي جمع «كسفة»، والمراد بها هنا هو القطعة من السحاب. والمقصود بقوله تعالى «عذاب يوم الظلة» هو العذاب الذي وقع في يوم لجأ فيه الناس إلى الظل من شدة الحرارة، أو في يوم ألقت فيه السحابة بظلها من فوقهم.

❑ وردت عدة تفسيرات عن طبيعة عذاب قوم شعيب وكيفيته: يقول أحدها إنهم هلكوا بالزلزال[١]، ويقول آخر إنهم عُذبوا بالصيحة[٢]. وموضوع السحابة مطروح هنا. ويمكن الجمع بين التفسيرات الثلاثة، فالرعد والصوت الهادر

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٨٩. (٢) سورة هود: الآية ٩٦.

ينشآن عن السُحب، ويوقعان رعدة في أرواح الناس، أو يزهقانها بوقوع زلزال في الوقت نفسه. وربما كان الزلزال خاصّاً بأهل «مدين»، والسحابة السوداء خاصّة بأصحاب «الأيكة»، لأن شعيباً عليه السلام كان قد بُعث إلى القومين معاً، وذُكرت الرسالة إلى أهل مدين في سورة الأعراف، وهم الذين هلكوا بالزلزال، ولكن الذي ذُكر في هذه السورة هو الرسالة إلى أصحاب الأيكة.

التعاليم:

١ ـ تتّسم مطالبُ غِلاظ القلب ورغباتهم العنف أيضاً، ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

٢ ـ لا يلزم في أسلوب الدعوة والإرشاد أن نعمل طبقاً لميول المُخالفين ورغباتهم، ﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ...﴾، (كان هؤلاء الكفار يطلبون سقوط قطع من السماء عليهم، لكن الرسول يجيبهم قائلاً: ﴿رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

٣ ـ ذكر الله والتوكل عليه أفضل عون في مواجهة الكفار، ﴿قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ...﴾.

٤ ـ مصيرنا في أيدينا نحن، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ...﴾.

٥ ـ يحمي الله تعالى أنبياءه، ويُهلك مخالفيهم، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ﴾.

٦ ـ يدفع حُب الدنيا والرغبة في الحصول على المال الإنسانَ إلى عصيان الأنبياء ومعاندتهم، ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ... فَكَذَّبُوهُ﴾.

٧ ـ هدف القرآن الكريم من رواية التاريخ هو العِبرة وليس سرد القصص، ﴿لَءَايَةً﴾.

٨ ـ لا يسير أكثر الناس على طريق الحق، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

٩ ـ يجب على المُربي أن يتحلى بالعطف أيضاً بموازاة القوة، ﴿لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

١٠ ـ جاء تذكير النبي ﷺ بأن الله الذي حمى شُعيباً وأهلك مخالفيه، هو نفسه ربك أنت أيضاً، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾، (إن ذكر تاريخ نبي كشعيبٍ عليه السلام يواسي الرسول ﷺ ويشد من أزره، كما أنه يمثل تهديداً للكفار والأعداء).

١١ ـ هلاك مخالفي الأنبياء علامة على عزة الله وقدرته، كما أن المُهلة التي أمهلها لهم دليل على رحمته، ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾

إشارات:

- كلمة «زُبُر» من كلمة «زَبر» التي تعني الكتابة، وهي جمع «زبور» التي تعني الكتاب.
- لا ينبغي أن نستهين بالقرآن الكريم، لأنَّ:
  - أ ـ مصدره هو ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.
  - ب ـ واسطته هو ﴿ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾.
  - ج ـ وعاءه هو القلب الطاهر لرسول الله ﷺ ﴿قَلْبِكَ﴾.
  - د ـ هدفه هو إيقاظ الناس ﴿ٱلْمُنذِرِينَ﴾.
  - هـ ـ لغته هي اللغة العربيّة الفصيحة ﴿عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾.
  - و ـ بشارته هي في كُتب السابقين ﴿زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.
- كان إسماعيل وهود وصالح وشعيب عليهم السلام يتحدثون باللغة العربية[1].
- لمَلاك الوحي أسماء عدة في القرآن الكريم: الروح الأمين، روح القدس، شديد القوى، الرسول الكريم، جبريل.

تُطلق كلمة «روح» على جبريل عليه السلام لأنَّ روح الناس تستيقظ ويحيا الدين في نفوسهم عن طريقه، أو لأنه هو نفسه مخلوق روحاني.

التعاليم:

١ ـ نزل القرآن الكريم بالوحي الإلَهي، وليس مما سمعه الرسول أو من نسج خياله، ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ﴾.

---

(١) تفسير منهج الصادقين.

٢ ـ نزل القرآن من عالم الغيب إلى عالم الشهود، ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٣ ـ الذي يُنزل الوحي هو نفسه الذي يُدير الكون كله ويرعاه (القوانين السماوية تتناسب مع نظام الخلق)، ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٤ ـ إنّ نزول الوحي وسيلة من وسائل الرشد ومن صلاحية الربوبيّة، ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٥ ـ تقوم السُنَّة الإلٰهيّة على استخدام الوسائط، ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾.

٦ ـ نزل الوحي الإلٰهيّ كاملاً غير منقوص، ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾.

٧ ـ القلب هو مركز استقبال الحقائق، ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾.

٨ ـ لا نستطيع أن نُحذر الناس من الشيء تحذيراً جديّاً ما لم نؤمن بذلك في أعماق روحنا، ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾.

٩ ـ جرت سُنَّة الله على إرسال الرُسل من أجل الإنذار والتحذير، ﴿مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾.

١٠ ـ علاج الغافل هو الإنذار والتحذير، ﴿مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾، ولهذا جاء الإنذار أكثر من البشارة في القرآن الكريم.

١١ ـ يجب أن تكون الدعوة واضحة وبلغة الناس المدعوّين، ﴿عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾.

١٢ ـ وردت البشارة بالقرآن في الكُتب السماوية السابقة، ﴿زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، كما كانت البشارة بمجيء رسول الإسلام في التوراة والإنجيل، ﴿ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾[1].

١٣ ـ يجب تجهيز الساحة في التخطيط والإدارة من أجل رشد أبناء المستقبل وهدايتهم ونشاطهم، ﴿زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

١٤ ـ ورد مضمون القرآن ومحتواه في الكُتب السماوية السابقة، ولكن ألفاظه نزلت على القلب المبارك لرسول الله ﷺ، ﴿زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾﴾

إشارات:

❑ عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾: «**لو نزّلنا القرآن على العجم ما آمنت به العرب، وقد نزل على العرب فآمنت به العجم، فهذه فضيلة العجم**»[1].

التعاليم:

١ ـ عُذر الجاهل غير مقبول، ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً﴾، (وأنتم تستحقون اللوم والتوبيخ إذا لم تسألوا علماءكم).

٢ ـ كان علماء بني إسرائيل على علم بأن القرآن حق، ﴿يَعْلَمَهُ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

٣ ـ يجب الاهتمام بمشاعر الأمة التي تدعى للإيمان ولغتها عند دعوتها وتعليمها، ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾.

٤ ـ يحولُ التعصب والعنصرية دون قبول الحق، ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ... مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾.

٥ ـ يزداد التعصب والقوميّة عند العرب، ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ... مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾

إشارات:

❑ ورد في الروايات أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله رأى في منامه بني أمية يصعدون على منبره

(١) تفسير كنز الدقائق.

من بعده ويُضلون الناس عن الصراط القهقرى، فأصبح كئيباً حزيناً، فهبط جبرئيل عليه السلام فقال: يارسول الله مالي أراك كئيباً حزيناً. قال: يا جبرئيل إني رأيت بني أمية في ليلتي هذه يصعدون منبري من بعدي يُضلون الناس عن الصراط القهقرى. فقال: والذي بعثك بالحق نبياً إنى ما اطلعت عليه. فعرج إلى السماء فلم يلبث أن نزل عليه بآيٍ من القرآن يونسه بها، قال: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾[1].

التعاليم:

١ ـ يُقيم الله تعالى الحجَّة حتى على الكفار، ويعرض عليهم القرآن، ويُمرره على قلوبهم، ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾.

٢ ـ لن يكون للقرآن فائدة إذا لم يكن هناك استعداد واستحقاق لتلقّيه، ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٣ ـ يقضي الجرم والذنب كل منهما على فرصة الهداية، ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٤ ـ لو كان القرآن قد نزل بلسان أعجمي لما آمن به العرب المشركون في مكة، وها هم الآن لا يؤمنون به على الرغم من نزوله بلسان عربيّ مُبين ودخول موضوعاته إلى قلوبهم، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾.

٥ ـ لا فائدة من الإيمان في لحظة الاضطرار، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا ٱلْعَذَابَ﴾.

٦ ـ يجب عدم الاغترار بإمهال الله؛ لأن الموت يأتي بغتة، والعذاب الإلٰهيّ يقع فجأة، ﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾.

٧ ـ يطلب المُجرم الإمهال عند الموت، ﴿هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾.

٨ ـ سوف يستيقظ الوجدان النائم ذات يوم، ﴿هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾.

٩ ـ يطلب الذين يتعجلون رؤية العذاب الإلٰهيّ ذات يوم مُهلة من أجل الأمان من العذاب، ﴿مُنظَرُونَ... يَسْتَعْجِلُونَ﴾.

١٠ ـ الإمهال لا يُفيد أصحاب القلوب السوداء، ﴿مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ... جَآءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾.

---

(١) انظر: الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ٣١٥ وما بعدها.

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾

إشارات:

- إنَّ الله تعالى يُهلك الفرد أو الأمّة الضالة بعد أن يكون قد أنذرهم من قبل، وإلا فإن العقوبة بلا إنذار وتحذير ظلم، والظلم لا يجوز عند الله سبحانه. وقد بيَّن القرآن الكريم هذه الحقيقة في آيات مختلفة:

- ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾[١].
- ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا﴾[٢].
- ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾[٣].
- ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾[٤]، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾[٥] لن يلحق بهم أقل القليل من الظلم.
- ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[٦] الله لا يظلمهم بقدر الخيط في شق النواة ولا بأقل من ذلك.
- ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[٧].

التعاليم:

١ ـ لا فائدة لمظاهر الإقبال والسعادة كلها عند نزول العذاب الإلٰهيّ، ﴿مَآ أَغْنَىٰ﴾.

٢ ـ لا ينبغي أن تُحزنكم رفاهية أعداء الدين، فسوف يُسلبونها ذات يوم، ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾.

---

(١) سورة النحل: الآية ١١٨.
(٢) سورة غافر: الآية ٣١.
(٣) سورة العنكبوت: الآية ٤٠.
(٤) سورة النساء: الآية ١٢٤.
(٥) سورة مريم: الآية ٦٠.
(٦) سورة النساء: الآية ٤٩.
(٧) سورة النساء: الآية ٤٠.

٣ ـ ينزل العذاب الإلٰهيّ بعد إتمام الحجَّة، فالعقاب يكون بعد التذكير، ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا... إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾.

٤ ـ يحذّر أولياء الله في كل أمة الناسَ وينذرونهم، ﴿مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾.

٥ ـ وظيفة الأنبياء هي الإنذار، ولا شأن لهم بقبول الناس أو إعراضهم، ﴿مُنذِرُونَ﴾.

٦ ـ يُدرك الإنسان الحقائق بالفطرة؛ لكنه كثيراً ما يغرق في الغفلة، وعلاج هذه الغفلة هو التذكير والإنذار، ﴿مُنذِرُونَ﴾.

٧ ـ العقاب قبل الوعظ والتذكير هو ظلم، ﴿ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

٨ ـ الله سبحانه وتعالى مُنزّه عن الظلم، ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾

إشارات:

□ **الوحي نوعان:**

أ ـ الوحي الإلٰهيّ الذي يتنزل على قلب الرسول ﷺ عن طريق الروح الأمين، وهذا النوع من الوحي لا يصح للجنّ أو الشياطين، وليست لديهم القدرة على استقباله أو إرساله، ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾.

ب ـ النوع الثاني من الوحي هو الوساوس والهواجس الشيطانية التي يُلقي بها الشيطان إلى أوليائه، ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾[1].

□ يتمتع القرآن بالقوة والمقام العظيم والقداسة والحفظ الخاص، لأن الذي نزل به هو الروح الأمين، وهو آمن من السطو ﴿لَمَعْزُولُونَ﴾ والذي تلقّاه معصوم ﴿وَمَا

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢١.

يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾[١]، وهو محفوظ، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[٢].

❑ لقد عرض المشركون على الرسول ﷺ أن يجعلوه رئيساً عليهم إذا دعا إلى أصنامهم وأبدى لها الاحترام، ونزلت الآية لتطلب منه أن يُيئس الكفار من تحقيق ما يريدون، ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾.

التعاليم:

١ ـ يجب الردّ على الاتهامات ردّاً حاسماً ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ﴾، فقد كان المشركون يظنون أن إلقاء الآيات من عمل الشياطين.

٢ ـ قداسة الوحي مُنزهة عن خبث الشياطين، ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ﴾.

٣ ـ قدرة الجن والشياطين محدودة، ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾.

٤ ـ يجب عدم دخول الأغراب إلى الأماكن المقدّسة، ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾.

٥ ـ يُنزل الله مَلاك الوحي عندما يتوفر الاستعداد والطهر والقدرة، ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾، ولكن إذا لم يكن هناك استعداد فحتى الصعود إلى السماء نفسه سوف يكون مصحوباً بالحسرة والحرمان، ﴿لَمَعْزُولُونَ﴾، ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ﴾[٣].

٦ ـ الهدف النهائي من نزول القرآن هو التوحيد، ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ... فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ﴾.

٧ ـ ينهى الله رسولَه عن الشِرك حتى نتعلم، وإلا فإن الرسول لم يبحث عن أحد غير الله لحظة واحدة (إياكِ أعني واسمعي يا جارة)، ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ﴾.

٨ ـ لا تتعارض عصمة الأنبياء مع حريتهم وقدرتهم على الاختيار (الرسول معصوم، ولكنه يستطيع أن يبحث عن غير الله، ولهذا ينهاه الله عن ذلك)، ﴿فَلَا تَدْعُ﴾.

---

(١) سورة النجم: الآية ٣.

(٢) سورة الحجر: الآية ٩.

(٣) سورة الحجر: الآية ١٨.

٩ ـ يجب على قادة التوحيد أن يكونوا أول الموحّدين، ﴿فَلَا تَدْعُ﴾.

١٠ ـ ليس هناك من يستحق العبادة غير الله، بشراً كان أو حجراً، ﴿إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾.

١١ ـ تسبّب الشِرك في هلاك الأمم السابقة، ﴿فَلَا تَدْعُ... فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾، (أي تُصبح مع المعذبين من قبل).

١٢ ـ يترتب العذاب الأليم على البحث عن معبود غير الله، ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾.

١٣ ـ تحذر الآيات الإلٰهيّة الشخصيات العظيمة أيضاً، ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾.

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾﴾

إشارات:

- دعا الرسول الأكرم ﷺ أقاربه بعد أن نزلت الآية ٢١ واتخذ لهم طعاماً، ثم بدأ يُحدثهم بعد أن أكلوا، فنهاهم عن الشِرك وعبادة الأصنام[١].
- ربما كانت كلمة «عَشيرة» تُستخدم في الحديث عن الأقارب بسبب معاشرة الأهل بعضهم لبعض.
- يتقدّم أقارب الإنسان على غيرهم عند الإحسان إلى الآخرين (كما في التزاور والإنفاق والإقراض والإرشاد والأمر بالمعروف)، ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾.
- ورد خفض الجناح في القرآن الكريم في موضعين: الأول للنبي مع المؤمنين ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾، والآخر للابن مع والديه، لكن وردت كلمة «ذُلّ» أيضاً في خفض الولد جناحه لأبويه، ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾[٢].
- تدخل النساء في زُمرة المخاطبين في آية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، لأن كلمة «عشيرتك» تشتمل على الرجل والمرأة، وقد نقل تفسير الميزان عن الطبراني أن الرسول ﷺ كان قد دعا النساء أيضاً.

---

(١) مجمع البيان، مج ٧ ـ ٨، ص ٣٢٢. (٢) سورة الإسراء: الآية ٢٤.

التعاليم:

١ ـ تترتب على علاقة القرابة مسؤولية أكبر، ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ﴾.

٢ ـ كل الناس في مدرسة الوحي سواسية كأسنان المشط أمام قانون الله، وها هم أقارب الرسول يُوجه إليهم الإنذار أيضاً، ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ﴾.

٣ ـ ابدأوا بأنفسكم أولاً عند الدعوة والنهي عن المنكر ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ﴾ ثم الأقارب، ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ﴾.

٤ ـ يجب أن يكون الإرشاد والدعوة بصراحة، ﴿وَأَنذِرْ﴾.

٥ ـ لا يجب أن تمنعنا العلاقات الأسرية من النهي عن المنكر، ﴿وَأَنذِرْ﴾.

٦ ـ يُتيحُ تحذير الأقارب فرصة قبول الحق عند الآخرين (سيقول الناس: إنه يقول هذا الكلام لأقاربه أيضاً)، ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ﴾.

٧ ـ الأولوية لها مكانها بين الأقارب أيضاً، ﴿ٱلْأَقْرَبِينَ﴾..

٨ ـ تزداد فرصة قبول الحق بين الأهل والأقارب بسبب المعرفة العميقة والثقة الكبيرة، ﴿ٱلْأَقْرَبِينَ﴾.

٩ ـ يجب أن يقترن التحذير بالشفقة والمحبة، ﴿وَأَنذِرْ... وَٱخْفِضْ﴾.

١٠ ـ التواضع مع الأعوان والأتباع والخدم من الصفات اللازمة للزعيم والداعية، ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾.

١١ ـ يكون التواضع مع المؤمنين، والبراءة من المشركين، ﴿وَٱخْفِضْ... فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ﴾.

١٢ ـ يكفي لبيان أهميّة التواضع أن يأمر الله تعالى الرسول به، ﴿وَٱخْفِضْ﴾.

١٣ ـ اتّباع الرسول من لوازم الإيمان بالله تعالى، فقد قال تعالى: ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ولم يقل سبحانه: «للمؤمنين».

١٤ ـ يتبوأ المؤمنون مقاماً رفيعاً إلى حد أنَّ رسول الله ﷺ يؤمر بالتواضع لهم، ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

١٥ ـ معيار التعامل هو الإيمان والكفر، وليس الانتساب إلى أسرة (أنذر أقاربك ولكن تواضع للمؤمنين)، ﴿وَأَنذِرْ... وَٱخْفِضْ﴾.

١٦ ـ التواضع لا يكون بالقول فقط، وإنما بالعمل أيضاً، ﴿جَنَاحَكَ﴾.

١٧ ـ معيار الولاء والبراء هو طاعة رسول الله، ﴿ٱتَّبَعَكَ... عَصَوْكَ﴾.

١٨ ـ لا تكفي الكراهية القلبية للكفر، بل لا بد من الجهر بذلك بالقول، ﴿فَقُلْ﴾.

١٩ ـ مَن يتوكل على الله يستطعْ أن يُعلن براءته وكراهيته لأعمال الكفار وتجَاهُل الأهل والأقارب، ﴿بَرِيٓءٌ... وَتَوَكَّلْ﴾.

٢٠ ـ يجب أن نعتمد على القوي المقتدر الذي يحبنا، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾

إشارات:

❑ كلمة «أفَّاك» تعني الكذّاب (كثير الكذب).

❑ المُراد من قيام الرسول ﷺ في الآية ٢١٨ هو القيام من أجل الصلاة أو القيام من أجل الإنذار والدعوة. وهكذا يقول الإمام الباقر عليه السلام: «**الذي يراك حين تقوم في النبوة**»[١].

❑ وربما كان المقصود من الآية ٢٢٣ هم الشياطين الذين ينزلون على الفاسدين، ويُلقون السمع من أجل التعرف على أخبار السماء، على الرغم من أنهم يُقذفون بالشهب لردهم.

❑ وعن الإمام الباقر عليه السلام إن المقصود بجملة ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ هو أن الله «**يرى تقلبه في أصلاب النبيين من نبي إلى نبي حتى أخرجه من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم عليه السلام**»[٢].

---

(١) تفسير القمي، ج٢، ص ١٢٥.
(٢) بحار الأنوار، ج ١٥، ص ٣.

□ ولما كان المشركون يظنون أن نزولَ الوحي هو نزولٌ من الشياطين على النبي ﷺ فإن الله تعالى يقول جازماً: الشياطين تنزل على الأفاكين المُجرمين، وليس على الرسول المعصوم. ولدينا بناءً على هذا نوعان من النزول: أحدهما نزول الوحي عن طريق المَلاك الأمين ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾، والآخر هو نزول الشياطين على المُدنسين، ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾.

التعاليم:

١ ـ يواسي الله تعالى رسوله بتذكيره أنه يراه ويرعاه، ﴿يَرَىٰكَ...﴾.

٢ ـ يحظى الإنسان باهتمام خاص من الله عند دخوله في الصلاة، ﴿يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾.

٣ ـ السجود أهم ركن في الصلاة، ﴿فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾.

٤ ـ علينا أن نتوكل على الذي يرى حركاتنا وعباداتنا بالإضافة إلى توفُّره على العزة والرحمة وكونه السميع العليم، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ... ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

٥ ـ علينا أن نوقظ انتباه المُخاطَبين ونلفت أسماعهم بالسؤال عند دعوتهم، ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾.

٦ ـ تصاحب الحالات النفسية والقدرات والكفاءات المختلفة أنواع مختلفة من النزول، ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ... تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾.

٧ ـ مُتلقي الوحي ليس مجرد قلب، بل هو القلب الطاهر للرسول ﴿قَلْبِكَ﴾ أمَّا متلقي الوساوس الشيطانية فهو كل قلب فاسد، ﴿كُلِّ أَفَّاكٍ﴾.

٨ ـ تكرار الذنب وامتزاجه بخُلق الإنسان وطباعه أسوأ من الذنب نفسه، ﴿أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾.

٩ ـ علامة المُجرم المُدنس هي أن يترك أذنه لكل قول تسمعه، ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾.

١٠ ـ الكذب مصدر كثير من الذنوب، وهو أخطر منها، ولهذا فإن قلب الكاذب الأفاك مهبط للشيطان، ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾.

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾

إشارات:

- كلمة «غاوون» من «الغيّ»، وهي ضد الرشد، وهكذا يقول القرآن الكريم في موضع آخر: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾[(١)].

- جاء في كتاب الاعتقادات للشيخ الصدوق نقلاً عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سُئل عن قول الله عز وجل: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ فقال: «**هم القُصّاص**»[(٢)].

- هذه الآيات تُدين الكفار لأنهم كانوا يرون أن القرآن الكريم صنيعة للوهم ونسجٌ من الخيال، وكانوا يصفون الرسول صلى الله عليه وآله بالشاعر، فأتباعُ الشعراء ضالون، أمّا أتباع الرسول فليسوا كذلك. والشعراء يهيمون على وجوههم بلا هدف، ولا يعملون بما تقوله ألسنتهم، أمّا الرسول فليس على هذا النحو، والتوافق بين قول رسول الإسلام وسلوكه دليل على أنه ليس شاعراً.

- رُوي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال في قول الله عز وجل: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾: «**هل رأيت شاعراً يتبعه أحد؟ إنما هم قوم تفقهوا لغير الدين فضلّوا وأضلّوا**». وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**هم قوم تعلموا أو تفقهوا بغير علم فضلوا وأضلوا**». كما أنَّ القصاص يشملهم التوبيخ الوارد في الآية[(٣)].

- ربما يُمكن اكتشاف علاقة بين الشيطان الكاذب والشاعر الهائم على وجهه الذي يقول لغواً لأن الشعراء الذين لا هدف لهم قد ورد ذكرهم إلى جوار الأفّاكين الذين تنزل عليهم الشياطين.

- وطبقاً لما تقوله الروايات فإن الإمام الصادق عليه السلام قد سُئل عن الذكر الكثير

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

(٢) تفسير كنز الدقائق، عند تفسير الآية.

(٣) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٧١.

فقال: «**من سبح تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام فقد ذكر الله الذكر الكثير**»[١]. أي: «الله أكبر» أربع وثلاثين مرة، و«الحمد لله» ثلاث وثلاثين مرة، و«سبحان الله» ثلاث وثلاثين مرة.

- وورد في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**من أشدّ ما فرض الله على خلقه ذكرُ الله كثيراً، ثم قال: لا أعني سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وإن كان منه، ولكن ذكر الله عندما أحلَّ وحرَّم، فإن كان طاعة عَمل بها وإن كان معصية تركها**»[٢].
- ونقرأ في الحديث أنهم لما صلبوا رأس الحسين عليه السلام على الشجرة سُمع منه: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ...﴾. وعن الصادق عليه السلام: «**وسيعلم الذين ظلموا آل محمد حقهم**»[٣].

الشعر والشعراء:

- نستعرض هنا جملة من الموضوعات حول الشعر والشعراء بمناسبة الآيات الأخيرة من هذه السورة:
- نُقل عن تفسير البيضاوي أن هذه الآيات ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ...﴾ قد نزلت في شعراء الجاهلية؛ لأن «أكثر مُقدماتهم خيالات لا حقيقة لها وأغلب كلماتهم في النسيب بالحرام والغزل والابتهار وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والإطراء فيه».
- الفرق بين الحكيم والشاعر هو أن الحكيم ينظر في المعاني أولاً، ثم يوظف الكلمات للتعبير عنها، أمَّا الشاعر فإنه ينظر إلى القالب والألفاظ أولاً، ثم يعبر بها عن المعاني[٤].
- جاء في الروايات أن الشعر الجيد يُناصر الحق، ويُعد خيراً من الجهاد بالسيف والسِنان، ويحظى بالمدح والثناء[٥].

---

(١) معاني الأخبار، ص١٩٣.
(٢) تفسير كنز الدقائق، عند تفسير الآية.
(٣) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٧٤.
(٤) لغت نامه، دهخدا.
(٥) تفسير كنز الدقائق.

ـ رُوِي عن رسول الله ﷺ: **«إنَّ من الشعر لحكمة وإنَّ من البيان لسحراً»**[١].

ـ وعن الرسول الأكرم ﷺ للشاعر الملتزم «حَسَّان بن ثابت»: **«قل وروح القدُس معك»**[٢].

ـ وقال ﷺ ليلةً وهو في سفر: أين حسان بن ثابت. فقال: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: خذ فجعل ينشده ويصغي إليه حتى فرغ من نشيده، فقال رسول الله ﷺ: **«لهذا أشد عليهم من وقع النبل»**. ويُروى أن النبي قد جعل لحسان بن ثابت منبراً في المسجد يُنشد عليه الشعر[٣].

ـ وكان الإمام الصادق عليه السلام يقول: **«يا معشر الشيعة علّموا أولادكم شعر العبدي فإنه على دين الله»**[٤].

ـ عن الإمام الصادق عليه السلام: **«من قال فينا بيت شعر بنى الله له بيتاً في الجنّة»**[٥].

ـ وعنه أيضاً عليه السلام: **«يُكره رواية الشعر للصائم وللمُحرم، وفي الحرم وفي يوم الجمعة وأن يُروى بالليل. قيل: وإن كان شعر حق؟ قال عليه السلام: وإن كان شعر حق»**[٦].

ـ ونقرأ في الروايات أن أصدق كلمة قالتها العرب كلمة لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطلٌ وكل نعيم لا محالة زائل[٧]

ـ وجاء في الحديث: حين أنزل الله تبارك وتعالى في الشعر ما أنزل أتى بعض الشعراء إلى النبي ﷺ فقالوا إن الله تبارك وتعالى قد أنزل في الشعر ما قد علمت وكيف ترى فيه؟ فقال النبي ﷺ: **«إن المؤمن يُجاهد بسيفه ولسانه»**[٨].

التعاليم:

١ ـ ليس المهم اجتذاب الناس، ولكن المُهم هو أن نعرف من هم الذين يُجتذبون وإلى أي هدف يُجذبون، ﴿يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾.

---

(١) التفسير المنير.
(٢) تفسير كنز الدقائق.
(٣) تفسير روح المعاني.
(٤) تفسير كنز الدقائق.
(٥) بحار الأنوار، ح ٧٩، ص ٢٩١.
(٦) الوسائل، ج ٧، ص ١٢١.
(٧) تفسير المواهب العليّة.
(٨) تفسير منهج الصادقين.

٢ ـ الإسلام لا يُعارض الفن، بل يُعارض الشعر الذي لا هدف له، ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾.

٣ ـ إذا لم يكن الشعر مقروناً بالإيمان والتقوى تجرُّ الخيالات الشعرية والمشاعر الشخصيّة وميول الناس ورغباتهم الشاعرَ كل يوم إلى واد مختلف، ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾.

٤ ـ إضلال الناس وشغلهم بالأمور المختلفة هو الشيء الذي ينتقد، ﴿يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ... فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾، سواء كان هذا في مجال الشعر أو القصة أو الفيلم أو التصوير أو المسرح أو الكوميديا أو الخطابة، لكن الشعر أكثر تأثيراً بسبب جماله وسماته الخاصة.

٥ ـ آفات الشعر عديدة، وهي: اتّباع الغاوين ﴿يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾، وانعدام الهدف ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾، والركون إلى القول دون العمل، ﴿يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾.

٦ ـ إذا لم يوضع الشعر إلي جوار الإيمان فسيصبح مهداً مناسباً وطريقاً مُمهداً لحركة المنحرفين الضالين، ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ... إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

٧ ـ تقديم نماذج الحق والباطل وتعريفها من أساليب الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ... إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

٨ ـ انتقد القرآن الكريم الشاعر الذي يقول بلسانه ما لا يفعله، ﴿يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾.

٩ ـ يجب مراعاة الإنصاف، وعدم غضّ الطرف عن حق الصالحين من كل طبقة أو جماعة، فالشعر والفن ذو قيمة في يد الصالحين، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

١٠ ـ ينقذ الإيمان والعمل الصالح وذكر الله الفنان والشاعر من الانحراف، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾.

١١ ـ يؤيّد القرآن الشعرَ الذي يصدر عن الشاعر المؤمن العامل الذاكر لله تعالى، والذي يسعى في سبيل تحريك الناس من أجل الدفاع عن الحق، ﴿ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟... وَٱنتَصَرُوا۟...﴾.

١٢ ـ يتقدم الإيمان على العمل، ويجب أن تكون الأعمال صالحة أيضاً حتى تكون نافعة، ﴿ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

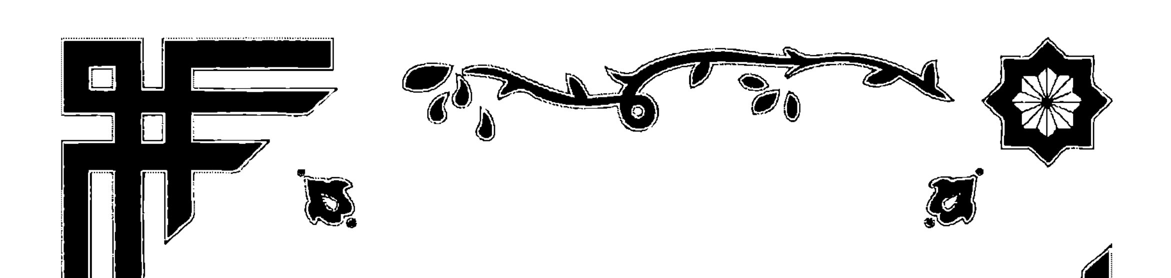
١٣ ـ لا يتقيّد ذكر الله غير بزمان أو مكان أو مقدار (في أي مكان، وفي أي زمان، ومهما كثُر)، ﴿وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾.

١٤ ـ يجب أن يزيد ذكر الله تعالى كلما زاد خطر الانزلاق في الخطأ، ﴿وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾.

١٥ ـ يمكن مواجهة الظالمين بالفن والشعر، ﴿وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾.

١٦ ـ يرصد الله تعالى الظالمين، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾.

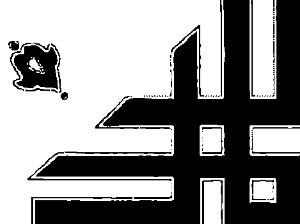
«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ النَّمْلِ

السورة: ٢٧ الجزء: ١٩ ـ ٢٠

عدد الآيات: ٩٣

ملامح سورة النمل

تشتمل هذه السورة على ثلاث وتسعين آية، والاسم الذي تُعرف به هو سورة «النمل»، وذلك استناداً إلى الآية ١٨ التي تقص علينا ما حدث بين النملة وسليمان عليه السلام. وتُسمى هذه السورة سورة «سليمان» و«طاسين» أيضاً.

نزلت هذه السورة كلها في مكة في أحداث ومناسبات مختلفة، وجاءت فيها البسملة «بسم الله الرحمن الرحيم» مرتين، الأولى في بداية السورة، والثانية في الآية ٣٠ في بداية رسالة سليمان عليه السلام إلى ملكة سبأ.

ذُكر في هذه السورة جهاد رُسل الله الأربعة الكبار (موسى وسليمان وصالح ولوط عليهم السلام) مع أقوامهم الضالين في زمانهم، وأكثر الأحداث تفصيلاً هو ما وقع بين سليمان عليه السلام وملكة سبأ، وكيفية إيمانها بالله تعالى.

واختص قسم آخر من آيات هذه السورة بحديث طائر كالهدهد وحشرة كالنملة ووجود نفر من الجنّ في جيش سليمان وبلاطه، وفي النهاية إحضار عرش بلقيس من اليمن إلى بلاد الشام في طرفة عين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣﴾

إشارات:

❑ للزكاة معنيان: المعنى الأول هو المعنى الخاص، وهو الزكاة المعروفة، والآخر هو المعني العام، وهو مساعدة المحتاجين بأي شكل. والمقصود في هذه الآية هو المعنى الثاني للزكاة، لأن هذه السورة نزلت في مكة، في حين أن الأمر بالزكاة الرسمية قد صدر في المدينة، ﴿يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

❑ كلمة «مُبين» من «الإبانة» وهي كلمة تُستخدم بمعنى «واضح» وهو ما يُعرف اصطلاحاً بالمعنى اللازم، وتُستخدم أيضاً بمعنى «مُوَضِّح»، وهو ما يُعرف اصطلاحاً بالمعنى المُتعدي.

التعاليم:

١ ـ من السُنن الإلٰهيّة أن يوضع الوحي بكل ما له من عظمة ومقام رفيع في متناول الإنسان، ﴿تِلْكَ﴾.

٢ ـ حركة الأنبياء ثقافية، ومصحوبة بالقراءة والكتابة، ﴿ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.

٣ ـ القرآن كتاب عظيم جداً، فقد وردت كلمة «كتاب» بدون الألف واللام، وانتهت بالتنوين، وهو ما يدل على العظمة.

٤ ـ يمكن للناس أن يفهموا القرآن الكريم، ﴿كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

٥ ـ يجب أن يقترن الإرشاد والدعوة بالمحتوى الواضح والأسلوب الصريح والقاطع، ﴿تِلْكَ... مُّبِينٍ﴾.

٦ ـ الهداية على مرحلتين: الهداية الأوّلية ﴿هُدًى﴾ والهداية التكميلية ﴿هُدًى... لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٧ ـ من مميزات القرآن أنه مكتوب ﴿وَكِتَابٍ﴾ وواضح مُبين، ﴿مُّبِينٍ﴾؛ ويهدي الناس، ﴿هُدًى﴾؛ ويبشرهم، ﴿بُشْرَىٰ﴾.

٨ ـ الرسالة الأصلية للقرآن هي الهداية والبشارة، واهتمام القرآن بالعلوم والقضايا الأخرى أمرٌ ثانوي، ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ﴾.

٩ ـ الإيمان هو مفتاح الهداية والنجاح، ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

١٠ ـ الاستحقاق شرط أصلي من شروط الهداية، ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

١١ ـ يجب احترام الصالحين وتبجيلهم لإشاعة الخير والصلاح، ﴿ٱلَّذِينَ...﴾.

١٢ ـ المحور في التكريم هو عمل الناس، وليس الاسم أو المنصب والمكانة، ﴿يُقِيمُونَ... يُؤْتُونَ...﴾.

١٣ ـ العمل دليل على الإيمان، ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ﴾.

١٤ ـ حتى المؤمن من أهل الصلاة والزكاة يحتاج إلى الهداية الإلٰهيّة من أجل الاستمرار في عمله، ﴿هُدًى... لِلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ﴾، ويحتاج الإنسان يوم القيامة أيضاً إلى مرحلة من مراحل الهداية، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾[1].

١٥ ـ تزداد قيمة الصلاة حينما تُقام كاملة مستوفية شروط الصحة، ﴿يُقِيمُونَ﴾، (معنى إقامة الصلاة هو أداؤها بشروطها).

١٦ ـ تتقدّم العلاقة مع الله على العلاقة مع الناس، ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، (جاءت الصلاة قبل الزكاة).

١٧ ـ ذُكرت الصلاة أولاً؛ لأنَّ إقامة الصلاة والعلاقة مع الله يُمهدان الطريق لباقي أعمال الخير، ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

١٨ ـ المواظبة على العمل تكسبه قيمة، ﴿يُقِيمُونَ... يَأْتُونَ﴾، (الفعل المضارع علامة على الاستمرار والمداومة).

(١) سورة يونس: الآية ٩.

١٩ ـ من مميزات الإسلام أن المسائل الإلٰهيّة والبشرية، والقضايا المعنوية والمادّية، وأمور الدنيا والآخرة، قد وضعت إحداها بجوار الأخرى، ﴿ٱلصَّلَوٰةَ... ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

٢٠ ـ يجب أن تُطرح على الناس عند دعوتهم، الأمورُ التي لا تُكلفهم إنفاقاً (الصلاة أولاً ثم الزكاة)، ﴿ٱلصَّلَوٰةَ... ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

٢١ ـ يشعر المؤمن بالمسؤولية تجاه القضايا الاجتماعيّة واحتياجات المحرومين والجياع، ﴿يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

٢٢ ـ من المفيد تكرار الكلام كلما لزم الأمر (جاءت الصلاة والزكاة مع كلمة واحدة هي «الذين»، في حين استخدمت كلمة «هُم» مرتين مع اليقين بالمَعاد)..

٢٣ ـ ترتفع قيمة الصلاة والزكاة حينما يقترنان بالإيمان وبالمَعاد، ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ﴾.

٢٤ ـ أهل اليقين فريق خاص من الناس، ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾، (تكرار كلمة «هُم» دليل على أن هذا الفريق فريق خاص من الناس).

٢٥ ـ المؤمنون هم الفائزون؛ فهم يَبْنون أنفسهم بالصلاة، ويحلّون مشكلات مجتمعهم بالزكاة، ويقومون بتأمين مستقبلهم بيقينهم في المَعاد، ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ... ٱلزَّكَوٰةَ... يُوقِنُونَ﴾.

٢٦ ـ يتحوّل العلم إلى نسيان، أمَّا اليقين فإنه يقترن بالاهتمام الدائم، ﴿يُوقِنُونَ﴾.

٢٧ ـ لا يكفي الاعتقاد والعلم، بل لا بد من الإيمان القلبي واليقين، ﴿يُوقِنُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾﴾

إشارات:

❑ نُسب تزيين الأعمال القبيحة إلى الله تعالى في هذه الآية وفي الآية ١٠٨ من سورة الأنعام، في حين عدَّ القرآن الكريم هذا الأمر من عمل الشيطان في

مواضع أخرى. ويرجع السبب في ذلك إلى أنَّ الله تعالى وضع نظام الكون على أساس العلل والأسباب، ويمكن نِسبة الأعمال التي تقع، إلى واحد من هذه العلل والأسباب. فيمكن على سبيل المثال أن نقول: فتح المفتاحُ البابَ، ويمكن أن نقول: فتحتْ يدي البابَ، ويمكن أن نقول: فتحتُ الباب بنفسي؛ وذلك لأن المفتاح في يدي، ويدي تحت تصرفي. والشيطان يُزين هنا أيضاً العمل القبيح، ويُظهره في صورة جميلة، ولكن الإنسان يعتاد هذا العمل القبيح بتكراره، والتعود على العمل بعد تكراره سُنَّة إلَهية.

سمات الخاسرين:

❑ الخاسرون على أنواع عدّة:

أ ـ خاسر؛

ب ـ لفي خسر؛

ج ـ خُسران؛

د ـ أخسرون.

أ ـ الخاسر هو الذي ضاع عمره، ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾[١].

ب ـ من هو في خُسرٍ هو من ليس من أهل الإيمان والعمل الصالح، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[٢].

ج ـ الخُسران المُبين هو أن يعبد الإنسان الله عبادة مزلزلة، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[٣].

د ـ الأخسرون هم المنحرفون الذين يظنون أنهم على الطريق الصحيح، ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[٤].

---

(١) سورة الزمر: الآية ١٥.
(٢) سورة العصر: الآيتان ٢ ـ ٣.
(٣) سورة الحج: الآية ١١.
(٤) سورة الكهف: الآية ١٠٤.

ـ وقد ورد في الروايات أن الأخسرين هم أولئك الذين لا يؤدون الزكاة، ويصرون على المعصية، ولا يقولون كلمة الحق مع قدرتهم على قولها، وهم أكثر الناس ظلماً، ويُصلحون دنياهم بإفساد دينهم.

التعاليم:

١ ـ عدم الإيمان بالمَعاد هو الخلفية لتزيين القبائح والشرور (يرى الإنسان الذي لا يؤمن مثلاً: العري مدنيةً، والترف حيثية، والاحتيال مهارة، والكذب والرياء دليلاً على السياسة، والاستعمار علامة على القوة)، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ... زَيَّنَّا﴾.

٢ ـ انحراف الفهم والحيرة أعظم عقاب يوجَّه لهم من الله، ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ... فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ﴾.

٣ ـ إذا آمنَّا بالقيامة فسوف نتوب عن الأعمال الكثيرة التي تبدو جميلة في أعيننا، ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ... زَيَّنَّا﴾.

٤ ـ مَن لا يرى القيامة مستقبلاً واضحاً له سوف تُغيره الدنيا المُتغيرة وتُحيره في كل لحظة، ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

٥ ـ يتسبَّب الكفر بالقيامة بأعظم الخسائر، ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ...﴾.

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾

التعاليم:

١ ـ مُستقبِل الوحي هو رسول الله ﷺ، ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ﴾.

٢ ـ علم الرسول علمٌ لدني، ﴿مِن لَّدُنۡ﴾.

٣ ـ لا يوجد وسيط غير أمين في نزول القرآن وتلقيه، ﴿لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾.

٤ ـ تنبع أحكام الدين من منبع العلم الإلٰهيّ، وتكمنُ في كل أمرٍ حِكمة، ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾

إشارات:

- ذُكر اسم موسى عليه السلام في القرآن الكريم ١٣٦ مرة، وجاءت قصته في ٣٤ سورة، وهناك ما يقرب من تسعمائة آية حول ما جرى لبني إسرائيل.
- كان موسى عليه السلام قد انطلق مع زوجته الحامل من «مَدين» متوجهاً إلى مصر، ودفع ظلام الليل والبرد ورياح الصحراء العاصفة من ناحية، ووضع الزوجة الحامل من ناحية أخرى، موسى إلى الإسراع في البحث عن النار، والآيات التي نتحدث عنها تدور حول هذه الحادثة.
- يبدو من بين كل الاحتمالات أن المُراد من قوله تعالى ﴿مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ هو موسى عليه السلام الذي كان في منطقة النار، والمقصود بقوله ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ هم أفراد أسرته أو الرُسل الذين كانوا في الأرض المقدّسة.

النار في القرآن:

- افتخر بها إبليس، ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ﴾[1].
- يُعاقب بها الكافر، ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾[2].
- خرج منها إبراهيم سالماً، ﴿يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا﴾[3].
- بحث عنها موسى؛ ولكنه صار نبيّاً، ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا... نُودِىَ﴾[4].
- أذاب ذو القرنين بها المعادن لبناء السد، ﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾[5].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٢.
(٢) سورة الغاشية: الآية ٤.
(٣) سورة الأنبياء: الآية ٦٩.
(٤) سورة النمل: الآيتان ٧ ـ ٨.
(٥) سورة الكهف: الآية ٩٦.

التعاليم:

١ ـ قصة موسى تستحق الذكر، كما أنها تدفع إلى التذكر، ولا ينبغي نسيانها، ﴿إِذْ قَالَ...﴾.

٢ ـ يظهر أحياناً عطاء خاص أثناء السعي في مساعدة الزوجة والأهل، ﴿ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ...﴾.

٣ ـ الرجل هو المسؤول عن إدارة حياة زوجته، ﴿ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

٤ ـ كانت حياة الأنبياء من الناحية الطبيعية مشابهة لحياة سائر الناس، ﴿ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

٥ ـ نحن مكلفون بأن نأخذ بالظاهر، أمَّا الألطاف الخفية فهي شأن من شؤون الله، ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ﴾.

٦ ـ جاء الدليل على البركة في كلام الله مع موسى وتكليفه بالرسالة وظهور المعجزات وبِعثة باقي الأنبياء في تلك المنطقة، ﴿بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.

٧ ـ لا ينبغي أن نظن أن النداء الإلٰهيّ إلى الرُسل وهمٌ وخيالٌ (جاءت عبارة «سبحان الله» بجوار كلمة «نودي»، أي أنَّ الله مُنزه عن أن يكون هذا النداء وهم أو خيال أو وسوسة).

٨ ـ بِعثة الأنبياء شأن من شؤون الربوبيّة، ﴿نُودِىَ... رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٩ ـ العزة والحكمة من لوازم الألوهيّة، ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ... ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾﴾

إشارات:

- كلمة «جانٌّ» تعني الثعبان الصغير، وهو الذي ظهر حينما تحولت العصا في المرة الأولى، أو الثعبان الكبير الذي يتحرك بسرعة كالثعبان الصغير.

❑ ثمّة احتمالات عدّة في المقصود من جملة «إلا مَن ظلم»، وأفضل ما قيل هو أن هناك جُملة مقدَّرة في هذه الآية، وتعني في هذه الحالة أن غير الأنبياء يخافون إلا مَن يَظلم منهم ثم يعمل بعد ذلك الأعمال الصالحة، فهؤلاء أيضاً لا يخافون؛ لأن الله تعالى هو الغفور الرحيم.

الخوف نوعان: غريزي ومعنوي، وجملة ﴿لَا تَخَفْ﴾ خاصة بالخوف الغريزي، أمّا الخوف المعنوي فهو الخوف من المقام الإلٰهيّ، وقد ورد في الآيات الأخرى.

التعاليم:

١ ـ يجب أن يكون النداء السماوي مصحوباً بمعجزة حتى يكون مؤثراً، ﴿نُودِىَ... وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾.

٢ ـ أداة المعجزة من الوسائل العادية، ﴿عَصَاكَ﴾.

٣ ـ يجب أن نتمتع بالعلم والتجربة والرشد الكافي قبل أن نُرشد الآخرين (يرى موسى المعجزة هنا حتى يتحدث في قصر فرعون بقوة)، ﴿رَءَاهَا﴾.

٤ ـ يحظى الأنبياء برعاية الله وتربيته، وهو الذي يأمرهم وينهاهم، ﴿لَا تَخَفْ﴾.

٥ ـ مَن يعرف أنَّ الله تعالى موجود ويطلع عليه، لا يخشَ غير الله، ﴿لَا يَخَافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ﴾.

٦ ـ الخائن خائف، ومن يظلم يجب أن يخاف، إلَّا أنْ يتدارك ذنبه، لأن الله تعالى هو الغفور، ﴿لَا يَخَافُ... إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾.

٧ ـ تبديل السوء إلى حُسنٍ عبر محو الذنب أو العفو عنه أو القيام بفعل حسن بعد فعل قبيح، كأن يضع وسائل الذنب تحت سيطرة المحسنين، ﴿بَدَّلَ حُسْنًا﴾.

٨ ـ يصدر عفوُ الله بعد أن يقوم الإنسان بفعل الخير وتدارُك الذنب، ﴿بَدَّلَ حُسْنًا... فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾﴾

إشارات:

❑ المقصود بالمعجزات التِّسعِ هو المعجزات التي جاء بها موسى أمام فرعون، وإلا فإنَّ موسى عليه السلام كانت له معجزات أخرى كثيرة، ويمكن أن نعدَّ كل معجزة معجزتين أيضاً؛ لأن تحول العصا إلى ثعبان معجزة، وعودة الثعبان إلى عصا معجزة أخرى، لكن القرآن عدَّهما معجزة واحدة. أمَّا معجزات موسى التسع فهي:

١ ـ اليد البيضاء

٢ ـ تحول العصا إلى ثعبان

٣ ـ الطوفان الذي أحاط بالأعداء

٤ ـ الجراد (الحشرة التي عصفت بزروعهم وأشجارهم)

٥ ـ القمل (نوع من الآفات التي انتشرت فيهم وأقضّت مضاجعهم)

٦ ـ الضفادع (هجوم الضفادع من نهر النيل وإزعاجها حياة الناس)

٧ ـ الدم (انتشار مرض الرعاف وخروج الدم من الأنف، أو تحول مياه النيل إلى لون الدم)[١]

٨ ـ وقوع الجدب والقحط[٢]

٩ ـ شق البحر[٣].

ـ ومعجزات موسى عليه السلام الأخرى هي: ضرْبُ الحجر بالعصا وتفَجُّر اثنتي عشرة عيناً من الماء[٤] ونزول المن والسلوى[٥] (المنُّ عصارة خاصة تأتي من الشجر، وهي حلوة الطعم، والسلوى طيور خاصة شبيهة بالحمام).

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٣٣.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٣٠.

(٣) سورة البقرة: الآية ٥٠.

(٤) سورة البقرة: الآية ٦٠.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٣٠.

□ **عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ الله تبارك وتعالى قال لموسى عليه السلام: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ قال: من غير بَرص»**[1].

التعاليم:

١ ـ لا بدّ من أن يكون الغضب بموازاة المحبة، والأمل إلى جانب الرجاء (اليد النورانية بجوار الثعبان)، ﴿جَآنٌّ... بَيْضَآءَ﴾.

٢ ـ لا يكفي استدلال واحد أو تذكير واحد أو معجزة واحدة بالنسبة للبعض، ﴿تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾.

٣ ـ كان الكفار يطلبون المعجزة من ناحية ثم يصفونها بالسحر والشعوذة من ناحية أخرى، ﴿قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾

إشارات:

□ سأل أبو عمرو الزبيري الإمام الصادق عليه السلام عن أنواع الكفر التي وردت في القرآن الكريم، فقال: الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه، فمنها كُفر الجحود، والجحود على وجهين، والكفر بترك ما أمر الله، وكفر البراءة، وكفر النِّعم. فأما كفر الجحود فهو الجحود بالربوبيّة، وهو قول من يقول: لا ربَّ ولا جنة ولا نار... فهذا أحد وجوه الكفر. وأما الوجه الآخر من الجحود: فهو الجحود على معرفة، وهو أن يجحد الجاحد وهو يعلم أنه حق قد استقر عنده، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ﴾[2].

التعاليم:

١ ـ الإنكار أرض خصبة للإفساد، ﴿جَحَدُواْ... ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٧٥.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٣٨٩.

٢ ـ لا فائدة من العلم واليقين إذا لم يقترن كلٌ منهما بالتقوى، ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ... ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾.

٣ ـ كان كثير من الكفار يؤمنون في قلوبهم، ولم يكن الجهل هو الدافع إلى إنكارهم، وإنما أنكروا ظلماً وتكبراً، ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾.

٤ ـ يجب درس التاريخ والاطلاع على أحداثه كوسيلة لأخذ العبرة، ﴿فَٱنظُرْ﴾.

٥ ـ نهاية أمر المُفسدين هي السقوط والهلاك، ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾

إشارات:

- من الممكن أن يكون المقصود بالعلم الذي أعطي لداوود وسليمان عليهما السلام هو علم القضاء، بدليل الآية ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[١]، أي أننا وهبنا داوود وسليمان الحكمة والقضاء. وبدليل الآية ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[٢] أيضاً. وربما كان المراد من العلم هو علم مخاطبة الطيور والتحدث معها، وذلك بدليل الآية ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾[٣]. وربما كان العلم هو علم صناعة الدروع، لقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾[٤]. لكن الأفضل هو أن نجعل العلم هنا علم إدارة شئون البلاد بشكل عام.
- **سؤال:** لماذا يهَبُ الله تعالى بعض عباده نِعماً خاصة؟ وهل يتفق هذا الأمر مع العدل؟

الجواب: أولاً: ليس من معاني العدل أن نعطي الجميع بالتساوي. هل المُعلم الذي يُعطي كل تلميذ درجةً خاصّةً ظالم؟ وهل الطبيب الذي يصف دواءاً مختلفاً لكل مريض ظالم؟ ثانياً: تترتب على النعم والعطايا الخاصة مسؤوليات

(١) سورة ص: الآية ٢٠.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٧٩.
(٣) سورة النمل: الآية ١٦.
(٤) سورة الأنبياء: الآية ٨٠.

خاصة أيضاً. ثالثاً: نحن لا نُلزم الله تعالى بشيء حتى يعطيَنا كلَّ ما نُريد، بل يعطينا بمقتضى فضله. رابعاً: بعض العطايا والأفضال الإلٰهيّة تكون طبقاً للظروف التي يهيؤها الإنسان أو المُجتمع.

وأهل الإخلاص والسعي والعلم والتدبير وعدم الإسراف والعدل ووحدة الكلمة يخلقون لأنفسهم الشروط والظروف التي تؤهلهم لاستقبال العطايا الإلٰهيّة والنِّعم الخاصة.

لا شك أن الهبات والمنح الخاصة تكون أحياناً بسبب العمل الذي يقوم به الوالدان، ويعطي الله تعالى أجر هذا العمل لأبنائهم، وهو ما نراه في قصة موسى والخضر، حيث يأمر الله تعالى هذين النبيين بأن يُقيما جداراً كان على وشك أن ينقض، وكان تحته كنز، وكان هذا الكنز لغلامين يتيمين، وذلك كي يستخرجا كنزهما في المستقبل ويستفيدا منه، وكان لهذين الغلامين أبوان صالحان، ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾[١].

العلوم الإلهيّة الخاصة:

- وهب الله تعالى علوماً خاصة لأفراد مخصوصين، وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم، ومنهم:

١ ـ آدم: علوم الأشياء كلها، ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[٢].

٢ ـ الخضر: العلوم الباطنية والتأويل (حتى يصبح موسى تلميذاً له)، ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾[٣].

٣ ـ يوسف: علم تفسير الأحلام، ﴿عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾[٤].

٤ ـ داود: علم صناعة الدروع، ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾[٥].

٥ ـ سليمان: علم لغة الطير، ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾[٦].

---

(١) سورة الكهف: الآية ٨٢.
(٢) سورة البقرة: الآية ٣١.
(٣) سورة الكهف: الآية ٦٦.
(٤) سورة يوسف: الآية ٣٧.
(٥) سورة الأنبياء: الآية ٨٠.
(٦) سورة النمل: الآية ١٦.

٦ ـ مساعد سليمان: العلم الذي أحضر به عرش السلطنة من بلد إلى بلد آخر، ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾[١].

٧ ـ طالوت: العلوم العسكرية، ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾[٢].

٨ ـ الرسول الأكرم وباقي الأنبياء ﷺ: علوم الغيب، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[٣].

التعاليم:

١ ـ علم الأنبياء علمٌ لدنّي، ويوهب لهم بإلهام من الله تعالى، ﴿ءَاتَيْنَا﴾.

٢ ـ يجب المحافظة على احترام الأفراد وشؤونهم (جاء اسم الأب أولاً ثم اسم الابن من بعده)، ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾.

٣ ـ للعلم وضع خاص بين النِّعم التي يُنعم الله بها على عباده، ﴿ءَاتَيْنَا... عِلْمًا﴾.

٤ ـ تزداد قيمة العلم حينما يكون في يد الصالحين، ﴿ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾.

٥ ـ «الحمدلله» هي أفضل جملة لشكر الله وحمده، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

٦ ـ العلم واحد من معايير التفاضل، ﴿ءَاتَيْنَا... عِلْمًا... فَضَّلَنَا﴾.

٧ ـ هناك من عباد الله من هو أفضل من داوود وسليمان، ﴿فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ﴾.

٨ ـ علينا ألا نرى أنفسنا أفضل من الجميع في أي مقام نكون فيه، ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ﴾.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾

إشارات:

❑ كلمة «إرث» تشتمل في معناها على الإرث المعنوي، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾، كما تشتمل على الإرث المادّي أيضاً. لكن المُراد بالإرث في هذه

---

(١) سورة النمل: الآية ٤٠.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٤٧.
(٣) سورة الجن: الآيتان ٢٦ ـ ٢٧.

الآية هو وراثة المال والحُكم، وليس العلم والنبوة فقط. وبناءً على هذا فإنَّ الحديث الذي يقول: «إنا معشر الأنبياء لا نُورث، ما تركنا صدقة» ـ وأخذت فدك من السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام استناداً إليه لا يتفق مع هذه الآية، ويجب أن يُرفض، (تلت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام هذه الآية دفاعاً عن حقها في مقابل الخليفة الأول)[1]. وجاء في «تفسير نمونه» نقلاً عن «سيرة الحلبي» أنَّ أبا بكر قد تأثر بما قالته فاطمة الزهراء عليها السلام، وأعاد إليها سند فدك، وبكى، ولكن عُمراً أخذ السند مرة ثانية ومزقه).

□ ورد في الرواية عن الإمام علي عليه السلام: «إنَّ الله علمنا منطق الطير كما علم سليمان بن داود، ومنطق كل دابَّة في بر وبحر»[2].

التعاليم:

١ ـ يعود الإرث إلى تاريخ قديم جداً، ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ...﴾.

٢ ـ علم الأنبياء عطاء إلَهي، ﴿عُلِّمْنَا﴾.

٣ ـ يجب إظهار النِّعم الإلٰهيّة، ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾، ويقول تعالى في موضع آخر: تحدثوا عن نِعم ربكم، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[3].

٤ ـ للطيور إدراك وقدرة على النطق، ﴿مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾.

٥ ـ العلم مُقدم على النِّعم كلها. قال تعالى: ﴿عُلِّمْنَا﴾ ثم جاء بعد ذلك قوله: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾.

٦ ـ يجب أن نعلم أن علومنا وإمكانياتنا من عند الله وليست من عند أنفسنا، ﴿عُلِّمْنَا... وَأُوتِينَا﴾.

٧ ـ لا يتعارض الإيمان والتوكل مع امتلاك الإمكانيات، ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾.

٨ ـ يجب أن نعلم أنَّ النِّعم من فضل الله، وليست باستحقاقنا لها، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾.

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٧٥.

(٢) تفسير كنز الدقائق.

(٣) سورة الضحى: الآية ١١.

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾

إشارات:

❑ كلمة «يُوزعون» من مادة «وَزْع» (على وزن جَمْع)، وتعني المنع والحبس، وكلما استخدمت هذه الكلمة في الحديث عن الجيش فإنها تعني الحيلولة دون تشتت قوته ومنع تفرق أفراده، فيتم إيقاف مُقدمة الجيش حتى يلحق بها باقي الجنود[١]. و«الإيزاع» هو التقسيم الحكيم للقوات بحيث يكون كل فرد في مكانه، ويكونون على خط واحد[٢].

❑ تحدث القرآن الكريم مرات عدة عن الجنّ، وهناك سورة من سوره بهذا الاسم. وسوف نُشير هنا إلى بعض خصائص الجنّ:

- الجنُّ مخلوق عاقل، يوجه الله تعالى الخطاب إليه، ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾[٣].
- بعض الجنّ مؤمن والبعض كافر، ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾[٤]، ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾[٥].
- في الجنّ نساء ورجال، ولهم أولاد، ومن الطبيعي أن لهم شهوة، ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾[٦].
- كان من الجنّ غواصون وبنّاؤون من أجل سليمان[٧]، ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾[٨].

---

(١) تفسير نمونه.
(٢) التحقيق في كلمات القرآن، مادة: «وزع».
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٣٠.
(٤) سورة الجن: الآية ١٤.
(٥) سورة الجن: الآية ١١.
(٦) سورة الرحمن: الآية ٥٦.
(٧) لمزيد من التوضيح حول الجنّ، انظر: سورة الجن، وقاموس القرآن، ج٢، ص ٦١ ـ ٧٣.
(٨) سورة ص: الآية ٣٧.

التعاليم:

١ ـ كان سليمان يتفقد جنوده، ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ﴾.

٢ ـ يمتلك الإنسان القوة التي تجعله يُسيطر (بإذن الله تعالى) على الجنّ والطير ويُخضعهما لأمره، ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ﴾.

٣ ـ كان بعض الأنبياء حكاماً، ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ﴾.

٤ ـ تستطيع الجنُّ أن تساعد الإنسان، ﴿مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾.

٥ ـ ولاية الأنبياء ليست على البشر فقط، ﴿مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ﴾ بل هي تشمل باقي المخلوقات..

٦ ـ للنظام قيمة في كل مكان، ولكن للنظام قيمة خاصة وضرورة حتميّة في الجيش، ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

٧ ـ من الضروري أن يكون للجيش الإلٰهيّ تمرينٌ وتدريب واستعداد، ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ... يُوزَعُونَ﴾.

٨ ـ تحول علم سليمان ومعرفته إلى وسيلة ومُقدمة للحصول على كل هذه الإمكانيات وتسخير هذه القُوى له، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ... وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ... وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾

إشارات:

❑ كلمة «نمل» تعني من ناحية اللغة الحركة الزائدة بأرجل قصيرة[1].

❑ كلمة «نَملةٌ» يُمكن أن تعني النملة الكبيرة أو قائدة النمل بسبب التنوين في نهايتها، وتشير في هذه الحالة إلى وجود إدارة وقيادة في حياة النمل. ويمكن

(١) التحقيق في كلمات القرآن، مادة: «نمل».

للتنوين أن يكون علامة على كونها نملة مجهولة، وهنا تصبح الرسالة التي تحملها هذه الآية هي: علينا أن نهتم بالتحذير حتى لو جاءنا من مجهول يُشفق علينا من الأخطار.

التعاليم:

١ ـ تختار الحيوانات المنطقة التي تعيش فيها بما لديها من وعي، ﴿وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾.

٢ ـ يوجد بين الحيوانات أيضاً حوار وأمر ونهي، ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ﴾.

٣ ـ توجد عند النمل أيضاً قيادة واستطلاع وطاعة، ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ... ٱدْخُلُوا۟﴾.

٤ ـ للحيوانات وعي وإدراك، وهي تعرف المفاسد والأضرار، ويُحذّر أحدها الآخر، ﴿ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾.

٥ ـ توجد غريزة دفع الضرر المحتمل في الحيوانات أيضاً، ﴿ٱدْخُلُوا۟... لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾.

٦ ـ الذي لا يُحذر بني جنسه عند استشعار الخطر يكُن أقل حالاً من النملة، ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾.

٧ ـ علينا أن ننتبه ونحن نسير في الطريق حتى لا ندهس النمل بأقدامنا، ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾.

٨ ـ كان الأنبياء يعيشون حياتهم كالآخرين في الأمور العادية، ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ﴾.

٩ ـ فساد القائد مُقدمة لفساد الشعب، ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾.

١٠ ـ النملة تعرف الأفراد من البشر، بل تعرف عملهم أيضاً، ﴿سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾.

١١ ـ لا يُلحق أولياء الله الضرر بأحدٍ عمداً وعن علم، حتى النملة الصغيرة، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، والنملُ يعرف عدل سليمان ﷺ وتقواه، ويعلم أنَّ ذلك العظيم لن يظلم نملة من النمل أيضاً.

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

إشارات:

- ذُكر في الآية ١٦ أن سليمان عليه السلام قال: نحن نعلم لغة الطير. ويتضح من هذه الآية أن معرفة لغة الطير قد ذُكرت هنا على سبيل المثال، لأن سليمان كان يعرف أيضاً لغة النمل وسمع كلام النملة.
- كلمة «إيزاع» أعلى من التوفيق، وهي شيء شبيه بالإلهام[1]، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[2]، أي ألهمنا الأنبياء القيام بأعمال الخير.
- العمل الصالح لا يكفي وحده، بل المُهم هو الانتماء إلى زمرة الصالحين، لأنّه:

ـ أحياناً يكون العمل صالحاً، ولكن الفرد ليس مؤهلاً من الناحية النفسية، ويقع في أسر الرياء والسُمعة والغرور والعُجب وإحباط العمل.
ـ أحياناً يكون العمل صالحاً، ولكنه ينتهي بنهاية ضالة، ولا يُختم لصاحبه بحُسن الخاتمة.
ـ أحياناً يكون العمل صالحاً، ولكن يكون فيه نوع من الفردية، ولا يكون الشخص مُستعداً للانخراط في جمع الأخيار، ﴿أَعْمَلَ صَٰلِحًا... فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

التعاليم:

١ ـ سعة الصدر من أصول القيادة والإدارة وشروطهما. فالنبي سليمان عليه السلام يسمع جملة «لا يشعرون» من النملة، ويغض الطرف عن قولها، ويتبسم ضاحكاً، ﴿فَتَبَسَّمَ﴾.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ٣٥٣. (٢) سورة الأنبياء: الآية ٧٣.

٢ ـ يجب الإصغاء إلى الانتقاد وكلمة الحق من قائلٍ، والترحيب به (لقد قبل سليمان كلام النملة)، ﴿فَتَبَسَّمَ﴾، فقبول النقد سمة هامة للقائد..

٣ ـ يُخضع الله تعالى أولياءه لتربية خاصة من عنده، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ... فَتَبَسَّمَ﴾، فالله تعالى يختبر سليمان بما لديه من مقام رفيع ومُلكٍ عظيم بكلام نملة حتى يُرسخ التوازن في كيانه بهذه الوسيلة..

٤ ـ ضحك الأنبياء تبسّم وليس قهقهة، فقد تبسم سليمان عليه السلام حينما غلبه الضحك، ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾.

٥ ـ فهم سليمان كلام النملة ونبَّه أعوانه وأتباعه إلى ذلك، ﴿مِّن قَوْلِهَا﴾.

٦ ـ لا يختص الدعاء بوقت الاضطرار، فقد كان الأنبياء يدعون ربهم في ذروة العظمة والقوة، ﴿رَبِّ﴾.

٧ ـ علينا أن نطلب من الله أن يوفقنا إلى شكره، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ﴾.

٨ ـ يجب أن يشكر الإنسان ربه على النِّعم التي أنعم بها عليه حتى الآن، كما يجب عليه أن ينظر إلى واجبه في المستقبل بالتفكير في العمل الصالح وجلب رضا الله واللحاق بالصالحين، ﴿أَشْكُرَ... أَعْمَلَ صَٰلِحًا...﴾.

٩ ـ يجب على الأبناء أيضاً أن يشكروا الله على النِّعم التي أنعم بها عليهم، كما يجب عليهم أن يشكروه على ما أنعم به على والديهم، ﴿عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾.

١٠ ـ لا بقتصر شكر الله على اللسان فقط، بل ينبغي أن نشكره بالعمل الصالح والاستفادة الصحيحة من النِّعم التي أنعم بها علينا، ﴿أَشْكُرَ... أَعْمَلَ صَٰلِحًا﴾.

١١ ـ يُفكر سليمان في العمل الصالح ولا يسير وراء ملذاته وتوسيع سلطانه والفخر بما لديه على الرغم من امتلاكه الجيش الجرار والحُكم القوي ومعرفته لغة الحيوانات أيضاً، ﴿أَعْمَلَ صَٰلِحًا﴾.

١٢ ـ يجب أن يكون دعاء الحُكام وسعيهم من أجل القيام بالعمل الصالح، ﴿أَعْمَلَ صَٰلِحًا﴾.

١٣ ـ يُقبَل العمل عند الله بشرط أن يكون صالحاً، ﴿صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾.

١٤ ـ تزداد أهميّة العمل الصالح قيمة حينما يحظى برضا الله، ولا يكون لإرضاء الناس فقط، ﴿صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾.

١٥ ـ أعظم غاية في حكم الصالحين هي رضا الله تعالى، ﴿تَرْضَىٰهُ﴾.

١٦ ـ حتى الأنبياء يحتاجون أيضاً إلى العون الإلٰهيّ، ﴿أَوْزِعْنِيٓ... أَدْخِلْنِى﴾.

١٧ ـ يرتفع قدر الحياة في المجتمع الصالح، على عكس الحياة بين الفاسدين، أولئك الذين يبحثون عن الرفاهية والمال والمتعة، ﴿أَدْخِلْنِى... فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

١٨ ـ يجب عدم اعتماد الإمكانيات والقوة كدليل على الوصول إلى رحمة الله، بل يجب التوجه دوماً بالدعاء للرشد والتقدم، ﴿وَأَدْخِلْنِى﴾.

١٩ ـ ليست مقدّرات الإنسان نتيجةَ عمله، إنما مصدرها هو الرحمة الإلٰهيّة، ﴿بِرَحْمَتِكَ﴾.

٢٠ ـ يجب على كل إنسان أن يستعين برحمة الله في كل الظروف، حتى الأنبياء، ﴿بِرَحْمَتِكَ﴾.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾

إشارات:

▢ قال البعض إن المقصود بالهدهد هنا هو هدهد خاص، ودليلهم على ذلك هو ألف ولام التعريف في كلمة «الهدهد» وقدرته على معرفة الإنسان والتعرف على دينه، وسوف نقرأ توضيح هذا الموضوع في الآيات اللّاحقة[1].

▢ سأل أبو حنيفة الإمام الصادق عليه السلام: كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير؟

(١) انظر: تفسير الفرقان، وفي ظلال القرآن.

قال: **لأن الهدهد يرى الماء في بطن الأرض كما يرى أحدكم الدهن في القارورة**[١].

❑ ذكر البعض أقوالاً في عذاب الهدهد، منها: فصله عن أنثاه، أو نتف ريشه، أو وضعه في الشمس، أو طرده من بلاط سليمان ﷺ أو وضعه مع عدوه في قفص واحد[٢].

التعاليم:

١ ـ تفقد الأتباع وتفحص أعمالهم والسؤال عن أحوالهم من المبادئ الإسلاميّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة والتربوية والإدارية، ﴿وَتَفَقَّدَ﴾.

٢ ـ لا ينبغي الانشغال بالقضايا الكبرى عن المسائل الصغيرة، ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾.

٣ ـ لا يجوز التسرّع في الحُكم، واتهام المرؤوسين كالجنود، فربما كانت هناك تفاصيل قد فاتت التسرّع، ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾.

٤ ـ الفطنة والدقة والسيطرة من الشروط اللازمة للقيادة، ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾.

٥ ـ يجب على الحاكم والقاضي أن يتمتعا بشروط خاصة، منها:

أ ـ المحبة والدقة، ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾.

ب ـ التواضع، ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾.

ج ـ الصلابة في مواجهة المخالف والمتخلف عن واجبه، ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ... أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾.

د ـ إعطاء الفرصة للمتهم، ﴿لَيَأْتِيَنِّي﴾.

٦ ـ من الضروري الإشراف الدقيق على حضور القوات وغيابها في الأعمال التنظيمية، ولهذا فإن التمرد على الأنظمة والقوانين وترك مواقع العمل بلا سبب ذنبٌ لا يُغتفر، ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾.

---

(١) مجمع البيان، مج ٧ ـ ٨، ص ٣٤٠.
(٢) تفسير روح البيان، وتفسير كنز الدقائق.

٧ ـ ليس هناك ما يمنع عقاب الحيوان المرتكب للمخالفة، ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ﴾.

٨ ـ الحيوانات تعرف العقاب، ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ﴾.

٩ ـ إذا كان غياب طائر يمثل هذا التهديد كله فما واجبنا نحن حيال كل هذا الغياب وعدم الحضور؟ ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ﴾.

١٠ ـ يأتي الأنبياء بالقانون ويطبقونه أيضاً، ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ﴾.

١١ ـ يجب وضع عقوبات متنوّعة من أجل معاقبة المتخلفين، وذلك لتجنب المفاجآت عند تنفيذ القانون، ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُ﴾.

١٢ ـ لا بدّ من أن يقترن الحسم بقبول العذر، ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ... لَيَأْتِيَنِّي﴾.

١٣ ـ ينبغي عدم التساهل في الإدارة والمؤسسات، ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ... لَأَاْذْبَحَنَّهُ... لَيَأْتِيَنِّي﴾، (وجود حرف «اللام» في ثلاث جُمل دليل على الحسم).

١٤ ـ لا مانع من تحويل التخلف البسيط عن العمل جريمة كبيرة من أجل الحفاظ على النظام وزجر المتخلفين، ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾.

١٥ ـ يتوجب فتح باب الدفاع أمام المُتهم، ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾.

١٦ ـ توفر للحيوانات الفهم والإدراك، لتستطيع أن تُبرر أعمالها وتُقيم الدليل عليها، ﴿لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾.

١٧ ـ حتى سليمان عليه السلام يُسَلم أمام الهدهد عند وجود المنطق وإقامة الدليل، ﴿لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ﴾.

١٨ ـ لا بدّ من وجود مسؤول واستئذان، في أية مؤسّسة من أجل القيام بأي عمل أو مهمة، ﴿بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾.

١٩ ـ ما الذي يخشاه صاحب الحساب الطاهر من المحاسبة؟ ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ﴾.

٢٠ ـ قد يستطيع الحيوان أن يصل إلى الشئ الذي لا يصل إليه الإنسان، ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ﴾.

٢١ ـ التجوال والسياحة مفتاح لاكتساب المعلومات الجديدة، ﴿أَحَطتُ﴾.

٢٢ ـ تعدُّ حرّية التعبير واحدة من خصائص الحكومات الصالحة، ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ﴾.

٢٣ ـ لا يرتبط العلم والمعرفة بسنٍّ أو جنس أو شكل، ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ﴾.

٢٤ ـ يخضع الأنبياء أيضاً للتربية الإلٰهيّة، فقد كان سليمان يقول: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾، أي أعطينا من كل شيء، فيقول له طائر من الطيور: أنا أعرف شيئاً لا تعرفه أنت، ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾.

٢٥ ـ لا وجود للتملق والخوف لدى الرعية في حكم الأنبياء، ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾.

٢٦ ـ ينبغي على كبار رجال الحُكم والمسؤولين ألّا يحصروا مصادر معلوماتهم في أفراد أو مجموعات خاصة (الهدهد يقدم تقريراً للسلطان)، ﴿أَحَطتُ... جِئْتُكَ﴾.

٢٧ ـ يجب ذكر الأخبار الأكيدة والمُحققة في التقارير، ﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾.

٢٨ ـ لا بدّ من وجود أفراد أو مؤسّسة من أجل جمع الأخبار من المناطق الواقعة خارج حدود البلاد (ليس من أجل التجسس بالتأكيد، ولكن من أجل الدعوة والإرشاد أو الاستعداد الدفاعي)، ﴿مِن سَبَإٍ﴾.

٢٩ ـ أهميّة الخبر هو أن يكون مؤكداً، سواء كان ناقلهُ كبيراً أو صغيراً، إنساناً أو حيواناً، ﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾.

٣٠ ـ على مسؤولي الحكومة أن يعتمدوا على الأخبار الأكيدة، ﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾.

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾

التعاليم:

١ ـ قد تتوفر لبعض الحيوانات معرفة عالية، ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً﴾، فالهدهد يعرف

المرأة والرجل، والتاج والعرش، والحكم والملكية، والتوحيد والشِرك، والشمس والسجود، والشيطان وتزيينه للعمل القبيح، والحق والباطل، والهداية والضلال.

٢ ـ الإنصات لكلام الآخرين دليل على الأدب وشرط من شروط الإدارة، على الرغم من أن المُتحدث هنا حيوان، ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةً﴾.

٣ ـ يمكن للمرأة أن تحكم ﴿تَمۡلِكُهُمۡ﴾، ولكن حُكم المرأة للمجتمع أمرٌ عجيب حتى لطائر من الطيور، ﴿وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةً... وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا﴾.

٤ ـ لم يكن حُكم سليمان عليه السلام حُكماً عالمياً في البداية، ﴿ٱمۡرَأَةً تَمۡلِكُهُمۡ﴾.

٥ ـ يعود تكوين الأنظمة والحكومات إلى تاريخ قديم، ﴿تَمۡلِكُهُمۡ﴾.

٦ ـ عوامل الانحراف هي:

أ ـ القائد الضال، ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ﴾.

ب ـ البريق والزخرفة، ﴿يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ﴾.

ج ـ الإمكانيات والرفاهية، ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾.

د ـ الشيطان وتزييناته، ﴿زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾.

٧ ـ إنعام الله بالخيرات الإلٰهيّة على الناس ليس دليلاً على قربهم منه أو بُعدهم عنه، فالله تعالى يُعطي سليمان عليه السلام كما يُعطي المرأة الكافرة، فقد قال سليمان في الآيات السابقة: «أوتينا من كل شيء»، وقال تعالى عن بلقيس: «وأوتيت من كل شيء»).

٨ ـ نِعم الله في يد الصالحين فضل مُبين واضح، ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ﴾؛ ولكنها تُصبح في يد الآخرين تاجاً وعرشاً عظيماً، ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ﴾.

٩ ـ الإنسان عابد بفطرته، ولكنه يسير وراء الباطل إذا لم يعبد الحق، ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ...﴾.

١٠ ـ يقبل الناس الدين الذي يرتضيه حكامهم وقادتهم (الناس على دين ملوكهم)، ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ﴾.

١١ ـ يجب أن يُناط أمر كل مشكلة إلى أهلها (يجب أن يُقدم تقرير الانحراف والشِرك إلى سليمان)، ﴿يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ﴾.

١٢ ـ ترجع عبادة الشمس إلى زمن إبراهيم عليه السلام ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾[١]، وكانت أيضاً في زمن سليمان عليه السلام، ﴿يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ﴾.

١٣ ـ أفضل وسيلة لإضلال الناس هي تزيين أعمالهم القبيحة، ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾.

١٤ ـ الماضي السيّئ للأفراد ليس دليلاً على انحرافهم الأكيد في المستقبل (كانت بلقيس وقومها على ضلال، ولكنهم اهتدوا بعد ذلك)، ﴿لَا يَهْتَدُونَ﴾.

١٥ ـ ينبغي ذكر أصل الخبر في التقارير، وترك أمرِ التحليل والاستنتاج إلى أهله، ﴿إِنِّي وَجَدتُّ... فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾، (الذي أخبر به الهدهد كان صحيحاً، ولكنه قال خلاف ذلك حينما قام بتحليل الخبر، لأنهم اهتدوا إلى الحق في ما بعد).

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾

إشارات:

- كلمة «خَبء» تعني المستور والخفي، ويقول الإمام علي عليه السلام: **«المرء مخبوءٌ تحت طيّ لسانه»**[٢]، أي أنَّ قيمة الإنسان وشخصيته تختفيان تحت لسانه.

يقول أحد الشعراء ما ترجمته: إن عيب الرجل أو فضله يختفيان مادام لم يتكلم.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٧٨.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ١٤٠.

□ نمو النباتات ونزول المطر نموذج لإخراج المخبوء المستور في السماوات والأرض، فالسنبلة تكمن داخل الحبَّة، والقدرة الإلٰهيّة هي التي تُخرجها من داخل هذه الحبَّة، وتَصدق هذه الآية ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾ على كل شئ يخرج من القوة إلى الفعل.

التعاليم:

١ ـ هدف الشيطان من تزيين أعمال الناس القبيحة هو ألا يسجدوا لله تعالى، ﴿زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ... أَلَّا يَسْجُدُوا۟﴾.

٢ ـ حتى الحيوان ينتقد مَن لا يسجد لله، ﴿يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ﴾.

٣ ـ السجود مظهر من مظاهر عبادة الله، ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾.

٤ ـ العوامل الطبيعية أدوات ووسائل تظهر من خلالها قوة الله وقدرته، ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾، فعلى الرغم من أنَّ للماء والتراب والنور دور فإن المُخرج الحقيقي للنبات هو الله.

٥ ـ العالم هو المكان الذي يتجلى فيه الله تعالى، ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.

يقول أحدهم: لا يخفى عن علمه مثقال ذرة، والظاهر والباطن يتساويان عنده.

٦ ـ أسباب سجودنا لله هي قدرته ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾ وعلمه ﴿يَعْلَمُ﴾ ووحدانيته ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وربوبيته وعظمته، ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

﴿۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

إشارات:

□ كان لكتابة الأنبياء للرسائل ومراسلة الكفار والمشركين تاريخ طويل، وكان هذا في سيرة رسول الإسلام ﷺ، فقد أرسل رسائل إلى كسرى وقيصر في إيران وبلاد الروم. ومن سيَر الأنبياء والرسل إرسال الرسائل والمستشارين الثقافيين

والسفراء والممثلين والسبق في هذه المسائل من أجل الوصول إلى الأهداف الإرشادية والثقافية.

التعاليم:

١ ـ ينبغي عدم التسرّع بالتصديق، كما أن رفض كلام الآخرين بدون دليل غير جائز، ﴿سَنَنظُرُ﴾، (لا تعتمدوا في القضايا المُهمة على تقرير واحد).

٢ ـ يجب ألّا تمنع ادعاءات الآخرين ودعاياتهم عن البحث والتحقيق (ادعى الهدهد أن الخبر الذي لديه يقينيّ، ولكن سليمان قال له: يجب أن ننظر فيه)، ﴿سَنَنظُرُ﴾.

٣ ـ التحقق والتأكد لا يقتصران على تقارير الشخص الفاسق، بل لا بدّ من البحث والتقصي عند الشك أيضاً، ﴿سَنَنظُرُ﴾.

٤ ـ لا تصديق ولا تكذيب، بل بحث وتحقيق، ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

٥ ـ من الأفضل ذكرُ النقاط الإيجابية قبل النقاط السلبية، ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ...﴾.

٦ ـ الطيور أيضاً مُكلفة بتنفيذ أوامر الله تعالى وأوليائه، ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى﴾.

٧ ـ تعتبر الكتابة من أهم أدوات الهداية والإرشاد، ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى﴾.

٨ ـ يجب المسارعة إلى إرشاد الآخرين وهدايتهم وإقامة العلاقة الصحيحة والمفيدة معهم، ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى﴾.

٩ ـ الأولوية عند اختيار الأفراد من أجل القيام بالمهام لمَن يمتلك معرفة أكبر وإحساساً أعمق، ﴿ٱذْهَب﴾.

١٠ ـ ليس هناك مانع من أن يكتب الرجل رسالة للمرأة من أجل الوصول إلى الأهداف الإلٰهيّة، ﴿بِّكِتَٰبِى﴾.

١١ ـ يجب أن نُبدي رد فعل فوريّاً ونُظهر غيرتنا الدينيّة بعد سماع التقارير المريرة في مجال القضايا العقائدية، ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى﴾.

١٢ ـ فلنكن أمناء في نقل الموضوعات والمفاهيم، ﴿بِّكِتَٰبِى هَٰذَا﴾.

١٣ ـ المعرفة الخفية والمتوارية عن الأعين أعمق أنواع المعارف، ﴿ثُمَّ تَوَلَّ﴾.

١٤ ـ لا يُمكن التعامل ببساطة مع الحكومات والنُظم السياسيّة المُعقدة، ﴿فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ﴾ وفي ذلك مظهر للحسم.

١٥ ـ من شروط حُسن الإدارة القدرة على الابتكار والتخطيط، ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي... ثُمَّ تَوَلَّ﴾.

١٦ ـ اعطوا للآخرين فرصة للتفكير، ﴿فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾.

١٧ ـ التعرف على مواقف الآخرين ومعرفة حالاتهم النفسية شرط من شروط التوفيق في الإرشاد والأمر بالمعروف، ﴿فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾.

١٨ ـ لا يكفي التعرف على الفرد وحده، بل يجب أن نأخذ نظامه وأتباعه في الحسبان، ﴿إِلَيْهِمْ... عَنْهُمْ... يَرْجِعُونَ﴾.

١٩ ـ يجب أخذ مواقف العدو وأحواله في الحسبان، ﴿فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾.

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

إشارات:

□ توجد احتمالات عديدة حول السبب في قول بلقيس «كِتَابٌ كَرِيمٌ»، ولماذا وصفت رسالة سليمان عليه السلام بهذا الوصف، ومنها:

أ ـ بسبب الجملة المباركة «بسم الله الرحمن الرحيم».

ب ـ لكون الرسالة مختومة بخاتم سليمان.

ج ـ نظراً لمحتوى الرسالة الإرشادي.

د ـ بسبب مقام سليمان. وربما بسبب هذه الأمور كلها.

التعاليم:

١ ـ كان لبلقيس حاشية ومستشارون، وكانت تعرض عليهم الأخبار والأحداث، ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾.

٢ ـ من المهم معرفة القراءة والكتابة بالنسبة للمرأة، ﴿أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾.

٣ ـ كانت بلقيس حادة الذكاء وذات قوة عالية في المعرفة، ﴿كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾.

٤ ـ من المستحسن تتويج الإرشاد والدعوة بالشفقة والرحمة، ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

٥ ـ علينا أن نكتب جملة «بسم الله الرحمن الرحيم» كاملة، ولا نختصرها حتى عند كتابة كلمات معدودة، ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

٦ ـ التكبرُ على الأنبياء تكبرٌ على الله تعالى، ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ﴾.

٧ ـ البُعد عن التكبر والتعالي من عوامل التسليم للحق، ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾.

٨ ـ من الأفضل أن تكون الرسائل بسيطة مختصرة، وأن تُحذف الألقاب وتُوضح الأهداف، وأن يتم تجنُّب اللعن والإهانة، وأن تسير الرحمة إلى جوار الحسم جنباً إلى جنب، ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ... أَلَّا تَعْلُوا۟... وَأْتُونِى﴾.

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾

إشارات:

❑ كلمة «فتوى» و«فتى» من جذر واحد، وكلمة «شاب» تُطلق على أي شاب، لكن كلمة «فتى» تُطلق على الشاب المُدبر الشجاع العاقل الشديد. وكلمة «فتوى» تعني أيضاً الكلام العاقل الناضج الكامل.

التعاليم:

١ ـ كانت بلقيس تُعلي من شأن الحاشية المحيطة بها، وكانت تشاورهم في الأمر، ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾.

٢ ـ تمنع السلطة والإمكانيات قبول الحق أحياناً، ﴿نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾، (لم تُصب السلطة والمكانة مستشاري بلقيس بالغرور).

٣ ـ يجب أن تكون الكلمة الأخيرة في قضايا الحُكم لفرد واحد، ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾، (يُبدي الآخرون رأيهم، ولكن حق اتخاذ القرار لفرد واحد)، ﴿فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾.

٤ ـ كانت بلقيس قائدة القوات المسلحة في عصرها، ﴿نَحْنُ أُوْلُوا۟ قُوَّةٍ وَأُوْلُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾.

﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾

التعاليم:

١ ـ الاعتراف بعادات الملوك وخصالهم دليل على شهامة بلقيس (وهي ملكة)، ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ...﴾

٢ ـ كانت بلقيس تشعر بالقلق من الهزيمة أمام سليمان، كما كان قلبها معلقاً بتعمير بلادها، ﴿أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾

٣ ـ لا تعتمدوا على قوتكم فقط، وعليكم أن تأخذوا الآخرين في الحسبان (كان المحيطون ببلقيس يقولون: ﴿نَحْنُ أُوْلُوا۟ قُوَّةٍ وَأُوْلُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ ولكن بلقيس حذرتهم وقالت لهم: لا تستهينوا بقوة سليمان)، ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ...﴾

٤ ـ أسلوب الحكومات غير الإلٰهيّة هو إيجاد الفساد والذل في المنطقة وبين الناس، ﴿كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾

٥ ـ آفة الحكم والسلطة هي الغطرسة وإشعال نيران الحروب والتخريب، ﴿ٱلْمُلُوكَ... أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾

﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

التعاليم:

١ ـ الحركات التي تقوم بدوافع مادّية سرعان ما تهدأ عند بلوغها إلى المادّيات، ﴿بِهَدِيَّةٍ﴾، (من خصال الملوك الانخداع بالهدايا).

٢ ـ الهدية تكون أحياناً رشوة وثمناً للسكوت، ﴿بِهَدِيَّةٍ﴾.

٣ ـ قد يختبرنا الأعداء أيضاً بإرسال الهدايا، ﴿مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

التعاليم:

١ ـ الماديّات ليست من المغريات لأولياء الله، ﴿أَتُمِدُّونَنِ﴾، (رجال الله لا يبيعون أنفسهم بالمال، فهم أمراء الدنيا وسادتها، وليسوا أسرى لها).

٢ ـ رجال الله أصحاب فطنة وأذكياء وحاسمون، ويرون الدوافع الفاسدة وراء الهدايا، ويفرُّون منها، ويوبخون أصحاب تلك الدوافع ويلومونهم عليها، ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾.

٣ ـ يستحب قبول الهدايا قبولاً حسناً، والردّ بمثلها، ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾[1]، أمّا إذا كانت الهدية على سبيل الرشوة فهي مرفوضة، ﴿أَتُمِدُّونَنِ﴾.

٤ ـ يظن الكافر أنَّ الجميع على مذهبه، ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾.

٥ ـ مال الدنيا لا قيمة له، ﴿بِمَالٍ﴾ والتنوين في الكلمة من أجل التحقير كما في الاصطلاح الأدبي.

٦ ـ رجال الله يعلمون أنَّ النِّعم من عند الله تعالى، ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾.

٧ ـ لا بدّ من أن نُظهر قوتنا وقدرتنا أحياناً، ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾.

٨ ـ أفضل مؤشر على رفض المال الحرام هو الاهتمام بفضل الله، ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾.

٩ ـ تطمئن نفوس أولياء الله بعطاياه وأفضاله، ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾،

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٦.

أمّا الماديون فإنهم يفرحون بالمادّيات، ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾.

١٠ ـ العلم والحكمة أفضل من المال، ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾.

١١ ـ البُعد عن المنطق يعطي الفرصة لإظهار القوة، ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم﴾.

١٢ ـ يجب الوقوف بصلابة في مواجهة الذين يعتمدون على قوتهم فقط، ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم﴾.

١٣ ـ كان الجهاد معروفاً في الأديان السابقة أيضاً، ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم﴾.

١٤ ـ الدعوة والإرشاد لا ينفعان بدون الهجرة والقوة، ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم﴾.

١٥ ـ يستطيع مَن يتجاوز المادّيات أن يتحدث بقوة، وأن يدافع عن الحق، ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم﴾.

١٦ ـ يجب على القائد أن يطمئنّ الاطمئنان الكافي لقواته المسلحة، ﴿بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾.

١٧ ـ يجب أن تكون القوة العسكرية لأهل الحق أكبر من قوة أهل الباطل، ﴿بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم﴾.

١٨ ـ يجوز تحقير حكومات الكفر والشِرك وإذلالها، ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾.

﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾

إشارات:

□ تكمن معاني الشدة والقوة في كلمة «عِفريت».

□ قررت ملكة سبأ أن تذهب بنفسها إلى سليمان عليه السلام بعد عودة رُسلها ومعهم هداياها التي كانت قد أرسلتها إليه، ومعرفتها بأن سليمان ليس ملكاً، وذلك لكي تطلع على الأوضاع عن قرب. وعلم سليمان بتحرك بلقيس فأعد نفسه من أجل استعراض قوته أمامها.

التعاليم:

١ ـ كان المحيطون بسليمان ذوي قوة خارقة تفوق العادة، ﴿أَيُّكُمْ﴾.

٢ ـ يجب فسح المجال للتنافس الصحيح، ﴿أَيُّكُمْ﴾.

٣ ـ ينبغي الاستفادة من قدرات الآخرين في الظروف المناسبة، ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي﴾.

٤ ـ المعيار هو الجدارة والقدرة، وليس الجنس، ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي﴾؛ فعلى الرغم من أن المحيطين بسليمان كانوا من الجنِّ والإنس والطير فإن معيار الأفضلية كان القدرة على إحضار العرش وليس جنس من يُحضره.

٥ ـ من السهل أن يستسلم الإنسان إذا سُلب منه عرشه وتاجه، ﴿يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾.

٦ ـ القرآن الكريم يقبل مسألة طي الأرض[1]، ﴿يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن﴾.

٧ ـ يجب أن يتناسب إظهار القوة مع المُخاطب، ﴿بِعَرْشِهَا﴾.

٨ ـ الحث على الانتفاع من إمكانيات الآخرين في إرشادهم وهدايتهم، ﴿بِعَرْشِهَا﴾.

٩ ـ المُنتصر هو السبَّاق الذي يُبادر قبل العدو، ﴿قَبْلَ أَن يَأْتُونِي﴾.

١٠ ـ يجب أن تقترن الأعمال الخارقة بالأهداف العظيمة، ﴿يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا... يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾.

١١ ـ كان لسليمان عليه السلام علمٌ بالغيب، ﴿يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾.

١٢ ـ يقتضي اعتماد القوى المتنوّعة وعناصرها كلها في النظام الموفق والحُكم الناجح، ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾.

١٣ ـ يستطيع الجنُّ أن يساعد الإنسان، ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾.

١٤ ـ أعلنوا عن جدارتكم للآخرين، ﴿أَنَا آتِيكَ﴾.

---

(١) «طي الأرض» نوع من المعجزات والكرامات، فالأرض تُطوى تحت أقدام صاحب هذه المعجزة أو الكرامة بدلاً من قطع مسافة طويلة، ويصل صاحبها إلى مقصده في مدة قليلة. (قاموس معين الفارسي).

١٥ ـ السرعة والقوة والأمانة هي شروط القيام بالأعمال الكبرى، ﴿قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ... لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾.

﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾﴾

إشارات:

- الذي كان عنده علم من الكتاب هو «آصف بن برخيا» وزير سليمان عليه السلام وابن أخته كما نُقل عن الإمام الهادي عليه السلام[1]. وعن الإمام الباقر عليه السلام إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخُسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس، ثم تناول السرير بيده، ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين[2].
- وقد قيل حول المقصود بعلم الكتاب إنه علمٌ بالكتب السماوية أو اللوح المحفوظ أو اسم الله الأعظم.
- **سؤال**: كيف نقل «آصف بن برخيا» العرش واستحوذ عليه بدون إذن من صاحبته؟

الجواب: لقد كان هذا الأمر بسبب ولاية الأنبياء على أموال الناس، وأهميّة إرشاد بلقيس وشعبها وهدايتهم إلى الحق.

- الكفر أنواع عدة: كفر إنكار الله تعالى، وكفر النعمة.
- ينقسم شكر الله إلى عدة أقسام: شكر باللسان، وشكر بالقلب، وشكر بالعمل.

فضائل أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام

ـ يقول الله تعالى في الآية التي نتحدث عنها، إن الذي كان عنده علمٌ من الكتاب

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٩١.
(٢) الكافي، ج ١، ص ٢٣٠.

قال: يا سليمان! أنا أحضر لك عرش ملكة سبأ من بلادها إلى هنا قبل أن تطرف عينك. لكن الله تعالى يقول لرسوله في الآية الأخيرة من سورة الرعد: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي أن الكفار لا يقبلون رسالتك، فقل لهم: يكفي أن الشاهد بيني وبينكم هو الله والذي عنده علم الكتاب كله. ونقرأ في الروايات أنَّ المقصود بمَن عنده علم الكتاب كله هو علي بن أبي طالب عليه السلام. فإذا كان الذي عند علم من الكتاب قد أحضر عرش بلقيس في طرفة عين، فما بالنا بمَن عنده علم الكتاب كله، وأي قوة كانت له طوال حياته؟

- ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «**ما كان علم الذي عنده علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب، إلا بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر**»[١].
- وورد في الروايات أن الإمام الصادق عليه السلام قال: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ قال: ففرج أبو عبد الله بين أصابعه فوضعها على صدره ثم قال: وعندنا والله علم الكتاب كله[٢].
- ونقرأ في روايات كثيرة أن الأئمة المعصومين عليهم السلام كانوا يتواجدون في أماكن بدون التقيد بالزمان أو المكان، ومن ذلك ما يلي:

ذهب الإمام الجواد عليه السلام من المدينة إلى طوس لحظة استشهاد أبيه.

خرج الإمام الكاظم عليه السلام من سجنه في بغداد، وحضر إلى المدينة.

ذهب الإمام السجَّاد عليه السلام إلى كربلاء وقت أسره، ودفن جثمان والده الإمام الحسين عليه السلام.

أخذ الإمام الحسين عليه السلام قبضة من تراب كربلاء قبل استشهاده وأعطاها لأم سلمة في المدينة[٣].

وبناءً على هذا فإن طي الأرض والحركة السريعة الخاطفة لها وجود عند الأئمة.

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٨٨.
(٢) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٩٠.
(٣) تفسير أطيب البيان.

التعاليم:

١ ـ كانت حكومة سليمان تضم أكثر الشخصيات علماً، ﴿عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

٢ ـ يستطيع الإنسان أن يسيطر على الطبيعة والقوانين الطبيعية، ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ﴾.

٣ ـ من الممكن أن تكون قوة الإنسان أكبر من قوة الجنّ، ﴿عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ... ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ﴾.

٤ ـ يجب أن نُظهر قدراتنا ونُعلن عنها في بعض المواضع، ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ﴾.

٥ ـ العلم هو مصدر القوة، ويمكن نقل الأشياء والمخلوقات نفسها من مكان إلى آخر بالقوة العلمية بدلاً من سماع الصوت ورؤية الصورة فقط (توجد في الإنسان طاقات وقدرات وأسرار لم تُكتشف حتى الآن)، ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ﴾.

يقول الشاعر الإيراني: كل مَن كان عالماً يكون قادراً، وبالعلم يكون قلب الشيخ شابّاً.

٦ ـ المسارعة (سرعة العمل) ميزة عند التكليف بالأعمال والمُهمات، كما أن المزايدة هي عامل المنافسة في البيع، والمناقصة في الشراء، ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾.

٧ ـ يجب على من يدّعون العلم والقوة أن يبرهنوا على كلامهم عملياً، ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا﴾.

٨ ـ أولياء الله يعلمون أنَّ النِّعمة من عنده، ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾.

٩ ـ علينا ألا نعدَّ النِّعم الإلٰهيّة حقّاً من حقوقنا، ﴿فَضْلِ رَبِّى﴾.

١٠ ـ علينا ألا نغتر بعلمنا وقوتنا، ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾.

١١ ـ علينا أن نذكر النِّعم الإلٰهيّة، ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾.

١٢ ـ يهدف إنعام الله علينا أو سلبه للنِّعم منَّا لهدايتنا وإرشادنا، ﴿رَبِّى﴾.

١٣ ـ النِّعم الإلٰهيّة وسيلة للعبودية والابتلاء، وليست من أجل السعادة والاستمتاع، ﴿لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ﴾.

١٤ ـ الأنبياء أيضاً يخضعون للاختبار، ﴿لِيَبْلُوَنِىٓ﴾.

١٥ ـ الإنسان مُخيّر وليس مُسيراً، ﴿وَمَن شَكَرَ... وَمَن كَفَرَ﴾.
١٦ ـ الإنسان رهين عمله، ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾.
١٧ ـ لا يحتاج الله تعالى إلى شكرنا، ﴿مَن شَكَرَ... وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾.

فالنعم الإلٰهيّة تنبع من فضل الله وكرمه اللذين لا نهاية لهما، وحتى إذا لم نشكر وكنا من الجاحدين فإنه تعالى يتفضل علينا بنعمه بمقتضى ربوبيته.

شكرك النعمة يزيدها وكفرك بها يفقدك إيّاها.

١٨ ـ لا يجوز التملق في الدعوة، ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ﴾.
١٩ ـ تربو قيمة الثروة حينما يكون السخاء إلى جوارها، ﴿غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾.
٢٠ ـ لأولياء الله ولاية على أموال الناس، ﴿نَكِّرُوا لَهَا﴾.
٢١ ـ يجوز التغيير والتحوير أحياناً من أجل اختبار الذكاء، ﴿نَكِّرُوا لَهَا... نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ﴾.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾

إشارات:

□ يبدو أن جُملة ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ﴾ تكملة لكلام بلقيس (وهو ما ذكرناه في شرح الآية)، ومن الممكن أن تكون من حديث سليمان والحاشية المُحيطة به، فربما قالوا: لقد أوتينا العلم قبل بلقيس، وكنا مسلمين من قبلها[١].

□ **سؤال**: لماذا لم تُسارع بلقيس إلى التسليم لسليمان على الرغم من أنها كانت قد علمت أنه على الحق؟

الجواب: لقد منعها مجتمع الشرك والبيئة الكافرة من الخروج عن الخط المُتبع والتسليم له، وهو ما ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾.

---

(١) انظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج ٢٤، ص ١٩٩.

التعاليم:

١ ـ يجب الاحتفاظ بالكلمة الأخيرة في المواجهات الأولى (لم يقل لها سليمان عليه السلام: «هذا عرشك؟» ولم تقل بلقيس: «نعم هو»)، ﴿أَهَكَذَا... كَأَنَّهُ هُوَ﴾.

٢ ـ يحظى المنهج بقيمة حينما يكون على أساس العلم، ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾.

٣ ـ البيئة والمجتمع والعقائد الخرافية أمور تمنع الإيمان الحقيقي، ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت﴾.

٤ ـ الماضي السيّئ لا يدل على أن لصاحبه مستقبلاً سيئاً، ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾.

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

إشارات:

❑ كلمة «صرح» تعني القصر الكبير أو ساحته، وكلمة «لجة» تعني الماء المُتلاطم الغزير. أمَّا كلمة «مُمرّد» فإنها تعني أملس.

التعاليم:

١ ـ لا يتعارض مقام الرسالة مع الجلال والعظمة والحُكم، ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ﴾.

٢ ـ ينبغي في الإرشاد والدعوة أن تكون هداية كل إنسان بالأسلوب الذي يُناسبه، ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ﴾، ولهذا علينا ألا نتعامل مع أهل الترف بالشكل الذي يجعلهم يتخيلون أن الإيمان يعني الفقر.

٣ ـ يجب أن توضع الإمكانيات المادّية في خدمة الدعوة لدين الله، ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ﴾.

ويمكننا في وجود الأهداف «السليمانية» أن نستفيد من الصناعات والفنون والإمكانيات المادّية من أجل إرشاد الآخرين وهدايتهم.

٤ ـ ينبغي استقبال الضيوف الكافرين بخلق حسن، ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ﴾.

٥ ـ وجوب حفظ قدر ومكانة الضيوف عند استقبالهم، ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ﴾.

٦ ـ يرى الإنسان الشيء أحياناً لكنه يُخطيء في تشخيصه (خطأ العين)، ﴿حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾.

٧ ـ يجب إلزام الكافرين من أهل الثراء بالتواضع عبر مواجهتهم بالابتكارات والفن والترتيب والمنجزات الرائعة، ﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾.

٨ ـ يعود تاريخ صناعة المرايا والاستفادة من الزجاج في البناء والتعمير إلى زمن سليمان عليه السلام، ﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾.

٩ ـ الاعتراف بالحق دليلٌ على الحرّية وليس الضعف، ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾.

١٠ ـ التعلق والارتباط بغير الله وعبادة آلهة من دونه ـ رجلاً كان أو شيئاً آخر ـ هو ظلم للذات، ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾.

١١ ـ التوبة الحقيقيّة هي أن نُصلح ما كان من أعمالنا بالاعتراف، وأن نسير في طريق المستقبل في نور مصباح الهداية الإلٰهيّة، ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ﴾.

١٢ ـ لا يمنعنّكم الاسم ولقمة العيش والمنصب والمحيطون بكم عن الاعتراف بالحق وتغيير العقيدة الفاسدة، ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ﴾.

١٣ ـ للكمال مرحلتان، هما:

المرحلة الأولى: الخروج من الظلمات.

المرحلة الثانية: الدخول في النور، ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ﴾.

١٤ ـ التسليم هو روح الإيمان، وهو ما يُشير إليه سليمان نفسه في رسالته: ﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ وتقوله ملكة سبأ أيضاً في نهاية الأمر: ﴿أَسْلَمْتُ﴾.

١٥ ـ الإيمان هو التسليم لخالق الوجود، وليس التسليم للخلق، حتى لو كان سليمان نفسه، ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ﴾.

١٦ ـ المرأة مُستقلة في اختيار عقيدتها والإعلان عنها، ﴿وَأَسْلَمْتُ... لِلَّهِ﴾.

١٧ ـ الإيمان وحده لا يكفي، فصُحبة الأنبياء والأولياء تحمي الإنسان وتصونه، ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ﴾.

١٨ ـ توجد علاقات إلَهية ومقدّسة أيضاً في مقابل العلاقات السياسيّة والاقتصادية والعسكرية والأُسرية، ﴿مَعَ سُلَيْمَٰنَ﴾.

١٩ ـ الذهب والزينة لا يرويان ظمأ المُنزّهين، بل يُضلان عن الوصول إلى مصدر الكون ومنبع الوجود، ﴿أَسْلَمْتُ... لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٢٠ ـ الهدف من حُكم الأنبياء هو الدعوة لله تعالى، وليس مجرد فتح البلاد. وقد فهمت ملكة سبأ هذه الحقيقة أيضاً، ولهذا قالت في نهاية كلامها: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾

إشارات:

- كان صالح عليه السلام يُخيف قومه من عذاب الله، وكان يُنذرهم ويُحذرهم، ولكنهم كانوا يقولون: ﴿يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾[1]، أي أنزل علينا يا صالح العذاب الذي تعدنا به. ويقول صالح في هذه الآية: لماذا تبحثون عن الشر وتطلبونه بدلاً من الخير؟ وذلك على غرار ما فعله الكفار الذين طلبوا تعجيل العذاب من هود عليه السلام، ومن رسول الإسلام صلى الله عليه وآله أيضاً.

- عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ **يقول مُصدق ومُكذب، قال الكافرون منهم: أتشهدون أن صالحاً مُرسل من ربه؟ قال المؤمنون: إنَّا بالذي أرسل به مؤمنون. قال الكافرون منهم:** ﴿إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾[2].

(١) سورة الأعراف: الآية ٧٧.
(٢) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٩٣.

□ على الرغم من أن الأنبياء جميعاً كانوا يتعاملون مع أقوامهم تعاملاً عاطفياً وأخويّاً، فإننا يمكن أن نستخلص من استخدام كلمة «أخاهم» للبعض منهم دون البعض الآخر أن بعض الأنبياء كان من أقارب القوم، بالإضافة إلى العطف عليهم عند التعامل معهم.

التعاليم:

١ ـ الدعوة إلى التوحيد هي عنوان دعوة الأنبياء، ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾.

٢ ـ لا تنتظروا من الناس أن يقبلوا جميعاً منطقكم، ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ﴾.

٣ ـ النزاع بين الحق والباطل نزاع دائم، ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾.

٤ ـ يجب أن تُشرع أبواب التوبة للتائبين من المُجرمين، ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ﴾.

٥ ـ الأنبياء أكثر الناس شفقة ورحمة، ﴿يَٰقَوْمِ... لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

٦ ـ الاستغفار وسيلة جذب الرحمة الإلٰهيّة، ﴿تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾

إشارات:

□ تُطلق كلمة «رهط» على المجموعة التي توجد بينها علاقة حميمة[(١)].

□ كلمة «تَطيّر» من «طير»، فقد كان العرب يُطلقون طائراً قبل سفرهم، فإذا طار ناحية اليمين (تفاءلوا خيراً بهذا العمل) وسافروا، أمّا إذا طار ناحية الشمال فإنهم (يتشاءمون) ويؤجلون سفرهم[(٢)].

□ عدَّ الإسلام التشاؤم (الذي يُعرف بالطيرة) من الشِرك. فالفأل السيّئ تركٌ للأسباب الأصلية وسيرٌ وراء الخرافات.

(١) التحقيق في كلمات القرآن، مادة: «رهط». (٢) تفسير الكشاف.

❑ ذُكر التشاؤم بالأنبياء في القرآن الكريم عدة مرات، فقد كان الفراعنة يرون أن شقاءهم هو بسبب موسى ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ﴾[1]. وكان يُقال لرسل عيسى عليه السلام: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾[2]. وقال الكفار لصالح عليه السلام في هذه الآية أيضاً: ﴿اطَّيَّرْنَا بِكَ﴾

❑ فُسرت جملة ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ عدة تفسيرات، منها:

أ ـ لقد خُدعتم من المخادعين لذا فأنتم تقاومونني على هذا النحو، (بناءً على كون كلمة «فتنة» تعنى الخدعة).

ب ـ أنت تُختبرون بالأحداث المريرة، (إذا كان المقصود من كلمة «فتنة» هو الامتحان والاختبار).

ج ـ أنتم تُعاقَبون بسبب العناد، (إذا كانت كلمة «فتنة» تعني العذاب).

التعاليم:

١ ـ يعلم رسول الإسلام والمسلمون كيف كان الأنبياء السابقون وأتباعهم يتعرضون للازدراء والتحقير، فيتحملون الصعوبات، ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا﴾.

٢ ـ للتفاؤل والتشاؤم تاريخ طويل جداً (الذي لا يؤمن بالله والحكمة الإلٰهيّة يتجه إلى الخرافات)، ﴿اطَّيَّرْنَا﴾.

٣ ـ وُصِفت الشخصيات التي هي سبب البركة بأنها سبب الشقاء والتعاسة في الأنظمة التي لا يُهيمن عليها العلم والأدب والمنطق والوحي، ﴿اطَّيَّرْنَا بِكَ﴾.

٤ ـ تواجد الأنبياء لا يعني القضاء على المشاكل الطبيعية واليومية، ﴿اطَّيَّرْنَا بِكَ﴾.

٥ ـ للأمور المريرة غير المستساغة أسباب حكيمة وضعها الله تعالى، ﴿طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾.

٦ ـ التعامل مع الأنبياء اختبار إلَهي، ﴿تُفْتَنُونَ﴾.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٣١. (٢) سورة يس: الآية ١٨.

﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۝٤٩﴾

إشارات:

- كلمة «نُبَيِّتَنَّهُ» من «تبييت» التي تعني الاغتيال والهجوم ليلاً.
- للقَسَم أهميّة في الإسلام ولا بد من أن يبرّ الإنسان بقسمه حينما يكون القَسم على أمر مُباح، ولهذا إذا أقسم أحد على أن يضرب مظلوماً أو أن يحمي ظالماً فإن قَسمه هذا لا قيمة له من الناحيتين الشرعيّة والقانونية.
- تُذكرنا هذه الآية بقَسم كفار مكة حينما قرروا أن يهجموا على بيت رسول الله ﷺ ليلاً، وأن يقتلوه في فراشه وهو نائم، ولكن الرسول الأكرم يجعل الإمام علياً عليه السلام ينام في فراشه، وأحبطت مؤامرة الأعداء.

التعاليم:

١ ـ الأقوال الخفية تُكتشف بعد قرون، ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ﴾.

٢ ـ يستفيد العدو استفادة سيّئة من المقدّسات الدينية، ﴿تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾.

٣ ـ يقبل أكثر الناس إجراماً ـ وهم الذين يقتلون الأنبياء ـ بالله في قلوبهم، ويرتبون أفعالهم الشريرة باسمه، ﴿تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾.

٤ ـ يتحد الأفراد أو الجماعات من أهل الباطل ويُقسِمون من أجل أهدافهم المُشركة، ﴿تَقَاسَمُواْ﴾.

٥ ـ في التاريخ عِبر كثيرة (القَسم بالله على قتل رسول الله!)، ﴿تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾، وهكذا ضربَ الخوارج وليَّ الله في بيت الله وفي شهر الله وهو يتعبد إلى الله بنية التقرب إلى الله في ليلة القدر وسحر يوم التاسع عشر من رمضان، فلقي الشهادة في سبيل الله.

٦ ـ ترجع الاستفادة من ظلمة الليل في القيام بالمؤامرات إلى زمن طويل، ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾.

٧ ـ كان الأنبياء وأتباعهم يتعرضون لأشد المؤامرات وأقساها، ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾.

٨ ـ قسوة البشر لا حدود لها (قتل الرسول، وقتل أقارب الرسول والهجوم عليهم ليلاً)، ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾.

٩ ـ القصاص قانون عقلي، وكان موجوداً أيضاً في الديانات السماوية كلها، ﴿لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ﴾.

١٠ ـ يخفي المُجرم جريمته بالتظاهر والتبرير، ﴿مَا شَهِدْنَا﴾.

١١ ـ لا ينبغي الركون إلى كل من يدعي الصدق ويرفع شعاره، ﴿لَنَقُولَنَّ... وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾.

١٢ ـ حتى قتلة الأنبياء يعدّون الصدق شرفاً وقيمة، ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾.

﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾﴾

إشارات:

❑ وصف هلاك قوم ثمود في القرآن الكريم بعدة صفات:

أ ـ الزلزلة، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾[1].

ب ـ الصاعقة، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾[2].

ج ـ الصيحة، ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾[3].

ولا شك في أنه لا يوجد ما يمنع من أن تكون هذه الأنواع الثلاثة من العذاب قد وقعت في وقت واحد.

❑ الإمهال والإنعام على المُجرمين مثال من أمثلة المكر (التدبير) الإلٰهيّ، وذلك

(١) سورة الأعراف: الآية ٧٨.
(٢) سورة الذاريات: الآية ٤٤.
(٣) سورة هود: الآية ٦٧.

لكي ينشغلوا، فإذا ما طفح الكيل إلى حافته أخذهم الله تعالى بالعذاب على حين غرة.

التعاليم:

١ ـ تتناسب العقوبات الإلٰهيّة مع ما يرتكبه الإنسان من جرائم، ﴿مَكَرُواْ... وَمَكَرْنَا﴾.

٢ ـ يقف الذين يتآمرون على أولياء الله في مواجهة الله تعالى، ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾.

٣ ـ يجب عليكم أن تكونوا أهل تدبير وتخطيط في مواجهة خطط الكفار، ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾.

٤ ـ يعرفُ الله تعالى تدبير الناس، لكن الناس لا يعرفون تدبيره، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

٥ ـ ثمة تعبير يقول إن «عصا الله تضرب بلا صوت» (الله يُمهل ولا يُهمل)، ﴿وَمَكَرْنَا... وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

٦ ـ يقوم التاريخ على قوانين محددة وسُنن معيّنة، ومن المفيد النظر فيه بدقة للعصور والأزمان المتعاقبة الأخرى، ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾.

٧ ـ جرت السُنَّة الإلٰهيّة على انتصار الحق وإزهاق الباطل، ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾.

٨ ـ يجب عدم التسرّع في إصدار الأحكام، أو الانخداع بما يصيبه البعض من نجاح بسبب المكر، المهم الاطلاع على عاقبة أمرهم، ﴿عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾.

٩ ـ يؤدّي سلوك أعداء الله وارتكابهم الجرائم إلى غضب الله عليهم وتعذيبه إياهم على الرغم من عدم بلوغهم أهدافهم الخسيسة (الأعداء يتقاسمون على أن يقتلوا الرسول، ووقفوا له بالمرصاد، ولكنهم لم يقتلوه، بل هم الذين هلكوا)، ﴿دَمَّرْنَٰهُمْ﴾.

١٠ ـ اتّباع المفسدين له عقاب، ﴿دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ﴾.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «خاوية» تعني السقوط والفناء والخراب، كما تعني خلو المكان من ساكنيه.

التعاليم:

١ ـ يجب الحفاظ على الآثار القديمة كي نأخذ منها العِظة والعِبرة وكذلك لإفادة الأجيال القادمة، ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ﴾.

٢ ـ لا يقتصر العقاب على الآخرة، فقد يصيب الظالمين عذاب في الدنيا أحياناً، ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾.

٣ ـ العِظات والمعجزات لا تكفي وحدها، بل لا بدّ من وجود دافع داخل الإنسان للاتعاظ والاعتبار، ﴿لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

٤ ـ يرتهن مصير كل إنسانٍ بأعماله، ﴿خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟... وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

٥ ـ لا يأتي الغضبُ الإلٰهيّ على الأخضر واليابس، ولهذا فالمُتقون مُستثنون من العذاب، وسوف يجدون النجاة منه، ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾.

٦ ـ لا تختصّ آثار الإيمان والتقوى بالآخرة فقط، فأهل التقوى قد يرون نتيجة أعمالهم في الدنيا، ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾.

٧ ـ أكثرُ ما ينفع الإيمان صاحبه، حينما يقترن بالتقوى الدائمة، ﴿ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾

إشارات:

❑ كان قوم لوط يمارسون اللواط على مرأى ومسمع من الجميع، وفي مجالسهم العلنية. ونحن نقرأ قوله تعالى في الآية ٢٩ من سورة العنكبوت: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾، أي أنكم تأتون الأفعال المُنكرة في مجالسكم. وقد قال تعالى في هذه الآية أيضاً: ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾، أي ترتكبون هذه الكبيرة أمام أعين الآخرين، أو ترتكبونها على بصيرة وعلم.

❑ اللواط كبيرة من الكبائر، ولهذا جاء في الآيات التالية أنه يتسبّب في العذاب الإلٰهيّ.

❑ جاء في الآيات الأخرى في القرآن الكريم أن الزوجة للسكينة وتربية الأبناء والتعاون في الحياة، ولكن مسألة الشهوة هي التي ذُكرت هنا فقط، وذلك لأن قوم لوط لم يكن لديهم هدف غير الشهوة، ﴿شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾.

التعاليم:

١ ـ يُكافح الأنبياء وقادة المجتمع المُصلحون الذنوب والآثام الشائعة في زمانهم بشدة، ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾.

٢ ـ يجب إثارة الوجدان بالأسئلة الانتقادية، ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾.

٣ ـ مكافحة المُنكرات والتصدي لها من وظائف الأنبياء، ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾.

٤ ـ تحريم اللواط ليس خاصّاً بالإسلام وحده، ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾.

٥ ـ إذا ارتُكب الذنب العلني عن علم ودراية فإنه يرتّب تقبيحاً وعقاباً وانتقاداً أكبر، ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾.

٦ ـ يتضح جلياً قبح اللواط لجميع الناس، ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾.

٧ ـ يجب تَعقب المُنكرات العلنية عند النهي عن المنكر، ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾.

٨ ـ يجب أن يتم إشباع الشهوة بالطرق المشروعة، ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً...﴾.

٩ ـ يدلُّ الانحراف عن المسار الطبيعي والشرعي في الأمور الجنسيّة عن جهل وحماقة، ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

١٠ ـ تنبع المثلية الجنسيّة من الجهل، والعلم والمعرفة اللذان لا يمنعان صاحبهما من إتيان الذنوب فهما بمثابة الجهال، ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ...﴾.

الجزء ٢٠

﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٦)﴾

التعاليم:

١ ـ يستعين المجرمون بالقوة في مواجهة الأنبياء لأنهم لا يملكون المنطق، ﴿أَخْرِجُوا﴾.

٢ ـ يُعدُّ الطهر والعفة جريمةً في البيئة المُلوثة بالذنوب والمفاسد، ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ... إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

٣ ـ ضريبة النهي عن المنكر هي النفي والإبعاد في بعض الأحيان، ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ﴾.

٤ ـ يتوجب عدم السكوت عند رؤية الذنب، ولا أقل من أن نُضيّق الخناق على المُذنب، ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ﴾.

٥ ـ تعود حرّية اقتراف الذنوب إلى فكر قوم لوط، ﴿أَخْرِجُوا﴾.

٦ ـ يرجع تاريخ نفي رجال الله إلى زمن إبراهيم ولوط عليهما السلام، ﴿أَخْرِجُوا﴾.

٧ ـ يرى المُجرم نفسه مُجرماً والآخرين أطهاراً؛ لأن فطرته طاهرة رغم فساد مسلكه، ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

٨ ـ البيئة المحيطة الفاسدة لا تُجبر الإنسان على الوقوع في الذنب، لأن هناك جماعة من الأطهار يعيشون في زمن شيوع الفاحشة أيضاً، ﴿أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَـهُۥ قَدَّرْنَـٰهَا مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾

إشارات:

- كلمة «غابرين» تعني الباقين الهالكين في العذاب، وقد استُخدمت هذه الكلمة سبع مرات في القرآن الكريم، وكانت المرات السبعة كلها حول زوجة لوط عليه السلام.
- المقصود بالمطر هنا هو الحجارة من طين مُتصلّب، وذلك بدليل الآية التي يقول فيها تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾[١].
- وعد الله تعالى مرات عديدة بنجاة المؤمنين وحُسن عاقبة المتقين، وقد اتضح تحقق هذه الوعود في تاريخ الأنبياء والأمم، ومن ذلك قوله:

أ ـ ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾[٢]، أي لا شك في أننا سوف ننصر رسلنا والذين آمنوا بهم واتبعوهم.

ب ـ ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٣]، أي لا بدّ لنا من أن ننجي أهل الإيمان.

التعاليم:

١ ـ من ثمار التقوى والعفة في الدنيا النجاة من العذاب الإلٰهيّ، ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ﴾.

٢ ـ تتحقّق النجاة الإلٰهيّة من طريق الأسباب الطبيعية (خرج لوط من المنطقة بأمر الله حتى ينجو ومن معه)، ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ﴾.

---

(١) سورة الحجر: الآية ٧٤.

(٢) سورة غافر: الآية ٥١.

(٣) سورة يونس: الآية ١٠٣.

٣ ـ يحظى المرسلون بحماية الله تعالى ورعايته، ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾.

٤ ـ المرأة حُرّة في اختيار عقيدتها، ولا يُجبرها النظام الأسري ومحيط نحية والتبعية الاقتصاديّة للزوج على اختيار عقيدة والعمل بها، ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾.

٥ ـ ليس النسب والأسرة من عوامل النجاة، بل لا بدّ من الجدارة والاستحقاق لهذه النجاة، ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾.

٦ ـ لا تجوز مراعاة الروابط العائلية عند معاقبة المخالفين ومجازاتهم، ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾.

٧ ـ علينا أن ننظر في وضع كل إنسان على حده في تعاملاتنا، فانحراف الزوجة لا يُلحق الضرر بطهارة الزوج (من الممكن أن تكون زوجة الرسول من أهل الجحيم)، ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ... إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾.

٨ ـ قد تكون الزوجة أحياناً سبباً من أسباب تسلط المُنافقين والكفار (كانت هذه المرأة تُخبر الناس إذا توفرت الفرصة للواط وترضى بما يفعلون، كانت تخبرهم مثلاً بمجيء ضيوف حِسان إلى بيت لوط ﷺ)، ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾.

٩ ـ تتعلّق المقدرات الإلٰهيّة بعمل الإنسان نفسه، ﴿قَدَّرْنَٰهَا﴾.

١٠ ـ يتسبّب قطع المنحرفين النسل باللواط بقطع نسلهم وذلك برجمهم بالحجارة، ﴿وَأَمْطَرْنَا﴾.

١١ ـ يؤدّي تحويل مسار الزواج إلى المثلية الجنسيّة وتغيير قانون الخليقة في تحول شآبيب الرحمة إلى مطر عذاب، ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾.

١٢ ـ تُفرض العقوبات الإلٰهيّة بعد إقامة الحجّة على المُعذبين، ﴿مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾

التعاليم:

١ ـ إنّ معاقبة المجرمين ونجاة المؤمنين هما من فضل الله على المؤمنين الذين يجب أن يشكروه على فضله، ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ... قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

٢ ـ يجب أن نتعلم طريقة الشكر من الله تعالى، ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

٣ ـ يُطرح مديح عباد الله والسلام عليهم بالتلازم مع حمد الله والثناء عليه، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ﴾.

٤ ـ يجب أن نواظب على ذكر الله ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حتى يُحيي الله تعالى ذكرنا، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ﴾.

٥ ـ علينا ألّا ننسى ذكر أولياء الله تعالى، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ﴾.

٦ ـ يتضح أنّ أولياء الله أحياء، ويتلقون سلامنا عليهم، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ﴾.

٧ ـ علينا أن نسلِم قلوبنا لله ونصبح من عباده كي نتلقى سلام الله تعالى ورسوله، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ﴾.

٨ ـ عبودية الإنسان هي معيار الاختيار الإلٰهيّ، ﴿عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾.

٩ ـ يجب إثارة وإحياء الوجدان بالسؤال، ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠)﴾

إشارات:

- كلمة «حدائق» جمع «حديقة»، وهي البُستان الذي تُحيط به الأسوار كحدقة العين.

التعاليم:

١ ـ التفكر في الخلق هو أفضل السُبل للوصول إلى الله تعالى، ﴿أَمَّنْ خَلَقَ﴾.

٢ ـ كل نبات ينمو في رعاية الله وبإرادته، ﴿فَأَنۢبَتْنَا﴾.

٣ ـ تتحقق القدرة الإلٰهيّة عن طريق الأسباب العادية، ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ﴾.

٤ ـ يحظى الجمال الذي يبهج القلب بقيمة من القيم، ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾.

٥ ـ يجب التخاطب ببساطة وبالطريقة التي يفهمها الجميع (لا يفهم الجميع

خواص النباتات وأسرارها، ولكن الجميع يرى نضارة الخضرة والورود وجمالها)، ﴿حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ﴾.

٦ ـ عندما نطلع على قدرة الله تعالى ندرك حقيقة ضعفنا (وعجزنا حتى عن إنبات شجرة واحدة)، ﴿مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ﴾.

٧ ـ يجب إثارة الوجدان بالأسئلة الهادفة، ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ... أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾.

٨ ـ يجب التصدي للشبهات ومنعها، فليس هناك من يدعي خلق السماوات والأرض، ولكن هناك من يدعي أنه يزرع، فيقول البعض: لقد خَضَّرت المنطقة وعمرتها، ولهذا يقول الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ﴾ ويقول في موضع آخر: ﴿ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾[1]، أي: هل أنتم تزرعون هذا النبات أم نحن الذين نزرعه؟

٩ ـ التوحيد طريق مستقيم، والشرك طريق منحرف، ﴿يَعۡدِلُونَ﴾.

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾

إشارات:

- لم نر في الروايات والتفاسير أن لقراءة الآية ٦٢ من هذه السورة دوراً في الاستجابة للدعاء، لكن الناس يقرأون هذه الآية تبركاً بسبب مضمونها، ولا مانع من ذلك.

- من الضروري والمستحسن مُناجاة الله سبحانه وتعالى والتضرع إليه، والدعاء له ﷻ وطلب حل المشكلات للجميع خاصة عند العجز والاضطرار.

يقول جلال الدين الرومي:

---

(١) سورة الواقعة: الآية ٦٤.

«إن تضرع مريم وألمها هو الذي جعل طفلاً كهذا يبدأ في الكلام.

وحيثما يكون الألم يكون الدواء، وحيثما يكون الفقر يكون القُوت والزاد.

وحيثما تكون المشكلة يكون الجواب المتوجه إليها، ويجري الماء إلى حيث يكون الانحدار.

فتوجه إلى الحق بالتضرع من باب الحاجة أفضل من قضاء العمر في السجود والصلاة.

دعك من القوة، وتمسك بالتضرع والأنين، فالرحمة تتنزل عند التضرع أيها الفقير»[١].

- وجاء في الروايات أن الْمُضطَرَّ الحقيقي المذكور في قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ...﴾ هو إمام الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، وهو المُضطر إذا صلى في المقام ركعتين ودعا إلى الله ﷻ، فيجيبه ويكشف السوء ويجعله خليفة في الأرض. وأن أسوأ السوء هو سلطة الكفار ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ التي تزول في زمن هذا الإمام، أمَّا النموذج الذي يصدق عليه قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ﴾ فهو حكومة الصالحين في ذلك الوقت[٢].
- تعود عدم استجابة الدعاء لأسباب عديدة، منها ما يلي:

أ ـ إذا لم يكن الدعاء طلباً للخير، أو الظنّ أنه خير، (لأن الدعاء يعني طلب الخير).

ب ـ إذا لم تكن طريقة الطلب جدية ومقترنة بالاضطرار والعجز.

ج ـ إذا لم نُخلص في الدعاء، أي إذا توجهنا إلى أعتاب الله ونظرنا في الوقت نفسه إلى الآخرين نظرة أمل ورجاء.

- إجابة المضطر شأن إلَهي، ولكنها لا تُغير السُنَّة الإلٰهيّة. فقد جرت سُنَّة الله تعالى على سبيل المثال على أنَّ الناس يجب أن يرحلوا عن هذه الدنيا بشكل من الأشكال، والناس كلهم مُضطرون في لحظات الاحتضار، وإذا أجاب الله تعالى دعاء الجميع لوجب أن يُلغي عندئذٍ قانون الموت.

---

(١) جلال الدين الرومي، مثنوي معنوي.

(٢) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٩٤.

أصل الإيمان بالله

❑ العقل والفطرة هما أصل الإيمان بالله، ولكن الماديين يقولون إن أصل الإيمان بالله هو الخوف. أي أن الإنسان يتخيل قوة في مخيلته ويلجأ إليها عندما يرى نفسه عاجزاً في مواجهته للأحداث وعند ظهور حادثة قاسية مريرة.

والماديون يرون بقولهم هذا أن الإيمان وليد الخوف، لكن الخطأ الذي وقع فيه هؤلاء هو أنهم لا يفهمون الفرق بين التوجه إلى الله ومبدأ الإيمان. فعندما نرى كلباً، على سبيل المثال، ونشعر بالخطر فإننا نبحث عن حجر، لكن هل يمكن القول إن ظهور الحجر كان بسبب الكلب؟ هكذا نتجه إلى الله تعالى عند الاضطرار والخوف، فهل يمكن القول إن أصل الإيمان بالله وليد الخوف؟

بالإضافة إلى ذلك يجب أن يكون الشخص الأكثر خوفاً هو الأكثر إيماناً إذا كان الخوف هو مصدر الإيمان، في حين أن المؤمنين الحقيقيين كانوا أكثر الناس شجاعة في عصرهم. كما يفترض أن يفقد الإنسان إيمانه في اللحظات التي لا يشعر فيها بالخوف، في حين أننا نقبل الله تعالى بدليل العقل والفطرة في اللحظات التي لا نخاف فيها. إن الخوف والاضطرار يكشفان في الحقيقة ستار الغفلة، ما يتيح لنا أن نتجه إلى الله، ولهذا فإن المُلحدين الذين ينكرون الله يأملون من أعماق روحهم في قوة تنجيهم، إذا ركبوا طائرة مثلاً وشعروا بسقوطها أو سافروا في سفينة وأحسّوا بغرقها، وتأكدوا أنه لا توجد أية قوة تنقذهم من الهلاك. إن هؤلاء تتعلق قلوبهم عندئذٍ بنقطة أو قوة غيبية، وهذه النقطة هي قوة الله سبحانه وتعالى.

التعاليم:

١ ـ من طرق معرفة الله ووحدانيته الاهتمام بقدرة الله المُنجية وقطع العلاقة مع القوى والوسائل الأخرى وقت الاضطرار، ﴿أَمَّن يُجِيبُ﴾.

٢ ـ شرط استجابة الدعاء وقطع الإخلاص الأمل في الآخرين، ﴿يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾.

٣ ـ إنّ أولئك الذين يطلبون حاجتهم من الله بصمت، يعلم الله حالهم، ولكنه يحب أن يتضرعوا إليه طالبين حاجتهم، ﴿إِذَا دَعَاهُ﴾.

٤ ـ يسيطر الإنسان على الطبيعة ويتحكم فيها، ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾.

٥ ـ هل من المفيد التوجه إلى القدرات المادّية والاهتمام بها عند الاضطرار؟! ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾.

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣)﴾

إشارات:

□ ربما كان المقصود من الهداية في ظلمات البر والبحر هو الهداية عن طريق النجوم، لأننا نقرأ في موضع آخر قوله تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[1].

التعاليم:

١ ـ أفضل سبيل لمعرفة الله هو الاهتمام بمشاكل الحياة وتعقيداتها والعثور على طريق للحل ونافذة أمل بفضل الله، ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ... وَمَن يُرْسِلُ﴾.

٢ ـ تسير حركة الرياح بتدبير من الله، ﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾.

٣ ـ إذا حَكَّمنا وجداننا سندرك أنه ليس هناك إلَه غير الله، ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾.

٤ ـ كل شكل من أشكال الشِرك مُدانٌ ومرفوض، ﴿عَمَّا﴾.

٥ ـ إنّ اتخاذ شريك مع الله تعالى إهانة للمقام الإلٰهيّ، ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

(١) سورة النحل: الآية ١٦.

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦٤)﴾

إشارات:

❑ جاءت جُملة «أإلَهٌ مَعَ اللَّهِ» خمس مرات متتابعة من الآية الستين حتى هذه الآية، وذلك لإبطال الشِرك ورفض الآلهة المكذوبة.

❑ يكون رزق الإنسان من السماء أحياناً، كالنور والهواء والمطر. ويكون من الأرض في أحيان أخرى، كالخضار والفاكهة. كما أنه يكون من الحيوانات التي تستفيد من الأرض وتنمو منها بشكل غير مباشر، وقد يكون هذا الرزق من المعادن التي تستقر في باطن الأرض أيضاً[1].

❑ لا ينقرض أي مخلوق من وجهة نظر القرآن، وإنما يُفقد من وجهة نظرنا نحن، فالمَعاد ليس إعادة للشيء من العدم، كي يظن البعض أنه عمل مُحال، بل هو رجوع المخلوقات إلى صورتها الأولى بعد أن لحق بها تغيير في الشكل.

❑ تأتي الآيات المُكررة في القرآن الكريم مصحوبة بنوع من التجديد، فقد تكررت جُملة ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ من الآية ٦٠ حتى الآية ٦٤، لكنها جاءت مصحوبة بجُملة جديدة في كل مرة:

- نقرأ في الآية ٦٠: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ أي أن المشركين ينحرفون عن الحق.
- نقرأ في الآية ٦١: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي أن انحرافهم بسبب جهلهم.
- نقرأ في الآية ٦٢: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أي أنكم قليلاً ما تتذكرون لأنكم جاهلون.
- نقرأ في الآية ٦٣: ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي أن الله مُنزه عن شِركهم.
- نقرأ في الآية ٦٤: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي أن هؤلاء انقادوا للشِرك بدون دليل أو برهان.

---

(١) تفسير نمونه.

التعاليم:

١ ـ القوة التي خلقت الخلق في البداية هي نفسها التي يُمكنها أن تُعيده مرة ثانية، ﴿يَبْدَؤُا... يُعِيدُهُ﴾.

٢ ـ المَعاد مَعاد جسماني، ﴿يُعِيدُهُ﴾.

٣ ـ يجب إثارة وتنبيه الوجدان بالسؤال، ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ... مَن يَرْزُقُكُم... أَءِلَٰهٌ﴾.

٤ ـ يفترض قبول برهان المُخالفين إذا امتلكوا الدليل والبرهان، ﴿قُلْ هَاتُوا﴾.

٥ ـ الإسلام دين البرهان، ويطلب من مخالفيه الأدلة والبراهين، ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾.

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥)
بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ (٦٦)
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ (٦٧)
لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٦٨)﴾

إشارات:

- الغيب نوعان: نوع يُعلّمه الله تعالى لأنبيائه ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ﴾[١]، أمّا الآخر فهو منْ قبيل العلم بزمن وقوع القيامة، وهو خاص بالذات الإلٰهيّة.

- تأتي كلمة «مَن» للمخلوقات العاقلة، وبناءً على هذا فإن هناك الكثير من المخلوقات العاقلة التي توجد في السماوات بالإضافة إلى الملائكة، وسوف تُبعث يوم القيامة كما يُبعث البشر.

- جُملة «بَلْ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ» تُشبه قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾[٢].

---

(١) سورة هود: الآية ٤٩.

(٢) سورة النبأ: الآيتان ٤ ـ ٥.

□ كلمة «ادارك» من «تدارك» التي تعني الاتصال والتصاق الأجزاء بعضها ببعض. أي أن المشركين منقادون لتشتت الأفكار في الدنيا، ولكن سوف يحصّلون معلوماتهم ويصلون إلى العلم في الآخرة، ولكن ما فائدة ذلك يومها؟!

□ كلمة «أساطير» جمع «أسطورة» التي تعني الخرافة. فقد كان الكافرون يتهمون الرُسل والأنبياء بأن ما يقولونه حول الآخرة والقيامة مسائل لا أساس لها، وأنهم يذكرونها لإشغال الناس بها.

التعاليم:

١ ـ إنكار المَعاد كفر، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾.

٢ ـ عدم قبول حقيقةٍ من الحقائق ليس دليلاً على أنها لن تقع أو أنها ليس لها وجود، ﴿أَءِذَا كُنَّا﴾.

٣ ـ من علامات الإنكار تكرار السؤال المقترن بعدم التصديق، ﴿أَءِذَا... أَءِنَّا﴾.

٤ ـ يصنّف بثُّ الشكوك في القضايا العقائدية عملاً من أعمال الأعداء، ﴿أَءِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾.

٥ ـ قِدم الكلام ليس دليلاً على ضعفه، ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا... مِن قَبْلُ﴾.

٦ ـ كان الأنبياء جميعاً يعدون بالمَعاد، ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾.

٧ ـ يبحث المجرم عادةً عن شريك له في الجريمة، ﴿نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا﴾.

٨ ـ استعمل الكفار في ردهم سلاحاً من قبيل وصف أقوال الأنبياء بالأساطير، ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

إشارات:

□ حث القرآن الكريم الناس على السير في الأرض وشجعهم على التجوال فيها مرات عديدة بقوله: «سيروا» أو «أفلم يسيروا»، وكان ذلك في أكثر المواضع من أجل الإنذار والتحذير وأخذ العِبرة من حياة المُجرمين.

التعاليم:

١ ـ تعدُّ زيارة الآثار التي خلّفها الظالمون الذين عُرفوا في التاريخ واحدة من وسائل الرشد والتربية، ﴿سِيرُواْ... فَٱنظُرُواْ﴾.

٢ ـ إنّ للتاريخ الإنسانيّ مبادئ وقوانين وسُنناً، ويمكن أن تكون العِبر والمواعِظ السابقة دروساً للناس في أيامنا هذه استناداً إلى هذه المبادئ، ﴿سِيرُواْ... فَٱنظُرُواْ﴾.

٣ ـ يجب أن يكون السفر هادفاً، ﴿سِيرُواْ... فَٱنظُرُواْ﴾.

٤ ـ لا بدّ من المحافظة على آثار السابقين من أجل أن يتعظ بها أبناء المستقبل، ﴿فَٱنظُرُواْ﴾.

٥ ـ المناطق التي هلكت بالعذاب الإلٰهيّ هي بلاد منتشرة، ويجب أن تكون زيارتها متاحة للجميع، ﴿سِيرُواْ... فَٱنظُرُواْ﴾.

٦ ـ للمُجرمين عاقبة سيئة (ارتكاب الجرائم المرة تلو الأخرى يتسبّب في الكُفر والتكذيب)، ﴿عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

٧ ـ للذنب عقاب دنيوي وآخر أخروي (انظروا على سبيل المثال إلى العذاب الدنيوي حتى تدركوا طبيعة العذاب الأخروي)، ﴿عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

٨ ـ يجب عدم الحزن على المُجرمين عندما تكون عاقبتهم هي الهلاك والدمار لأن عنادهم وإنكارهم هما سبب هذه العاقبة، ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾.

٩ ـ كان الرسول يُشفق على الجميع رغبةً في هدايتهم، وشمل ذلك الأعداءَ الذين يمكرون به، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ... يَمْكُرُونَ﴾.

١٠ ـ يحظى الرُسل والأنبياء بالحماية الإلٰهيّة، فالله تعالى يواسي رسوله بقوله: ﴿لَا تَحْـزَنْ... وَلَا تَكُن﴾.

يقول الشاعر ما ترجمته:

لا تحزن، فأنا الذي يتعاطف معك ويزيل همومك، وأنا الذي يحفظك من الشرور كلها وإذا أعرض عنك الأغيار فأنا نصيرك في الدنيا والآخرة.

١١ ـ قدرات الإنسان وطاقاته محدودة، حتى لدى النبي، ﴿فِي ضَيْقٍ﴾، فقد كان ضيق رسول الإسلام وقلقه من تأثير حيلة الكفار وانعدام تأثير دعوته، ولهذا يطمئنه الله تعالى ويواسيه فيقول له: ﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ﴾.

١٢ ـ ينشغل أعداء الإسلام دائماً بتدبير الحيل والمؤامرات، ﴿يَمْكُرُونَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾﴾

إشارات:

- كان الناس يسألون الأنبياء في أزمانهم عن موعد يوم القيامة عندما كان هؤلاء الأنبياء ينذرونهم ويحذرونهم منها أو من الغضب الإلٰهيّ، ولكن لمَّا كان يوم القيامة لا يعلمه إلا الله، فإن الأنبياء كانوا لا يجيبونهم، وكانوا يحذّرونهم فقط من العذاب الإلٰهيّ، ولا يقولون لهم شيئاً عن زمن وقوعها.
- جاء ذكر ما في الصدور ﴿مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ قبل الأعمال العلنية ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾، ويمكن أن يكون هذا لأسباب عدّة:

أ ـ الأفكار والنوايا الداخليّة هي الدافع للأعمال الخارجيّة، ولهذا قُدمت عليها.

ب ـ العلم بباطن الأفراد أهم من العلم بظاهرهم.

ج ـ يشكّل علمُ الله تعالى بالأهداف والمقاصد الخفية تهديداً كبيراً لمنكري المَعاد.

التعاليم:

١ ـ كان الكفار يسخرون من العذاب ويتحدّون وقوعه، ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

٢ ـ إنّ عدم معرفة تفاصيل حقيقة من الحقائق ليس دليلاً على إنكار أصلها (لا ينبغي لنا تكذيب أصل القيامة حتى لو كنا لا نعرف شيئاً عن زمن وقوعها)، ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾.

٣ ـ يرمي السؤال عن زمن وقوع القيامة إلى الشك في النبوة، ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

٤ ـ لا يلزم أن يكون هناك رد على كل سؤال (كان الكفار يطلبون من الرسول أن يُحدد لهم وقت العذاب، ولكنه لم يكن يحدده لهم)، ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾.

٥ ـ قد يستعجل الناس نزول العذاب على الكافرين وهذا لا يُغير حكمة الله تعالى، ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ... ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

٦ ـ الدنيا قد لا تكون مكاناً للعقاب الكامل، ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

٧ ـ العقوبات الإلٰهيّة لها نظام وتوقيت ومراحل متتابعة، ﴿رَدِفَ لَكُم﴾.

٨ ـ الخوف والرجاء ينفعان حينما يكون أحدهما إلى جوار الآخر، ﴿رَدِفَ لَكُم... وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ﴾.

٩ ـ ليس من المحتّم نزول العذاب الإلٰهيّ على الكفار، فهؤلاء يستطيعون النجاة بالتوبة وتغيير موقفهم، ﴿عَسَىٰٓ﴾، (كلمة «عسى» تعني انفتاح الطريق للعودة والتوبة).

١٠ ـ يمكن أن يكون تذوق بعض العذاب الدنيوي وسيلة من وسائل إيقاظ الوعي والتوبة ونوعاً من الفضل الإلٰهيّ، ﴿رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

١١ ـ تأخير العقاب أسلوب من أساليب التربية، ودليل على لطف الله، وفرصة من أجل التوبة، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ﴾.

١٢ ـ لا تغيّر الأكثريّة الجاحدة مسار فضل الله تعالى ولطفه، ﴿لَذُو فَضْلٍ... أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

١٣ ـ لا يجوز الشك في علم الله، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ﴾.

١٤ ـ يجب تجنّب الذنب والنفاق لأن الله تعالى يعلم كل شيء، ﴿لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

١٥ ـ المعرفه الكاملة من لوازم ربوبيّة الله تعالى، ﴿رَبَّكَ لَيَعْلَمُ﴾.

١٦ ـ يضمنُ علم الله بالظاهر والباطن تحقيقَ وعوده، فلا داعي للاستعجال، ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ... تَسْتَعْجِلُونَ... وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ﴾.

﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾

إشارات:

❑ حرف «التاء» في كلمة «غائب» إمّا للمُبالغة كما في كلمة علّامة، أي الأشياء شديدة السرية والخفية، أو من أجل التأنيث، على اعتبار أن كلمة «غائبة» صفة لكلمة «أشياء» أو «خصال» التي حُذفت تقديراً[١].

❑ يشتمل غيب السماوات والأرض على أعمال الإنسان الخفية كلها، والنوايا، وزمن وقوع يوم القيامة، وزمن نزول الرحمة أو العذاب، وغير ذلك من الأسرار.

❑ ربما كان المُراد من قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ هو اللوح المحفوظ أو علم الله الذي لا نهاية له.

التعاليم:

١ ـ هناك العديد من الأمور التي تعجز حواس الإنسان عن إدراكها، ﴿غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

٢ ـ يخضع الكون كله لرعاية الله وإشرافه، وله نظام وترتيب، ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ... إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

---

(١) تفسير نمونه.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾

إشارات:

❑ يتضح من هذه الآية أنَّ التوراة والإنجيل لم يكونا قادرين على إنهاء الاختلافات بين أهل الكتاب في زمن الرسول ﷺ، وأنَّ القرآن وحده هو المُهيمن على الكُتب السماوية السابقة، ولديه القدرة على حسم النزاع.

التعاليم:

١ ـ تولّى الرسول ﷺ إزالة الاختلافات الفكرية المتأصّلة وهو الذي لم يدرس ولم يذهب إلى مدرسة، وهذا دليل على إعجاز القرآن الكريم وأحقيته، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ...﴾.

يقول الشاعر الإيراني:

حبيبي الذي لم يذهب إلى المدرسة ولم يكتب الخطوط صار يُعَلم المسائل لمائة مدرس بغمزة منه.

٢ ـ حل الاختلافات ورفعها بركة من بركات القرآن الكريم، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ... يَخْتَلِفُونَ﴾.

٣ ـ إنَّ الأديان الإلٰهيّة لا تختلف وإنما نشأت الاختلافات بما كسبت أيدي الناس، ﴿هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾

التعاليم:

١ ـ القضاء على الاختلاف نموذج واضح من نماذج الهداية والرحمة الإلٰهيّتين، ﴿لَهُدًى وَرَحْمَةٌ... إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى﴾.

٢ ـ الإيمان سبب من أسباب تلقي الرحمة الإلٰهيّة، ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٣ ـ يواسي الله تعالى رسوله ويشدّ من أزره، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى﴾.

٤ ـ القضاء شأن من شؤون الربوبيّة، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى﴾.

٥ ـ أحكام الله تعالى تختصّ بذاته المقدّسة، لأن الجهل والخوف والغرائز والأحداث لا تؤثر فيه، لذا فهي عادلة مائة في المائة، ﴿بِحُكْمِهِۦ﴾.

٦ ـ يشترط العلم في القضاء أيضاً مضافاً إلى العدل، ﴿يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

٧ ـ التوكل على الله شرط من شروط نجاح القائد، ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

٨ ـ الانتباه إلى أحقية الطريق والإيحاء بذلك يحفظان الإنسان ويحميانه في مواجهة الحوادث العابرة، ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾.

٩ ـ لم يكن سبيل الرسول غامضاً؛ ولكن معارضيه كانوا يختلقون الأعذار والحجج، ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾.

١٠ ـ التوكل على الله له معنى وثمرة حينما يكون على طريق الحق فقط، وليس في سبيل الباطل، ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾.

١١ ـ يجب على القائد أن يؤمن بأن منهجه هو طريق الحق، ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾.

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾

إشارات:

□ تُطلق كلمتا الموت والحياة في المعجم القرآني على الموت والحياة الطبيعيين والمادّيين، كما تُطلقان على الموت والحياة المعنويين.

والقرآن الكريم يصف الذين لا يصغون إلى كلام الحق بأنهم موتى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، وهكذا يقول مراراً وتكراراً: لا تظنّوا أن الشهداء أموات، بل أحياء وسعداء، ويُبشر الواحد منهم الآخر، ويستمتعون برزق الله. وبناءً على هذا،

فإن الأحياء من المعاندين وقساة القلوب هم في الحقيقة موتى، بينما الشهداء الذين رحلوا عن هذه الدنيا هم أحياء. ولعل من الأفضل أن نُفَصل القول في هذه المسألة ونوضحها قليلاً:

مراحل الحياة

❑ للحياة مراحل عديدة، وهي على النحو التالي:

١ ـ الحياة النباتيّة. يقول القرآن: ﴿يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾[١]، أي أن الله تعالى يُحيي الأرض بعد موتها عن طريق الأمطار التي تسقط عليها.

٢ ـ الحياة الحيوانيّة. يقول القرآن: ﴿يُحۡيِيكُمۡ﴾[٢]، أي أننا وهبناكم الحياة.

٣ ـ الحياة الروحية. يقول القرآن: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا﴾[٣]، أي ليُنذر الأحياء، أولئك الذين لديهم عقل سليم وفطرة نقية. ويقول أيضاً إن دعوة الأنبياء من أجل حياتكم: ﴿دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾[٤].

٤ ـ الحياة السياسيّة والاجتماعية، ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾[٥]، أي أن المجتمع يحيا حينما تتوطد العدالة بتنفيذ حكم القصاص (وإذا لم يحدث هذا فإن مجتمعكم ميت).

٥ ـ الحياة الأخروية، ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾[٦]، أي ليتني ادخرت شيئاً من أجل حياتي الحقيقيّة في الآخرة.

إشكال وردّ

❑ جاء في تفسير نمونه[٧] أن الوهابيين يجعلون من الآية القائلة: ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ ذريعة لتصوّرهم الخاطئ، فيقولون إن النبي الأكرم قد رحل عن هذه

---

(١) سورة الروم: الآية ٥٠.
(٢) سورة الجاثية: الآية ٢٦.
(٣) سورة يس: الآية ٧٠.
(٤) سورة الأنفال: ٢٤.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٧٩.
(٦) سورة الفجر: الآية ٢٤.
(٧) تفسير نمونه، ج ١٥، ص ٥٤٣.

الدنيا، وأنه لا يسمع أي قول أو حديث، وبناءً على هذا فلا معنى لأن نزور الرسول ونوجه له الخطاب ونشرح له ما نريد من موضوعات.

والرد على الفرقة المذكورة هو أن الآية في مقام تشبيه إجمالي، كتشبيهنا لغلاظ القلوب بالحجر في عدم تأثرهم ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾[1]، وليس لأن قلوبهم مثل الحجر في كل شئ، لأن القرآن الكريم أقر بالحياة البرزخيّة للشهداء، وقد نُقلت روايات عن الشيعة والسُّنة في هذا المجال:

١ ـ يقول محمد بن عبد الوهاب في صفحة ٤١ من كتاب الهدية السنية إن الرسول يحيا بعد وفاته حياة برزخيّة أعظم من حياة الشهداء، ويسمعُ سلام من يسلمون عليه.

٢ ـ وردت روايات كثيرة في كُتب الشيعة وأهل السُنَّة في هذا المجال، ومنها ما يفيد أنَّ الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام يسمعون كلام من يُسلم عليهم من بعيد أو قريب، ويردون عليهم السلام، وحتى أعمال الناس تُعرض عليهم[2].

٣ ـ نحن أنفسنا شهودٌ على آلاف النماذج والأمثلة من التوسلات التي تحققت كما طلبها المتوسلون تماماً.

٤ ـ ورد في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ كان يُخاطب الكفار الهالكين في غزوة بدر، فقال عمر: يا رسول الله ما تُكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال رسول الله ﷺ: **«والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»**[3].

٥ ـ سار الإمام علي عليه السلام بعد انتهاء حرب الجمل في القتلى يستعرضهم، فمرَّ بكعب بن سور قاضي البصرة وهو قتيل، فقال: أجلسوه فأُجلس، فقال له: **ويل أمك كعب بن سورا لقد كان لك علم لو نفعك، ولكن الشيطان أضلك فأزلك، فعجلك إلى النار**[4].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٧٤.

(٢) كشف الارتياب، ص ١٠٩.

(٣) صحيح البخاري، ج ٥، ص ٩٧.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص ٢٤٨.

التعاليم:

١ ـ يجب تسليم أمر أصحاب القلوب العمياء إلى الله تعالى، ﴿فَتَوَكَّلْ... إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

٢ ـ لن يؤثر كلام الحق في المستمع القاسي القلب على الرغم من أن قائله طاهر ويستحق التقدير أيضاً. نعم، فالمصباح المحترق لا يضيء ولو اتصل به تيار الكهرباء، ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ... إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

يقول الشاعر:

ما فائدة التلاوة والوعظ للقلب الأسود، إن المسمار الحديدي لا يخترق الحجر.

٣ ـ لا يعود عدم تأثير دعوة الأنبياء إلى الغموض في دعوتهم، وإنما بسبب عمى قلوب المنكرين، ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ... إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

٤ ـ الإيمان بالنسبة للإنسان بمثابة الروح للجسد، والذين لا يؤمنون مع رؤية المعجزة وسماع المنطق كجثة الميت التي لا روح فيها، ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، نعم، إن سماع الحق وقبوله دليل على سلامة الروح.

٥ ـ لا يؤثر إعراض الناس في الإنسان إذا وصل إلى اليقين، ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ... وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾.

٦ ـ يستطيع الصُمُّ أن يفهموا عن طريق الإشارة، لكن أصحاب السمع الذين أعرضوا عن الحقيقة وابتعدوا عن أهل الحق لا يفهمون حتى الإشارات، ﴿وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾.

٧ ـ المداومة على الإعراض أسوأ من الإعراض نفسه، ﴿وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾.

﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾

إشارات:

❑ يبدو أن هذه الآية تتعلق بالأحداث التي تقع قبل يوم القيامة، فالله تعالى يُخرج بقدرته مخلوقاً حيّاً من الأرض إذا صار العذاب الإلٰهيّ حتميّاً واقترب من

الناس وقوعه. فيُحدّث الناس، ويكون كلامه هو: إن الناس لا يؤمنون.

❑ على الرغم من أن كلمة «دابّة» في العرف تُطلق على الحيوان، ولكنها في اللغة تدل على من يمشي على الأرض وقد استخدمت في القرآن الكريم مرات عدة في هذا المعنى أيضاً. ويجب القول إن المقصود بالدابة «شخصيّة مهمة» لأنه ينبغي أن يكون كلامها للكفار في وقت من الأوقات سنداً ووثيقة، وقد قيل في الروايات إنها علي بن أبي طالب عليه السلام.

❑ ربما تشمل هذه الآية أيضاً كل أولياء الله الذين يقومون في آخر الزمان ويثورون ثورة خارقة، ويفرقون بين الحق والباطل، والمؤمن والكافر. «والله أعلم»

ما هي الدابة وكيف تكون؟

❑ في الآية أدلة تشير إلى أن هذه الدابة مخلوق مهم جداً لأنه:

١ ـ تظهر على مشارف العذاب الإلٰهيّ، ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾، الكلام المهم يقتضي أن يصدر من مصادر مهمة.

٢ ـ تظهر على نحو استثنائي، ﴿أَخْرَجْنَا... مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾.

٣ ـ تتكلم ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ وتقضي بينهم، وتخبر عن مستقبل الناس، ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا...﴾.

٤ ـ كلامها هو الكلمة الأخيرة كصور إسرافيل، ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ﴾.

٥ ـ كلمة «دابَّةً» تنتهي بالتنوين، وهي إشارة إلى عظمة هذا المخلوق.

٦ ـ الآية التالية تتعلق بالرجعة، حيث يحيا أولياء الله قبل القيامة.

٧ ـ لا تقول الآية: «بآيات الله»، وإنما تقول: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾، والمقصود أنها هي نفسها آيات الله.

إن الجمع بين هذه الأدلة والقرائن التي تبدو من ظاهر الآية والروايات العديدة التي وردت في كتب التفاسير يوصلنا إلى الحقيقة التي مفادها أن المراد من قوله تعالى: «دَابَّةً مِنْ الأَرْضِ» هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. فهو الجدير بقول الكلمة الأخيرة، ووسم جبين البعض بخاتم عدم الإيمان، والإخبار عن مستقبل الضالين المشؤوم.

□ **سؤالان:**

١ ـ أليست كلمة «دابَّة» خاصة بالدواب غير الإنسانية؟

الجواب: فقد استخدمت كلمة دابة في القرآن الكريم مرات عدة، وكانت تشمل الإنسان أيضاً، كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[1].

٢ ـ ألا يُمثل إطلاق كلمة «دابَّة» على الإمام علي عليه السلام إهانةً لشخصه؟

الجواب: أبداً، وذلك كإطلاق كلمة «إنسان» أو «بَشر» على الرسول، وليس فيها إهانة له، وجواز إطلاق كلمات «شيء، عالم، نور، وجود» على الله تعالى مع وجود الفرق بين علم الله ونوره ووجوده والآخرين.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾

إشارات:

□ إذا لاحظنا أنَّ الناس جميعاً سوف يُحشرون يوم القيامة ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[2]، وأنَّ الآية التي نتحدث عنها (النمل، ٨٣) تقول: سوف نحشر جماعة فقط من كل أمة، يتضح أنَّ هذه الآية لا تتعلق بيوم القيامة، وإنما تتعلق بالرجعة حيث تحيا جماعة قبل القيامة.

□ وردت في القرآن الكريم نماذج وأمثلة عن الإحياء في الدنيا، ومن بينها ما ورد في سورة البقرة، حيث نقرأ أنَّ الله تعالى قد قضى على مجموعة من الناس بالموت، ثم أحياهم مرة ثانية ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾[3]. ويقول الله تعالى في موضع آخر: لقد أحييناكم في هذه الدنيا بعد الموت ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾[4]. ويقول الله تعال لعيسى عليه السلام: تحيي الموتى وتخرجهم من القبور

(١) سورة هود: الآية ٦.
(٢) سورة الكهف: الآية ٤٧.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٤٣.
(٤) سورة البقرة: الآية ٥٦.

بإذني ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾[1]. ويقول تعالى عن أحد أولياء الله: لقد أمته مائة عام ثم أحييته بعد هذه المدة ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾[2]. وجاء كذلك في روايات كثيرة أنَّ بعضاً ـ ممن يبرزون في الإيمان أو الكفر ـ يحيون بإرادة الله تعالى قبل يوم القيامة، ويعيشون مدة من الزمن مع حكم أهل الحق، ويُعاقب قادة الكفر.

التعاليم:

١ ـ يكون الحشر العام للناس يوم القيامة، أمَّا حشر جماعة خاصة من الكفار فيكون في هذه الدنيا، ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾.

٢ ـ كان التضاد بين الإيمان والكفر موجوداً في الأمم كلها، ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ﴾.

٣ ـ يختص الحشر قبل القيامة بالكافر كفراً مطلقاً (جاء في الروايات أيضاً أن الرجعة خاصة بكبار المؤمنين والكافرين)، ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾.

٤ ـ لا ينبغي تكذيب أي أمر بدون علم واطلاع (يجب أن تقوم العقائد على أساس الدليل القطعي)، ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا﴾.

٥ ـ يعكس عمل كل إنسان عقائده وأفكاره (يأتي التكذيب أولاً ثم الأعمال المخالفة)، ﴿أَكَذَّبْتُم... أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

٦ ـ يخضع الكفار خاصة للرقابة بعد إحيائهم في الدنيا إلى حين محاكمتهم، ﴿يُوزَعُونَ... حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾.

٧ ـ يُساءل الكفار في مرحلة الرّجعى (الإحياء في هذه الدنيا) على عقائدهم، كما يُوبخون على سلوكهم أيضاً، ﴿أَكَذَّبْتُم... أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

٨ ـ يجب أن يرد الجميع في حضور الله، ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِي... أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

---

(١) سورة المائدة: الآية ١١٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.

﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ۝٨٥ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٨٦﴾

إشارات:

- تؤثر ظلمة الليل في هدوء الأعصاب والنور في نشاط الإنسان وهذا من المسائل العلمية الثابتة اليوم[١].
- ربما كان لطرح مسألة النوم واليقظة بعد مسألة الرجعى والمعاد رسالة مضمونها: لا تتعجبوا من الرجعة والمعاد﴾ لأنهما مثل النوم واليقظة.
- الليل هو نموذج لرحمة الله للناس، ودليل على حكمته وقدرته، وغض الطرف عن دور الليل هو نموذج من تكذيب الجاهلين الذي طُرح في الآية السابقة.

وسائل الراحة

- ذُكرت بعض الأمور في القرآن الكريم كوسيلة من وسائل الراحة والسكينة، ومنها:

١ ـ ذكر الله، ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[٢].
٢ ـ المدد الغيبي، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٣].
٣ ـ الآثار والأشياء المقدّسة، ﴿أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٤].
٤ ـ تشجيع أولياء الله، ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[٥].
٥ ـ الملاذ والمنزل، ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾[٦].
٦ ـ الزوجة، ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾[٧].
٧ ـ الليل، ﴿أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾[٨].

---

(١) تفسير نمونه.
(٢) سورة الرعد: الآية ٢٨.
(٣) سورة الفتح: الآية ٤.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٤٨.
(٥) سورة التوبة: الآية ١٠٣.
(٦) سورة النحل: الآية ٨٠.
(٧) سورة الروم: الآية ٢١.
(٨) سورة النمل: الآية ٨٦.

وجدير بالقول إن الليل هو وقت نزول القرآن ومعراج النبي ﷺ، وهو وقت الدعاء والمناجاة، على الرغم من أن بعض المنحرفين يستفيدون من نعمة الليل وظلمته أسوا استفادة، ويرتكبون فيه الذنوب والجرائم والعيوب.

ـ إنَّ عصرنا الحالي يبحث عن الراحة في أماكن أخرى، ولهذا لم يصل إلى نتيجة، فقد تعلّق العالم اليوم بالتقنية والسلاح والثروة والسلطة والعلاقات الديبلوماسية، ولا يذوق طعم الراحة بسبب فقدانه المعنويات. وما أكثر الذين تلوثوا بالمخدرات والخمور والشهوة و... وغرقوا في الذنوب والآثام، ويكفي أن نرجع إلى إحصائيات الجرائم في العالم كي ندرك الحقيقة.

التعاليم:

١ ـ إنّ عذاب الظالمين واقع حتماً، ﴿وَوَقَعَ﴾.

٢ ـ صدر الوعد بالعذاب الإلٰهيّ للظالمين من قبل، ﴿ٱلْقَوْلُ﴾.

٣ ـ السبب في شقاء الإنسان هو الإنسان نفسه، ﴿بِمَا ظَلَمُوا۟﴾.

٤ ـ إنّ تكذيب تحذيرات الأنبياء الجدية والتمرد عليهم ظلم للنفس، ﴿بِمَا ظَلَمُوا۟﴾.

٥ ـ ليس للظالم كلام يقوله يوم القيامة، ﴿لَا يَنطِقُونَ﴾.

٦ ـ يتعرض الذين لا يعتبرون من تعاقب الليل والنهار للانتقاد، وأكثر انتقادات القرآن لأولئك الذين يعيشون حياة غافلة، ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾.

٧ ـ يتناسب نظام الخلق مع احتياجات البشر، وهذا التناسب دليل على وجود مدبر واحد حكيم، ﴿لِيَسْكُنُوا۟﴾.

٨ ـ يجب أن يخصّص الليل للراحة في برنامج الحياة، ﴿لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾.

٩ ـ دور الإيمان والفكر الدينيّ هو أن يرى في الكون معنى وهدفاً، وينظر إليه على أنه دليل على القوة والحكمة، ﴿لِيَسْكُنُوا۟... مُبْصِرًا... لَءَايَٰتٍ﴾.

١٠ ـ يجب أن تكون الراحة مقدمة للعمل والسعي، ﴿لِيَسْكُنُوا۟... مُبْصِرًا﴾ فنور النهار للعمل كما يقول الله تعالى في الآية ١٢ من سورة الإسراء: ﴿وَجَعَلْنَآ

ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي لتبحثوا عن فضل ربكم (وتقوموا بالعمل والسعي)..

١١ ـ أهل الإيمان هم وحدهم الذين يعتبرون من الآيات الإلٰهيّة، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾

إشارات:

❑ كلمة «دخور» تعني الذل والصغار.

❑ دار الحديث في القرآن الكريم عن نفختين في الصور، الأولى هي النفخة التي تتسبّب في موت الجميع، والأخرى هي النفخة التي تتسبّب في البعث والحياة. ونحن نقرأ في الآية ٦٨ من سورة الزمر قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ أي أن «إسرافيل» ينفخُ في الصور فتموت المخلوقات السماوية والأرضية كلها، إلا أولئك الذين يريد لهم الله ألا يموتوا، ثم ينفخ في الصور مرة ثانية فإذا بالخلائق كلها تقوم وتنتظر الحساب والجزاء.

وقد يكون المقصود بالنفخة في هذه الآية هو النفخة الأولى، بدليل كلمة «فزع»، أو النفخة الثانية، بدليل كلمة «أتوه»، أو النفختان معاً، بدليل كلتا الكلمتين. «والله أعلم».

❑ جاء في الروايات أن المسؤول عن النفخ في الصور ملاك يسمى إسرافيل، ونحن نقرأ في دعاء أم داود قولها: **«اللهم صلّ على إسرافيل حامل عرشك وصاحب الصّور»**[١].

❑ هناك جماعة في أمنٍ من الوحشة والخوف عند بداية القيامة ﴿إِلَّا مَن شَآءَ

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ١٠٢.

﴿ٱللَّهُ﴾، وقد عُرِّفت هذه المجموعة في الآيتين التاليتين: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ كما نقرأ في موضع آخر قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾[1]، أي أنهم لا يُحزنهم الهول العظيم في ذلك اليوم.

التعاليم:

١ ـ يحدث انهيار نظام الكون وموت البشر وبداية القيامة بانطلاق صوت مروع (النفخ في الصور)، ﴿يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾.

٢ ـ توجد في السماوات مخلوقات حيَّة ومسؤولة، وهذه المخلوقات لها حشر وقيامة، ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ... وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾.

٣ ـ يشعر الجميع في أنفسهم بالصَّغار يوم القيامة، ﴿دَٰخِرِينَ﴾.

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾

إشارات:

- كلمة «صُنع» من الصنعة، وتُطلق على العمل الذي يتم على أساس العلم والدقة والمهارة.

- أول مَن اكتشف حركة الأرض هما «جاليليو» الإيطالي و«كوبرنيكوس» البولندي اللذان كان يعيشان في أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر الميلادي. وقد تراجع جاليليو عن أقواله في الظاهر تحت ضغط الكنيسة. لكن القرآن الكريم كان قد أخبر قبل أكثر من ألف عام عن حركة الأرض في آيات كثيرة[2].

ولا شك في أنَّ بعض المفسرين كانوا يرون أنَّ حركة الجبال كناية عن

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٣.

(٢) تفسير نمونه.

انهيارها وتلاشيها بعد النفخ في الصور، وهو ما ورد في الآية السابقة. وبناءً على هذا المعنى، فإن هناك رسائل أخرى يمكن استخلاصها من الآية الشريفة.

التعاليم:

١ ـ الكون في حالة حركة دائمة، حتى الجبال التي تبدو لنا ساكنة تتحرك، ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ﴾.

٢ ـ الإخبار عن تحرك الجبال من المعجزات العلمية في القرآن الكريم، ﴿تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾.

٣ ـ حركة الجبال تختلف عن حركة الأرض التي تتحرك أيضاً، ﴿تَمُرُّ﴾.

٤ ـ تتحرك الجبال بسرعة تشبه سرعة السحاب، ﴿مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾.

٥ ـ حركة الجبال دليل على القدرة الإلٰهيّة الحكيمة، ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾.

٦ ـ كل شيء متقن ومثبت في مكانه في الرؤية الإلٰهيّة، ﴿أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾

إشارات:

- كلمة «كُبَّت» تعني قُلبت وألقيت على وجهها.
- سوف تتحول الملذات والتمردات والتطرفات التي تظهر في الدنيا بسبب الذنب إلى ذل وخزي بالحرق في النار يوم القيامة.
- من بركات القرآن الكريم أنه فتح الطريق من أجل رشد الجميع وسعادتهم، وقال إن كل من يقوم بالعمل الصالح سوف يُجازى خيراً منه، وذلك بدون النظر إلى السن والعرق والجنس.

ذُكرت «الحسنة» مُطلقة أيضاً، كي تشمل كل الحسنات، وقبول زعامة الحق وطريقه وكلامه وعمله واختياره و... وقد وردت الإشارة إلى بعض هذه النماذج في الروايات، لكن أي عمل صالح يضيع إذا دخله الرياء والغرور وخالطه

العجب والذنب مهما كان صاحبه، أمّا العمل الصحيح فإنه يصل إلى مقصده ويُضاعف له الجزاء، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾.

❑ قرأنا في الآيتين السابقتين أن الجميع يفزعون بعد النفخة الأولى، إلا من يشاء الله. وتقول هذه الآية إن الله تعالى يحفظ أناساً من الخوف والفزع، وهم الذين أحضروا حسناتهم معهم إلى ساحة القيامة.

التعاليم:

١ ـ إنّ علم الله بأعمالنا الصالحة هو من عوامل التشجيع على القيام بفعل الحسنات، ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾.

٢ ـ الأهم من القيام بالعمل الصالح في الدنيا هو حملها إلى ساحة القيامة، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾.

٣ ـ النّتاج في المستقبل مرهون بأعمالنا (لكل فعل رد فعل)، ﴿مَن جَآءَ... فَلَهُۥ...﴾.

٤ ـ علينا أن نطرح الحسنات قبل السيئات، فقد قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ ثم قال: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾.

٥ ـ يُستحسن تشجيع الصالحين من أجل زيادة الحسنات، ﴿مَن جَآءَ... فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾.

٦ ـ يتلازم التشجيع مع التهديد وهذا يحدث التأثير الأكبر، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ... وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾.

٧ ـ يربو ويزيد الجزاء الإلٰهيّ على العمل؛ فجزاء بعض الأعمال الضِعف ﴿لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟﴾[1]، والبعض الآخر عدة أضعاف ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا﴾[2]، وهناك من الأعمال ما جزاؤه عشرة أضعاف ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[3] ويزيد إلى سبعمائة ضِعف أو أكثر، ويأتي قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ ليشملها كلها.

---

(١) سورة سبأ: الآية ٣٧.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٤٥.
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٦٠.

٨ ـ عمل الحسنات من المُنجيات يوم القيامة، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ... مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾.

٩ ـ أفضل جزاء عند الله ما كان مطلقاً، فهو أبدي من الناحية الزمنية، وهو كذلك أضعاف ما نقوم به من عمل من ناحية المقدار، ﴿خَيْرٌ مِّنْهَا﴾.

١٠ ـ إنّ ذلّ الإنسان أشد أثراً من العذاب نفسه، ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾.

١١ ـ العقوبات الإلٰهيّة إنعكاس للأعمال وتجسيم لها. نعم، فهؤلاء الذين يُحَولون وجوههم عن الحق بعد سماعه يُلقون على هذه الوجوه في الجحيم يوم القيامة، ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ﴾.

١٢ ـ ثواب الله مضاعف ﴿خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ أمّا عقوباته فإنها مساوية للعمل وعادلة، ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

١٣ ـ المعاد معادٌ جسماني، ﴿وُجُوهُهُمْ﴾.

١٤ ـ تتجسم أعمال الإنسان يوم القيامة، وتُحيط به، ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا
وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾

إشارات:

□ دخل رسول الله ﷺ الكعبة حينما فُتحت مكة على يد المسلمين، وحطم الأصنام، ووقف بعدها على أعتاب باب الكعبة وقال: «**إنَّ الله حرّم مكة**»[١].

التعاليم:

١ ـ يأتمر الرسول بالأمر الإلٰهيّ، ﴿أُمِرْتُ... وَأُمِرْتُ﴾.

---

(١) تفسير كنز الدقائق.

٢ ـ يجب على الداعية أن يُبلّغ للناس بقوة وحسم قائلاً: سواء آمنتم أم كفرتم، فسوف أواصل المسير على طريق الله، ﴿أُمِرْتُ... وَأُمِرْتُ﴾.

٣ ـ لا غنى لأحد حتى الرسول ﷺ عن العبادة تحت أيّ ظروف، ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ﴾.

٤ ـ يجب أن تكون العبادة بأمر من الله، لا أن تكون مصطنعة ومن نسج الإنسان. ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ﴾.

٥ ـ الذين لهم الحق في دعوة الناس هم أولئك السبّاقون أنفسهم، ﴿أُمِرْتُ﴾.

٦ ـ يجب أن تقترن العبودية بالتسليم القلبي، ﴿أَعْبُدَ... مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

٧ ـ فلسفة العبودية لله هي ربوبيته وملكيته، ﴿أَعْبُدَ رَبَّ... وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾.

٨ ـ يجب البلوغ بالذات إلى الكمال للحاق بالكاملين، ﴿أَعْبُدَ... مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

٩ ـ كل شيء يخضع لرعاية الله تعالى، ﴿رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ﴾.

١٠ ـ لمكة المكرمة احترام خاص ومقام عظيم، ﴿حَرَّمَهَا﴾.

﴿وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ
وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾

إشارات:

□ كانت بداية هذه السورة حول أهميّة القرآن الكريم، ودارت نهايتها أيضاً عن القرآن.

يقول القرآن حول تلاوته: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾[1]، أي أننا نشهد على ثلاثة أشياء أيها الرسول:

أ ـ على كمال أعمالك.

ب ـ على تلاوتك للقرآن.

---

(١) سورة يونس: الآية ٦١.

ج ـ على الأعمال التي يقوم بها الناس.

أي أن شؤون النبي وأعماله وأعمال الناس كلها قد وُضعت في كفة، ووضعت تلاوة النبي للقرآن في الكفة الثانية، وهذا يدل على الأهميّة الكبيرة جداً لتلاوة القرآن.

التعاليم:

١ ـ الأحرى بالذي جاء بالقرآن أن يكون نفسه من أهل تلاوته أيضاً، ﴿أَتْلُوَا ٱلْقُرْءَانَ﴾.

٢ ـ أبرز مهمة للرسول الأكرم ﷺ بعد التوحيد هي تلاوة الآيات الإلٰهيّة على الناس، ﴿أَتْلُوَا ٱلْقُرْءَانَ﴾.

٣ ـ يجب أن يكون القرآن هو محور الدعوة، ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾.

٤ ـ وظيفة الداعية هي إيصال الحقائق إلى الناس، ولا شأن له بقبولهم أو رفضهم، ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ... وَمَن ضَلَّ﴾.

٥ ـ تلاوة القرآن هي مقدمة الهداية، ﴿أَتْلُوَا ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾.

٦ ـ يعود النفع والضرر من إيمان الناس أو كفرهم إلى الناس أنفسهم، ﴿لِنَفْسِهِۦ﴾.

٧ ـ لا يتحمّل الرسول مسؤوليّة ضلال من يضل من الناس، ﴿فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾.

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا
وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

إشارات:

□ «الحمد لله» أفضل جملة من أجل حمد الله والثناء عليه، وقد أُمِر الرسول الأكرم ﷺ أن يقولها، ويجب أن يرددها المسلمون كل يوم أيضاً في سورة الحمد.

❑ يقول الشاعر سعدي الشيرازي عن غفلة الإنسان عن عاقبة عمله:

يجب أن تستيقظ الآن أيها النائم، ما فائدة نومك إذا داهمك الموت.

أنت غافل وتفكر في المنفعة والمال، في حين أن رصيد عمرك قد ضاع.

فلتسعَ الآن حيث لم يتجاوز الماء خصرك، وليس عندما يتجاوز السيل رأسك.

ها هو الإسكندر الذي حكم العالم قد تركه حينما داهمه الموت.

ولم يتيسر له أن يُنتزع منه العالم ويُمهل لحظة واحدة.

التعاليم:

١ ـ الرسالة الإلٰهيّة فضل من الله يجب أن نشكره عليه، ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ... وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

٢ ـ يخاطب الله عباده قائلاً: إنّ ما رأيتموه من الآيات الإلٰهيّة حتى الآن هو بعض منها، وسوف تُعرض عليكم آيات أخرى أيضاً في المستقبل، ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾.

٣ ـ يجب ألّا يُعدَّ الإمهال الإلٰهيّ غفلة من الله سبحانه، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ﴾.

٤ ـ رقابة الله الدائمة شأنٌ من شؤون ربوبيته، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ﴾.

٥ ـ يتحمّل كل إنسانٍ مسؤولية أعماله، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

٦ ـ يجب عدم الخوف من كفر المخالفين وشركهم، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

«اللهم صلّ على محمد وآل محمد وعجّل فرجهم»

الفهرس